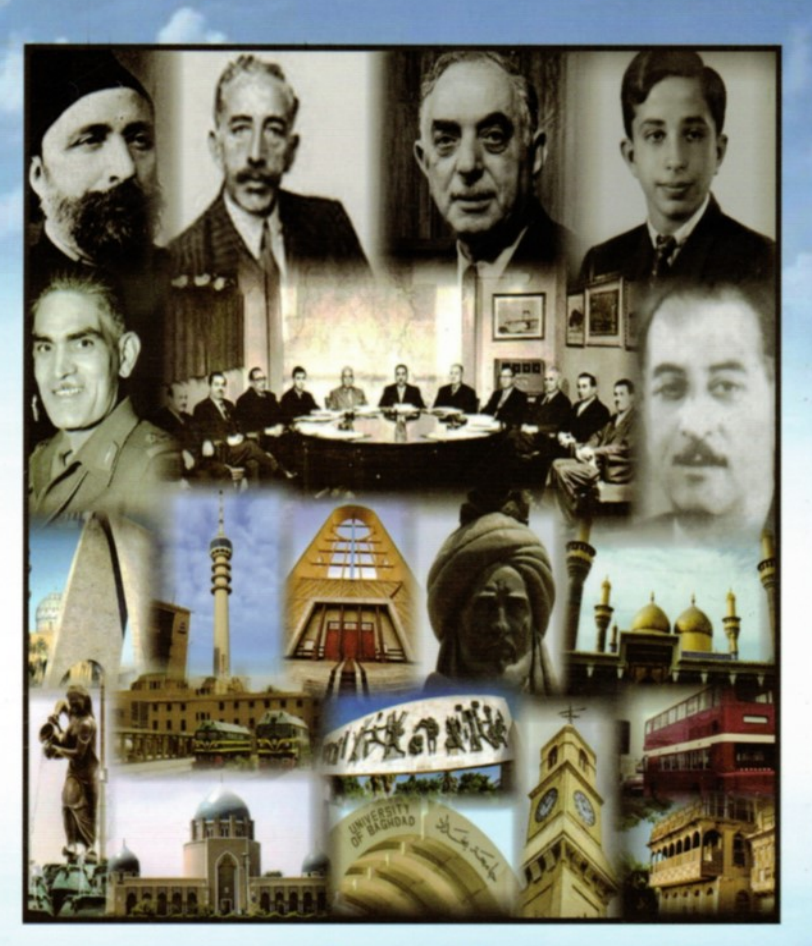
علاء محمود التميمي



بغداد

ذاكـــرة مـديـــنـــة

بغداد

ذاكرة مدينة

علاء محمود التميمي

الطبعة الأولى: باريس ٢٠٢١
الكتاب: بغداد ذاكرة مدينة
المؤلف: د. علاء محمود التميمي

الناشر: دار كل العرب
KOUL ALARAB – Siret : 899 008 080 00017
APE : 58.14Z - INPI FRANCE: 4464381

رقم الإيداع ٩٧٨-٢-٩٥٧٨٦٦٥-٠-٢
للحصول على النسخة الورقية
الناشر
koulalarab.paris@gmail.com
المؤلف
alaa@urbanreform.ça
او عبر
Amazon
Bagdad Mémoire d'une ville
.l'auteur: Dr. Alaa Mahmoud Al Tamimi
l'éditeur: koul alarab - Paris
ISBN: 978-2-9578665-0-2

المحتويات

اهدي الكتاب لمن يحب بغداد من العرب والعراقيين خصوصا الأجيال الشابة التي تعيش حاليا خارج العراق ومنهم ولدي الوحيد حسين عسى ان يكون حبه لبغداد يزيد عن حبه لوالده.

المقدمة

بغداد مدينة السلام عاصمة الخلافة العباسية التي امتدت حدودها من الصين شرقا الى جبال الأطلس على المحيط غربا كان قدرها منذ بنائها على يد أبي جعفر المنصور سنة ٧٦٦ م مقارعة الحروب ومنازلة الغزاة بمعدل مرة في كل ثلاثين عاما تقريبا منذ احتلال التتر وهولاكو سنة ١٢٥٨ م حيث عبثت بها أمواج الحروب وتناوب أيدي الحكام من محتل الى أخر زهاء أربعة قرون حيث مرت عليها مأسي ونكبات خلال العصور المختلفة من الهيمنة الفارسية والتركية المتعاقبة الى ان دخلها الأتراك العثمانيون سنة ١٦٣٨ م وألحقت بالخلافة العثمانية حتى الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٧ ثم تأسيس المملكة العراقية عام ١٩٢١ وما أعقبها من حقب سياسية مختلفة لغاية الاحتلال الأمريكي سنة ٢٠٠٣ م.

لكل مدينة طابعها وسماتها وروحها وذاكرتها التي تتمثل في الشواهد التاريخية والعلامات الحضارية الباقية التي تبرز علاقة الأنسان بالمكان والتي يحملها أبناء المدينة لليوم كأمانة للحفاظ عليها وإضافة الجديد من عمران يحمل طابع العصر مع الانسجام والتواصل مع ما هو قائم لكن بغداد اليوم سيئة الطباع، متقلبة المزاج، تجهل مصيرها ويحيطها العقوق لكنها تبقى تراث مجبول في الأبدية احتفظت دوما بسر ديمومتها بعيدا عن جنون زمانها.

لا يجادل أحد في أن بغداد مدينة رائعة، لكن لا يوجد جمال على وجه الأرض يدوم الى الأبد. إذ ان المدن تنتصب فوق أعمدة روحية، كالمرايا العملاقة، وهي تعكس قلوب سكانها، فاذا أظلمت هذه القلوب، وفقدت أيمانها ليتركوا للغريب، بقبحه الطافح وجهامته، فرصة ليزحف ويرمى ظلاله الكئيبة على المدينة الوديعة

المسكونة بالحضارة ليحيلها الى تاريخ مستمر من الحروب، والاضطرابات، والأوبئة، والمجاعة.

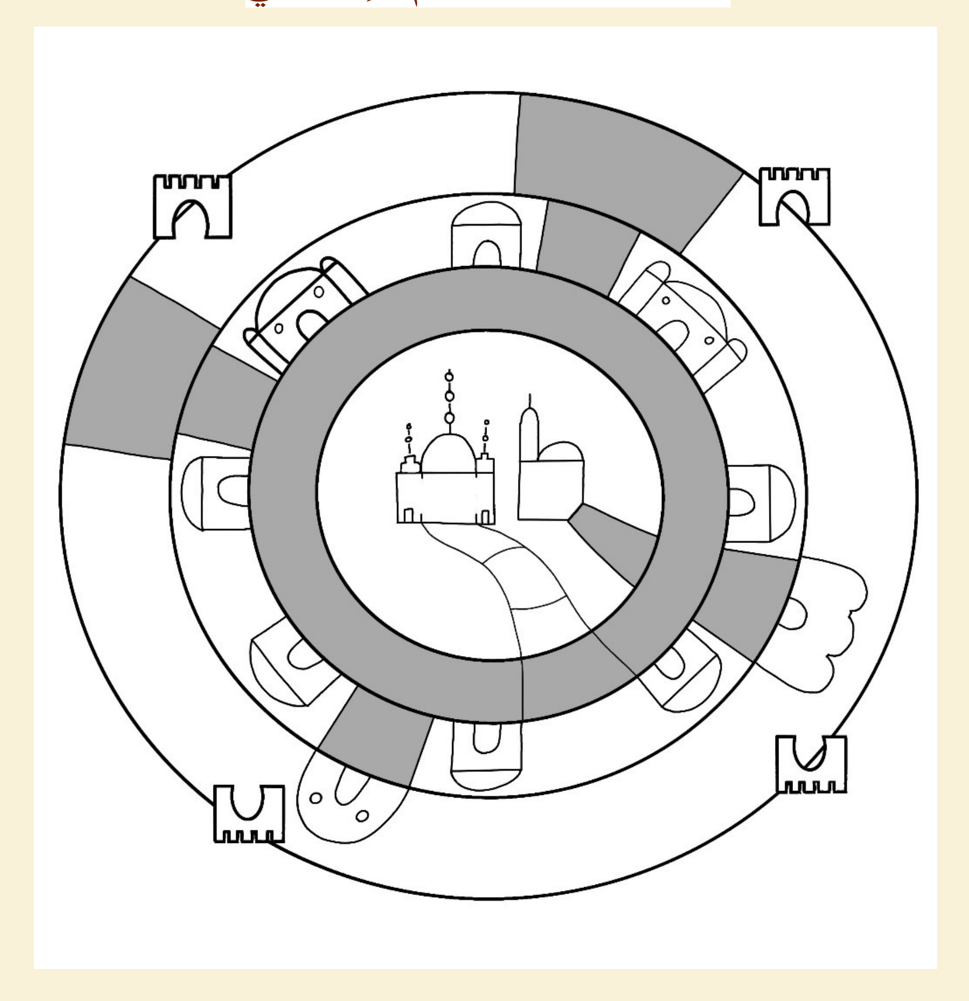
بغداد التي تأسست في القرن الثامن الميلادي على يد المسلمين وفخروا بها لتكون جوهرة الدنيا وقلب العالم، ماتزال محط الاهتمام، ولايزال الناس ينظرون لها بأهمية فائقة، لكنها اليوم لا تملك قرارها وتعاني من سوء أفعال حكامها وساكنيها.

يتناول هذا الكتاب استعراض لتاريخ التطور الحضري لمدينة بغداد خلال ثلاثة عشر قرنا ومراحل مجدها ابتداء من القرن الثامن وكعاصمة لإمبراطورية امتدت من الصين شرقا الى جبال الأطلس على المحيط الأطلسي غربا لتعود وتنتكس وتحتل من المغول عام ١٢٥٨ ليمر عليها مأسي خلال العصور المختلفة من الهيمنة الفارسية والتركية وصولا للاحتلال البريطاني عام ١٩١٧ وما أعقبها من حقب سياسية مختلفة لغاية الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣ ان الغرض من مراجعة تاريخ المدينة ونشأتها وتطورها ليس الغور في تفاصيل تاريخية، بل من أجل التعرف على أسس نشوئها وتطورها وعمرانها وانحدارها وتخريبها خلال ثلاثة عشر قرنا من تاريخها وخاصة في عهودها المتأخرة التي أثرت على مشهدها ونسيجها الحضري التقليدي الذي استغرق تشكيله ما يزيد عن ألف عام.

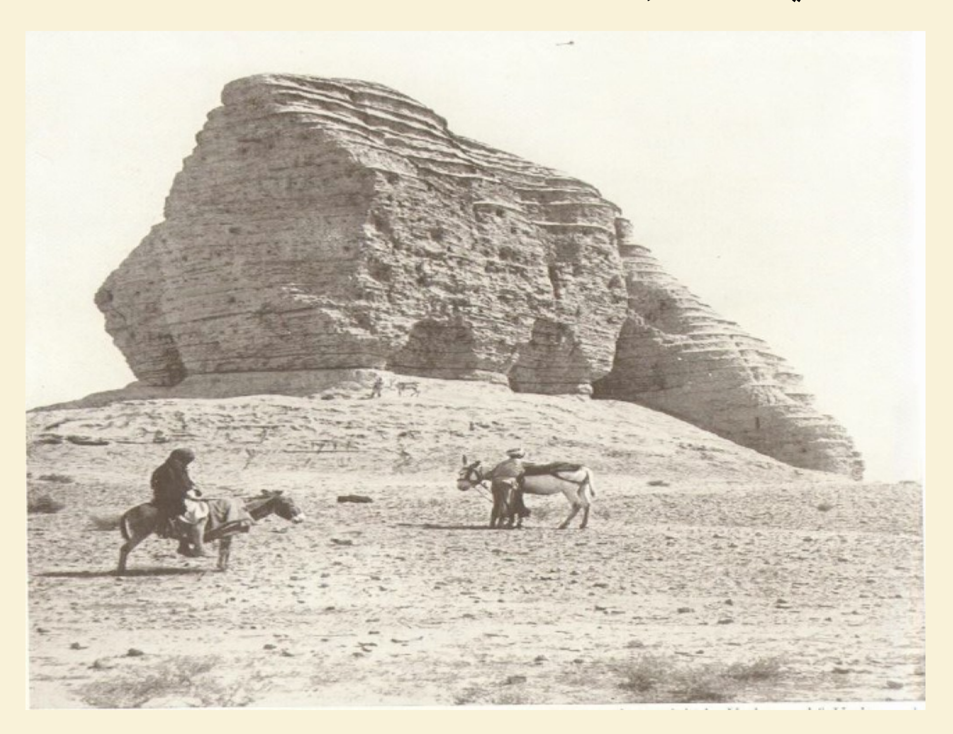
جمع الكتاب في فصوله الخمسة تأثير من حكم مدينة بغداد ما عمر ودمر من حكام وملوك هذه المدينة منذ بنائها عام ٧٦٢ ميلادية منهم محبين بنو وطوروا بغداد ومنهم كارهين ومحتلين لكن بغداد تبقى تراث مجبول في الأبدية احتفظت دوما بسر ديمومتها بعيدا عن جنون زمانها.

الفصل الأول

بغداد عاصمة العالم الإسلامي



أغرت بغداد، شأنها شأن المدن العريقة الأخرى، الكتاب والباحثين، ذلك بما تبوأت من مكانة تاريخية وحضارية خلال مجدها العباسي، ففيها آثار الى وجودها كمدينة قبل ان يخط أبو جعفر المنصور ويبنى بكرخها مدينته المدورة العام ٧٦٢ فهي محصورة بين اثرين مهمين في تاريخ العراق، الأول هو زقورة عقرقوف على بعد حوالي خمسة عشر كيلومترا شمالا والتي كانت عاصمة احدى الممالك البابلية القديمة التي تعرف باسم "دوركوريكالزو".



زقورة عقرقوف

والثاني طيسفون والتي كانت عاصمة الدولة الساسانية والفرثية وتقع على ضفة نهر دجلة قرب مدينة المدائن وفيها مرقد الصحابي سلمان الفارسي ولذا سميت محليا بـ (سلمان باك) وتقع على بعد ٣٠ كيلومترا جنوب بغداد. من أشهر معالمها قصر كسرى الذي بقي قوسه الشهير المعروف بطاق كسرى .



طاق كسرى افي صورة تعود لسبعينات القرن الماضي.

وكذلك تقع بابل على بعد تسعين كيلومترا الى الجنوب من موقع مدينة بغداد. ارتاد العرب المسلمون موقع المدينة قبل بنائها عند فتحهم طيسفون وبنائهم للكوفة والبصرة، ووجدوا فيها سوقاً عرفوه أهلها بسوق الثلاثاء، ووجدوها مزدحمة بالأديرة والمعابد، غير ان مجدها العباسي، بقصوره وسفنه ودوره العلمية ومجالسه الفكرية وأسواقه هيمن على تاريخها، فتظهر في التاريخ حاضرة عباسية منذ التأسيس، وما ذكر عن اسمها ووصفها، قبل الزمن العباسي، كانت إشارات متناثرة في معاجم البلدان والمدن.

أصل كلمة بغداد اختلف عليه المؤرخون قديما وحديثا بعضهم يقول انه قديم جدا من عهد حمورابي واصلها "بيت كداد" أي بيت الغنم وبعضهم يقول إنها كلمة آريه ومعناها عطية الله وبعضهم يقول إنها بالآرامية باغ داد.

لقد اختلف مؤرخو مدينة بغداد حتى في معنى اسمها العربي الواضح (مدينة السلام). فرأى بعضهم أن المقصود بالسلام هو الله سبحانه. ويرى بعضهم أن المنصور أسماها مدينة السلام لأن نهر دجلة يقال له (وادي السلام). ويرى بعضهم الآخر أن المنصور أسماها (مدينة السلام) تفاؤلا في أنها ستكون آمنة مطمئنة. فالسلام شرط أساسي لازدهار المدن ورفاهيتها. أما مدينة المنصور ومدينة الخلفاء والمدينة المدورة والزوراء فهي أوصاف لبغداد استخدمها الخاصة والعامة في نعت المدينة فتسمية (مدينة المنصور) هي تعريف للمدينة بإضافتها إلى بانيها، وكذلك (مدينة الخلفاء) تعريف لها بإضافتها إلى ساكنيها بعد تعاقب عدد من الخلفاء العباسيين على الإقامة فيها. و (المدينة المدورة) نعت للمدينة يميزها عن غيرها من المدن، ظنا بأنها المدينة الوحيدة التي بنيت على شكل دائرة لكن الاسم القديم بغداد بقي يتردد على السنة الناس فاحتفظت المدينة باسمها الأصلي ليومنا هذا.

المدن العراقية في الأساس مدن نهرية، فعلى ضفتي دجلة والفرات قامت معظم المدن العراقية وقدا اختير موقعها على ضفة دجلة اليمنى غير بعيد عن نهر الفرات تتوسط البصرة والموصل وقريبة من واسط والكوفة قريبة من البر والبحر.



موقع مدينة بغداد بين المدن القديمة في وادي الرافدين

بعد وفاة أبو العباس السفاح تولى الخلافة أخوه أبو جعفر المنصور عام ٧٥٢ وهو الخليفة العباسي الثاني الذي يعد المؤسس الحقيقي للدولة العباسية فقد حكم الدولة العباسية مدة ٢٢ عاما.

كان من بين اهم الأعمال التي قام بها أبو جعفر المنصور خلال خلافته إنشاء مدينة بغداد التي أصبحت بعده واحدة من اهم المدن بالعالم.

المنصور وأرثه (٧٥٠-٧٧٥)

أختار أبو جعفر المنصور موقع بغداد على رقعة مرتفعة من الأرض على الجانب الغربي من نهر دجلة وكانت تحيط بهذا الموقع قرى

مأهولة السكان مزدهرة والأرض التي تحيطها سهلة زراعية تسقيها مياه من جدول متفرع من نهر الفرات ويبعد عن بغداد نحو ٣٠ كيلومتراً، ومن نهر دجيل الذي يأخذ مياهه من دجلة في شمالها. وهذه الأراضي المزروعة كانت واسعة تنتج محاصيل زراعية وافرة، ويقابلها في شرقي دجلة أراض منبسطة أيضاً تروي مزارعها أنهار وترع عدة.

التراث العمراني لمدينة بغداد منذ ان وضع أسسها المنصور مرورا بكل المراحل التأريخية التي مرت بها تمثل إرثا حضاريا زاخرا ببعده *التاريخي، ونمطه الحياتي المميز ونسيجه لعمراني كونه نتاجا احتوى على طبقات متوالية من التأريخ البشري.*

يذهب بعض المؤرخين إلى أن تصميم بغداد المدور فريد من نوعه في تاريخ إنشاء المدن، في حين أن العديد من مدن وادي الرافدين القديمة التي أنشئت قبلها بنيت بشكل دائري أو بيضوي لأغراض عسكرية دفاعية كمدينة المدائن الواقعة جنوب بغداد-الموقع الحالي لمدينة سلمان باك-ومدينة الحضر الواقعة في الجنوب الغربي من مدينة الموصل.

تم رسم خطوط التصميم لمدينة بغداد الدائرية على الأرض مستخدمين الرماد في ذلك ثم تم إشعال كراتٍ من القطن المغمورة بالنفط السائل وأن توضع على طول مكان امتداد السور المحصّن بشكلٍ كبيرٍ ليعلن بدء إنشاء المدينة. في البدء، قاموا بالدراسة والقياس ثم حفروا الأساسات. وبعد ذلك، وباستخدام الطوب المسخّنة بالشمس ونار الفرن التي كانت دائماً الركائز الأساسية

التي يستند عليها البناء في منطقة ما بين النهرين في غياب مقالع الحجارة؛ قاموا بإقامة جدران المدينة الشبيهة بالحصن طوبةً. وقد كان ذلك أعظم مشروع بناءٍ في العصر الإسلامي حتى الآن.

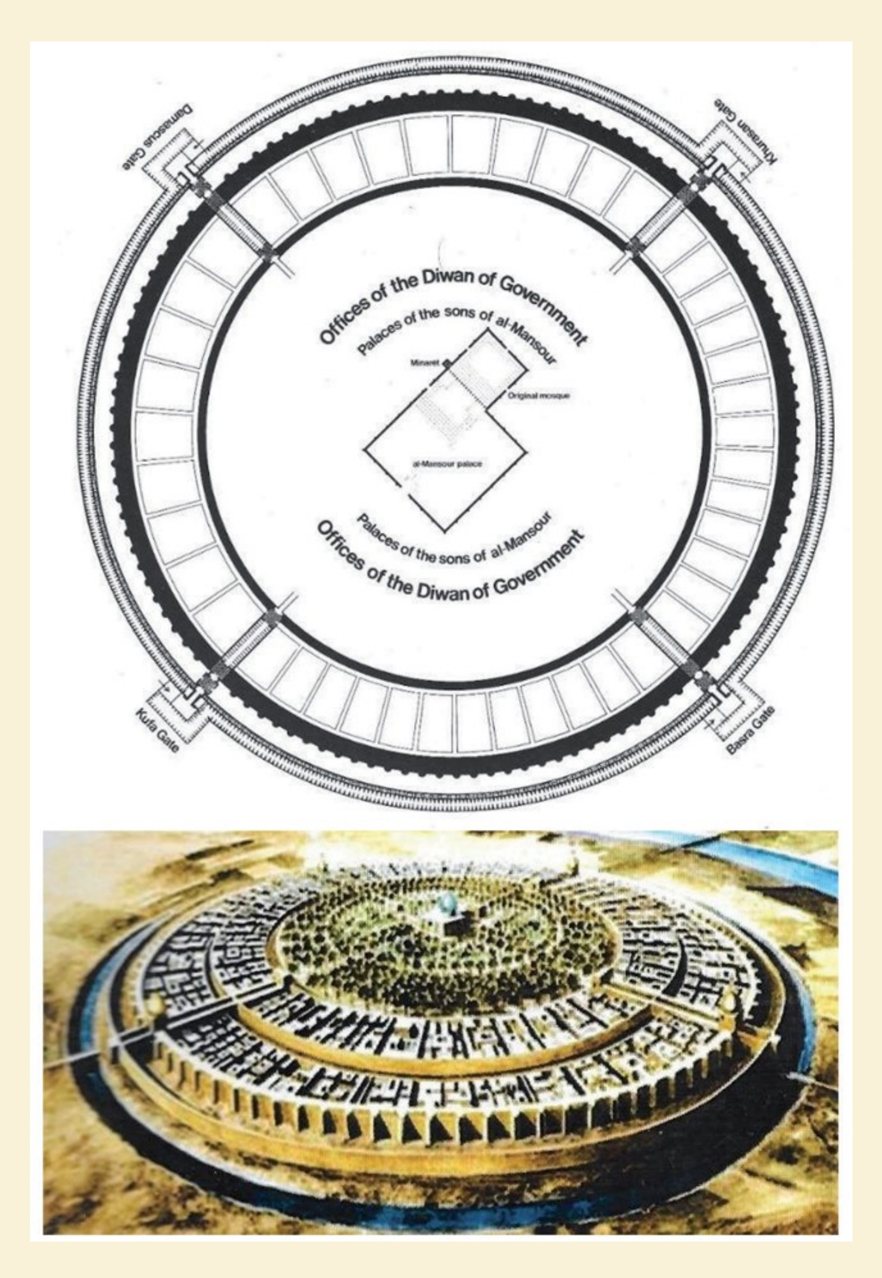
رسم اليعقوبي (٨٩١) في كتابه «البلدان»؛ الملامحَ العامة لعمران بغداد ومشهدها البصري العام. ونبَّه إلى أن أهمَّ ملامحها هو: أنها «مدينةٌ مستديرةٌ». وكان هذا التصميم الدائري مستوحًى من سوابق العمارة التي عرفتها حضارةُ بلاد ما بين النهرين قبل الإسلام. ولم يجد مؤسسو بغداد الإسلامية أي غضاضةٍ من الاستفادة من هذا التقليد العمراني، مع إعادة صوغِه وفق المعايير الوظيفية والمقاييس الجماليةِ المستمدة من القيم الإسلامية. اشترك *أبو جعفر المنصور مع عدد من المهندسين بتخطيط مدينة بغداد، وكانت مدورة ويبلغ قطرها نحو ٣٢٠٠ متراً، وأحيطت بخندق وسورين بينهما ساحة واسعة. السور الخارجي بطول ٤٨٠٠ مترا والسور الداخلي أعرض سمكاً وأعلى ارتفاعاً وأحكم بناء وتتوزع فيه ١٦٣ برجا. وجعل لها أربعة مداخل (أبواب) ضخمة سمي كل باب باسم الإقليم الذي يتجه اليه: باب الشام، وباب الكوفة، وباب البصرة، وباب خراسان. وفوق كل باب قبة، وحصّن كل مدخل بباب ضخم من حديد يمكن إقفاله بإحكام. ورسم في داخلها شوارع أو أزقة عديدة على كل منها عدد من الطاقات، وكل هذه الشوارع مستقيمة تمتد من السور إلى رحبة واسعة في وسط المدينة المدورة.*

انسجاما مع شكل المدينة الدائري فقد خططت المدينة على شكل حلقات متداخلة بعضها عن بعض بدأ بالتحصينات الدفاعية والخندق

الدفاعي الذي يحيط بالمدينة من الخارج وانتهاء بمركز الدائرة "الرحبة العظمى" وهو المكان الذي اختاره المنصور لإدارة شؤون الخلافة ومقرا لسكنه.

شيّد المنصور في وسط الرحبة قصراً كبيراً خطط على شكل مربع طول كل ضلع من أضلاعه ٢٤٠ متراً تعلوه قبةٌ خضراء هائلة، وإلى جانبه الجامع الكبير وكانت القبة *الخضراء تشاهد من مسافات بعيدة. وتم إكساء وتزيين القصر من الداخل بالخشب الصاج تتخلله زخارف ذهبية رائعة، ولذلك كان يسمى بقصر الذهب، وكان هذا القصر مقام الخليفة ومقر عمله وذكر أيضاً أن المنازلَ المخصصة لاستقبال نخبة موظفي الدولة والكبار من قادة العسكر؛ توزعت حول القصر في شكل منتظم. أما الحدود الخارجية فكانت من أجل* قصور أولاد الخليفة، منازل حرس القصر والخدم، مطبخ الخليفة، ثكنات لأحصنة الحرس، ومكاتب إدارية أخرى.

تضمنت المدينة أربعة شوارع لكل منها باب: باب البصرة، وباب الكوفة، وباب خراسان، وباب الشام. وكان من شأن هذه الأبنيةِ أن تثيرَ البهجةَ، وتدعو إلى الهيبة والاحترام في نفوس المقبلين والناظرين إليها من ظاهر المدينة. لقد كانت الشوارع الأربعة المستقيمة تتجه إلى مركز المدينة من البوابات الخارجية محفوفةً بالممرات المقنطرة التي تحتوي المحلات التجارية والأسواق. وهناك عدة طرقٍ تتفرع من هذه الطرق الأساسية لتفضي إلى سلسلةٍ من الساحات أو البيوت.



رسم مجسم لمدينة بغداد المدورة

شيّد المنصور بجانب القصر من جهته الشرقية جامع واسع مربع الشكل، طول كل ضلع من أضلاعه ٢٠٠ ذراع أي ما يعادل ١٢٠ متراً، وكان في حينه يعتبر من أكبر جوامع بغداد.

تم نقل بيت المال ودواوين الحكومة فقط لذلك فان سكان بغداد في هذه الفترة هم الموظفون في دوائر الدولة العباسية وعائلاتهم فقط.

وزع المنصور المناطق الواقعة خارج المدينة المدورة لبناء القصور والبيوت. ففي الأطراف الشرقية من المدينة، وهي منطقة ضيقة من الأرض محصورة بينها وبين دجلة، شيّد أبناء المنصور وبعض أقاربه قصوراً، كما بنى له هناك قصر الخلد وعدد من القصور في جنوب المدينة لسكن عدد من رجال الأسرة العباسي خصصها لحاشيته والمقربين إليه.

أما لأطراف الغربية والشمالية كان أغلب سكانها من الجند المقاتلين ولم يكن لها أسوار مما ساعد في امتدادها.

استغرق بناء المدينة أربعة سنوات واكتملت مدينة المنصور الدائرية في عام ٧٦٦.استوعبت مدينة المنصور المدورة وأرباضها حاشية الخليفة وجنده، وعند قدوم ابنه محمد المهدي، وكان ولياً للعهد، مع جيشه ، أدرك المنصور أن المدينة المدورة وأرباضها لا تتسع لهم، ففي سنة ٧٦٨ ميلادية أمر ببناء الرصافة في الجانب الشرقي من نهر دجلة مقابل المدينة المدورة، وعمل لها سوراً وخندقاً وميداناً وأجرى لها الماء، وأقطع المنصور أراضي لولده المهدي وقادة لعسكر جنوده حيث شيّد فيها لابنه المهدي قصراً شامخاً وجامعاً كبيراً، وأقام حولها القصور والبيوت لكبار

رجال الدولة العباسية وقادتها، وشقت لها الأنهار وعمرت فيها الأسواق. ونمت الرصافة في حينها وازدهرت فيها الحياة الفكرية والاقتصادية والعمرانية.

منح المنصور رجاله أراض في الشمال الشرقي والجنوب الشرقي بنوا دورهم وقصورهم فيها، وأحيطت الرصافة بسور وخندق، ولأجل الاتصال بين الجانب الغربي والجانب الشرقي أقام المنصور جسراً فوق دجلة عرف باسم " الجسر الكبير" أو " الجسر الأول ".

بعد أن ازدهرت مدينة المنصور توافد إليها الناس بإعداد كبيرة من أماكن مختلفة لأغراض اقتصادية وتجارية، وهدد تكاثرهم بتبديل الطابع العسكري الإداري الذي اتسمت بها مدينة المنصور، وأصبحوا، بمرور الأيام، خطراً على المدينة ونظامها لذلك أمر المنصور سنة ٧٧٤ ميلادية بنقل الأسواق وأهلها إلى الكرخ وسرعان ما اتسعت الكرخ وازداد عدد سكانها وكثرت أسواقها وأصبحت من أغنى وأكبر مناطق بغداد واستوطنها عدد كبير من العلماء والمفكرين وشيّدت فيها المساجد والقصور.

تصميم مدينة بغداد كانت نقطة تحول في تخطيط المدينة الإسلامية من حيث شكلها الحضري وقد شهد ذلك تحولاً من تجمعات سكنية تنشأ على أنقاض معسكرات أو تجمع عشائري الى توسعات سكنية حضرية مخدومة صناعيا وزراعيا.

لمّا أنهى المنصور عمارة مدينته اقتطع المنطقة المجاورة لمدينته من جهة الشمال فجعلها مقبرة، و لعلّه اعتبرها خاصّة بعائلته، و أُسرته فسُمّيتْ فيما بعد (مقابر قريش) ، و تسمى أيضاً (مقابر بني هاشم). كان أوّل من دُفن في هذه المقابر جعفر بن أبي جعفر المنصور، وذلك في سنة ٧٧٥ ، ثمّ توالى الدفن فيها بعد ذلك.

أستمرَّ أبو جعفر المنصور في حُكم الدولة العبّاسية مدّة ٢٢ سنة؛ حيث انتهت خلافته بوفاته في عام ٧٧٥ عن عُمر يُناهز ثلاثة وستّين عاماً، ويُذكَر بأنّه كان حينها بالحجّ، فدفن في مكّة المُكرَّمة.

تولى الخلافة بعد وفاة الخليفة المنصور ولده المهدي واستمر انتعاش بغداد في وقته وبنى جامع الرصافة. وازدادت شهرة المدينة واستقطبت المزيد من المهاجرين إليها من شتى الأعراق والأديان حتى يقال إنها كانت أكثر مدن العالم سكانا في ذاك الوقت وتوفي المهدي عام ٧٨٥ وانتقلت الخلافة لأبنه الأكبر الخليفة الهادي الذي لم تطل خلافته، فقد توفي في عام ٧٨٦، بعد أن حكم عاماً واحدا فقط وانتفلت الخلافة الى أخيه هارون الرشيد.

هارون الرشيد وألف ليلة وليلة (٧٧٥-٨٠٩)

شهدت الدولة العباسية في عهد الخليفة هارون الرشيد أقصى اتساع لها، ويعد عصره من أقوى العصور وأزهاها خلال جميع الفترات التي مرت بها الدولة العباسية خلال نصف القرن الأول من عمر بغداد، (٧٨٦-٨٠٩) غدت بغداد في أوج ازدهارها وتأثيرها ما أدى إلى توسع المدينة في الكرخ وفي الضفة الأخرى في جانب الرصافة في تلك الحقبة حتى غدت وكأنها مدن متلاصقة.

شهد حكم الخليفة هارون الرشيد حركة ازدهار كبيرة في كافة المجالات العلمية كالعلوم والفيزياء والطب والترجمة ويُعتبر عصره بمثابة العصر الذهبي للدولة الإسلامية؛ حيث ظهر العديد من المفكرين والعلماء منهم أبو بكر الكرخي و محمد بن موسى وهم أشهر العلماء في علم الرياضيات في بغداد؛ و علم الهندسة ، و الحسن بن الهيثم وهو أحد أشهر علماء الفيزياء ، وقد اهتم بدراسة الطب والهندسة ، وكان تخصصه في المجال الطبي بقسم الكحالة أو ما يُعرف بطب العيون ، ونجح

في تأسيس علم الضوء ، و جابر بن حيان وهو الحاصل على لقب “أبي الكيمياء” ؛ حيث أنه كان أول من اكتشف الصودا الكاوية وقد قدم للعلم العديد من المؤلفات المميزة والتي تزيد عن مائة مؤلف ومن أبرزها كتاب “السبعين” الذي يشتمل على مقالاته التي تحدث فيها عن أهم ما وصل إليه المسلمون في علم الكيمياء أبو بكر الرازي وهو الذي حاز على لقب “جالينوس العرب” ؛ حيث أنه برز في مجال الطب وأصدر أكبر كتاب فيه تحت عنوان “الحاوي في علم التداوي” ، ومن أهم إنجازاته الطبية أنه أول من ابتكر المراهم كي تُستخدم كعلاج دوائي ، وهو الذي ابتكر الخيوط الطبية التي يتم استخدامها في العمليات الجراحية .

حرب الاخوين

توفي الخليفة هارون الرشيد عام سنة ٨٠٩، وأخذت البيعة لابنه الأمين وفقا لوصية والده التي نصت أيضا أن يخلف المأمون أخاه الأمين، إلا أن الخليفة الجديد سريعا ما خلع أخاه من ولاية العهد وعين ابنه وليا للعهد، وكان المأمون آنذاك في خراسان، فلما علم بأن أخاه قد خلعه عن ولاية العهد، أخذ البيعة من أهالي خراسان وتوجه بجيش لمحاربة أخيه.

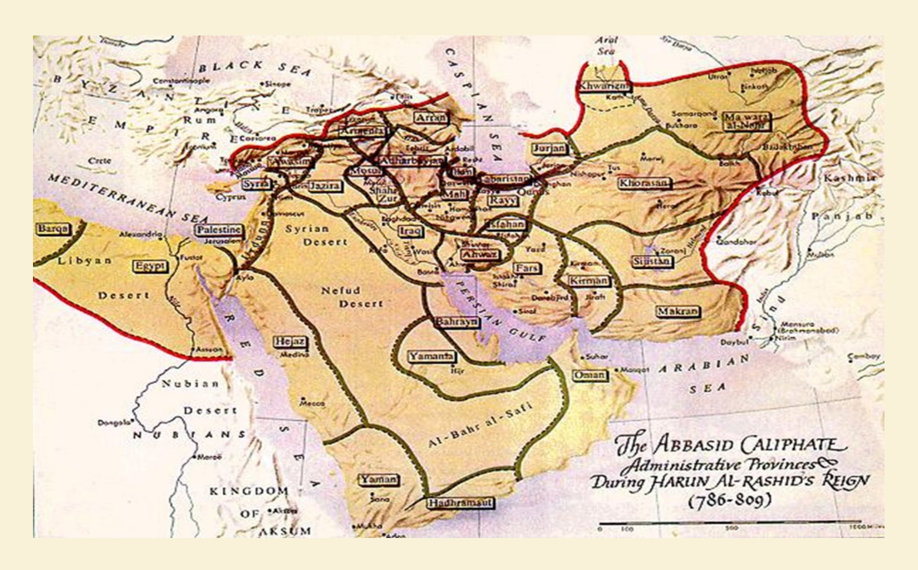
لم يدم السلام في مدينة السلام بعد وفاة الخليفة هارون الرشيد إذ بدأت النزاعات حول الحكم بين ولديه الأمين والمأمون والتي انتهت بتدمير جزء كبير من المدينة وأوقع الدولة في خضم حرب أهلية كبيرة كانت لها نتائجها الخطيرة على مستقبل الدولة.

مدينة المنصور المدورة تعد بحق نموذجاً للمدن ذات الاستحكامات الدفاعية العالية. وقد مرت هذه الاستحكامات بأول وأقسى تحد واجهته بعد اقل من نصف قرن من أنشائها، فقد حدثت الحرب بين الأخوين الأمين والمأمون سنة (٨١٢)،

وقرر الأمين ان يحتمي بقصر المنصور داخل المدينة المدورة، وجاءت جيوش المأمون لتحاصر المدينة وتضرب أسوارها بالمنجنيق، ودام الحصار قرابة السنة، استطاعت هذه الأسوار ان تصمد ومداخل المدينة ان تصمد بوجه الهجمات المتتالية عليها، فعلى الرغم من وصول المهاجمين اليها إلا انهم لم يتمكنوا من اقتحامها. وبقيت المدينة صامدة بفعل قوة ومتانة أسوارها وبقية استحكاماتها، وقد استمرت الحروب بينهما أربع سنوات، إلى أن استطاع المأمون التغلب على الأمين وقتله ظافرا بالخلافة.

دار الخلافة وبيت الحكمة

في بداية حكم الخليفة المأمون (٨١٣-٨٣٣) قرر ان ينقل مركز الخلافة الى الرصافة حيث توسعت المنطقة المحيطة بالقصر وأصبحت المركز الحضري الجديد للمدينة.



الدولة العباسية في عهد الخليفة هارون الرشيد (٧٨٦-٨٠٩)

أحيطت قصور ودور الخلفاء والمطلة على نهر دجلة بسور على هيئة نصف دائرة له أبواب عدة، وصارت تعرف هذه المنطقة وملحقاتها من الأبنية والحدائق باسم «دار الخلافة " التي كانت تقع في القسم الجنوبي من الجانب الشرقي من نهر دجلة ثم عمر ما حولها، مع الزمن، بالبيوت والأسواق والمساجد والمدارس وقدم إليها العلماء والمفكرون وبذلك أصبحت واحدة من أعرق حواضر العالم الإسلامي في حينها.

خلال القرن التاسع كان هناك أربعة ممالك كبرى هي: الدولة العباسية وعاصمتها بغداد والدولة الأموية في الأندلس، وإمبراطورية شارلمان والدولة البيزنطية.



الممالك الكبرى في العالم في القرن العاشر الميلادي

كان عصر المأمون من أزهى عصور الثقافة العربية، وقد أبدى المأمون اهتمامه بجمع تراث الحضارات القديمة وخاصة الحضارة اليونانية، أرسل بعثات من العلماء إلى القسطنطينية للبحث عن نفائس الكتب اليونانية ونقلها إلى بغداد، وكان اهتمام المأمون ببيت الحكمة ببغداد كبيرا، وهو مجمع علمي، ومكتبة عامة لنسخ الكتب ودارًا لترجمتها إلى العربية، وكان لها مديرون ومترجمون ومجلدون للكتب، ومرصد فلكى، وأقام فيه طائفة من المترجمين، وأجرى عليهم الأرزاق من بيت المال،

فاستفاد المسلمون من هذه الكتب العلمية، ثم ألفوا وابتكروا في كافة العلوم، التي أسهمت في نهضة أوروبا يوم أن احتكت بالعرب في الحروب الصليبية وغيرها.

كما نهض بمهمة بناء المراصد الفلكية، فأنشأ مرصدًا في حي الشماسية، وبنى على قمة جبل قاسيون بدمشق مرصدًا آخر، وقرب العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والأنساب، وأطلق حرية الكلام للباحثين وأهل الجدل والفلاسفة، كذلك شجع المأمون المناظرات الكلامية والبحث العقلي في المسائل الدينية كوسيلة لنشر العلم وإزالة الخلاف بين العلماء وأصدر المأمون برنامجا منهجيا للدراسات الفلكية في أول المراصد الفلكية التخصصية المقامة ببغداد ودمشق.

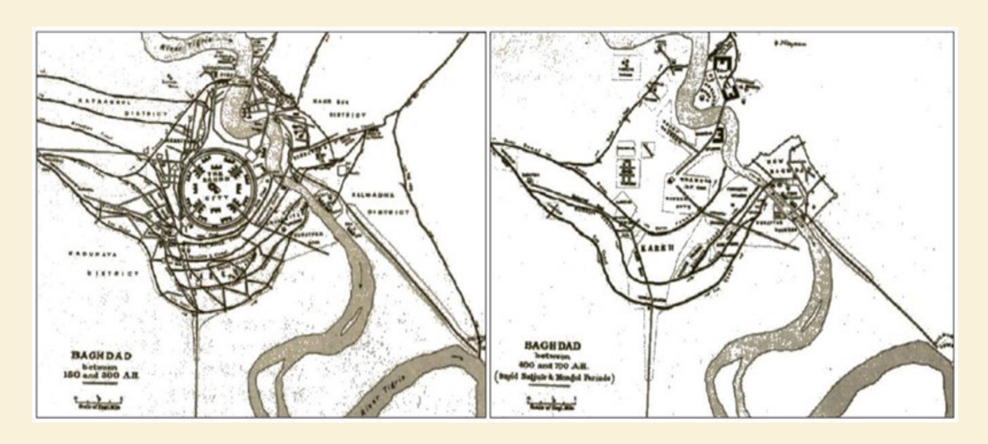
ولجأ الخليفة إلى علماء بيت الحكمة طلبا للعون على شؤون الدين والدنيا، وطلب منهم تحديد المكان الدقيق لبغداد ومكة لمعرفة القبلة الشرعية الصحيحة، كما أراد الخليفة صورة دقيقة لطول وعرض العالم الذي يحكمه.

عرفت بغداد خلال هذه الفترة، الآلاف من علماء الفقه واللغة والأدب والتاريخ والجغرافية والحساب والجبر والهندسة والطب، والفنانين والمهندسين والمعماريين والقضاة، والفقهاء، وقادة الجيش والفلسفة وأصحاب الفكر والنحاتين والرسامين، وغيرهم من مختلف التخصصات والمعرفة، ولازالت المؤلفات والمخطوطات تحتفظ بجهودهم الإبداعية، وكان فضلهم كبيرا في الحضارة العربية الإسلامية والتي كان لها بدورها الفضل الكبير في الحضارة الإنسانية.

غدت بغداد مركز لأهم حضارة في القرون الوسطى عاصمة الإمبراطورية العربية الإسلامية وأصبحت بغداد خلال القرن التاسع أكبر مستودع للكتب في العالم

ومختبر الثقافات والأديان والحضارات ومن أهم مراكز النشاط الفكري والثقافي واستقطبت أفضل العقول.

وخلال هذه الفترة تم تأسيس مكتبة تدعى ب "خزانة الحكمة" وهي عبارة عن معهد للترجمة ومركز للأبحاث التي أسهمت في ريادة حركة الترجمة وتطور الفكر ثم لاحقا توسعت خلال عهد الخليفة المأمون الى بيت الحكمة مهمتها ليست في خزن الكتب والترجمة والتأليف والنسخ فحسب وإنما احتضان الحوار بين الحضارات وتبادل العلوم والآداب والفنون فيما بينها. مات عام ٨٣٣ م وتولى الخلافة من بعده أخاه المعتصم بالله.



,مخطط عام لبغداد خلال الفترة بين عامي ٧٦٧ و ٩١٧ م (يسار)، خلال الفترة اللاحقة بين عامي ١٠١٧ و ١٣١٧ م (يمين.)[1]

ألت دولة الخلافة العباسية إلى المعتصم بعد وفاة الخليفة المأمون عام ٨٣٣ بعد أن استقرت أحوالها، وامتدت أطرافها، وانتعشت الحياة الاقتصادية بها، وازدهرت الزراعة، فنمت غلتها، ورخصت أسعارها، وتقدمت الصناعة، واستُخرجت الثروات

[1] Fathi I. The Architectural Heritage of Baghdad. Exhibition Catalogue. London: IraqiCultural Centre Gallery; 1979

المعدنية من باطن الأرض، وانتعشت التجارة على نحو لم تعرفه الدولة الإسلامية من قبل بسبب الطرق الآمنة، وسهولة الانتقال من شرق البلاد إلى غربها دون عوائق تذكر.

وكان من أثر تلك النهضة الاقتصادية أن نمت موارد الخلافة، وزادت إيرادات بيت المال؛ الأمر الذي جعل الدولة تعمل على تحسين المرافق العامة وتيسير الحياة على الناس، وتأمين حدود الدولة المترامية، وتشجيع العلم ومكافأة أهله والعناية بالترجمة، وبناء المؤسسات العلمية، وإنشاء المكتبات.

ازدهر بيت الحكمة في عهد الخليفة المعتصم وأبنه الخليفة الواثق وشهدت مجالس الأنس والحكايات والأشعار، وقصور الخلفاء، وحريمهم وجواريهم، والجاحظ ومؤلفاته وشعراء الخمر إضافة الى تطور الفكر الفلسفي، وازدهار العلوم الطبية والفلكية والفيزيائية والرياضيات.

عمارة بغداد

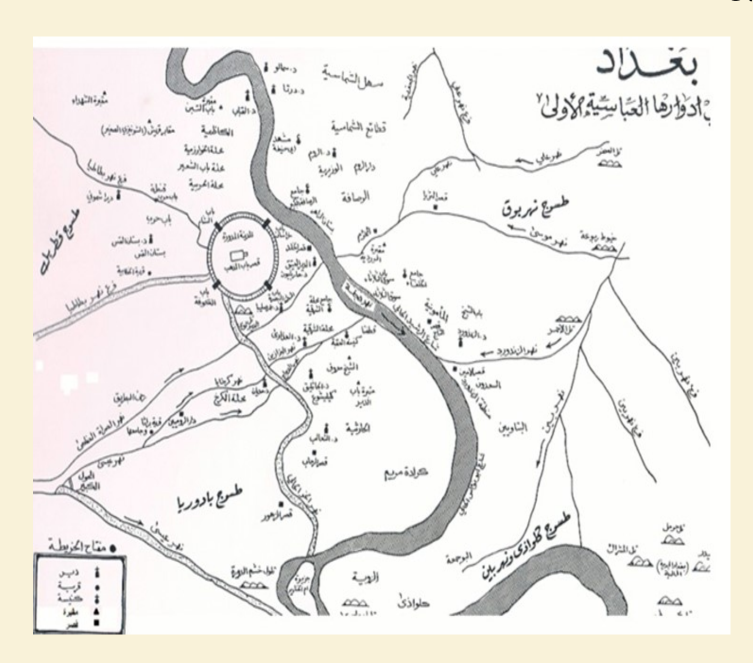
من المعالم المعمارية والشواخص التاريخية المهمة في بغداد التي لا زالت موجودة لهذا اليوم هو ضريح الأمام أبي حنيفة النعمان المتوفي سنة ٧٦٧ م والذي تم دفنه في مقبرة شمال مدينة بغداد سبق ان دفنت فيها "الخيزران بنت عطاء" اليمنية، زوجة الخليفة العباسي المهدي بن أبي جعفر المنصور وأم الخليفتين موسى الهادي وهارون الرشيد .

اتسعت المنطقة بجانب المقبرة التي دفن فيها الإمام أبي حنيفة وتحولت لمحلة صغيرة وخلال حكم السلاجقة تم بناء جامع أبو حنيفة النعمان عام ١٠٦٥ م هو أحد المساجد والمدارس التاريخية في مدينة بغداد وسميت المنطقة حول الجامع بالأعظمية.

لم يحظ هذا المشهد بالعناية حتى احتلال العثمانيين بغداد عام ١٥٣٤م وشهد ذلك العام إصلاحات من قبل السلطان سليمان القانوني الذي أمر بتشييد القبة وإعمار الجامع وفي عام ١٨٧١ م شيد قبته الضخمة ومنارته السلطان العثماني مجيد.

في عام ١٩٦١ تم بناء برج أسطواني بارتفاع ٢٥ م وكسي بالفسيفساء الأزرق والأبيض ليكون جاهزا لاستقبال ساعة الأعظمية التي نصبت في جامع الأمام أبي حنيفة النعمان وفي عام ١٩٧٣ قامت وزارة الأوقاف بكساء البرج بصفائح من الألمنيوم المضلع باللون الذهبي.

يعتبر موقع الضريح مرجع خططي في تاريخ المدينة لأنه حافظ على موقعه الأصلي شمال بغداد خارج المدينة المدورة على جهة الرصافة منذ أكثر من ألف ومئتين وخمسين سنة.



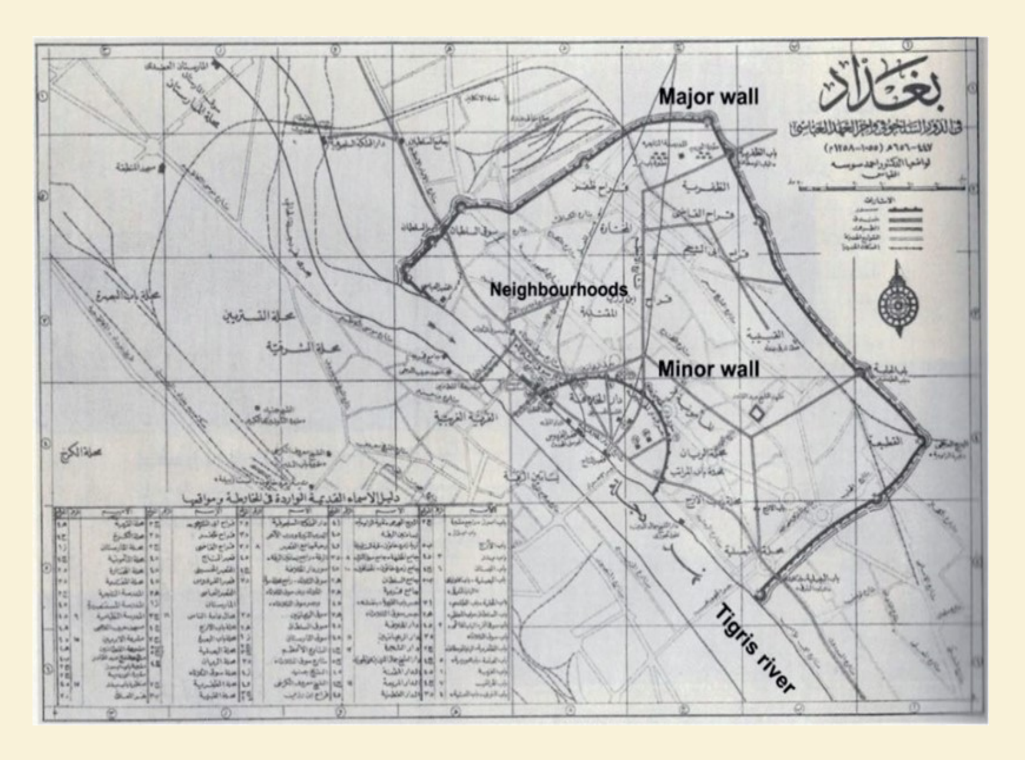
توسعات مدينة بغداد خلال القرن الثامن الميلادي

عدد سكان بغداد في أيام تأسيس مدينة المنصور المعروفة بمدينة دار السلام كان متوسطا ثم توافد الناس إليها من المدن والقرى واتسع العمران لكثرتهم وزيادتهم حيث بلغ سكان بغداد في عهد هارون الرشيد أكثر من نصف مليون نسمة.

من المعالم المعمارية والشواخص التاريخية المهمة في بغداد والى يومنا هذا هو المشهد الكاظمي نسبة الى الإمام موسى الكاظم(ع) الذي دفن في مقابر قريش التي تقع في الجانب الغربيّ من بغداد سنة ٧٩٩ كما دفن معه حفيده محمد الجواد (ع) سنة ٨٢٥ م. المشهد الكاظمي بالإضافة الى رمزه الديني يعتبر مرجع خططي في تاريخ المدينة لأنه حافظ على موقعه الأصلي منذ أكثر من ألف ومئتين وعشرين سنة.

أخذ الناس يسكنون حول المقبرة تقرباً للإمامين عليهما السلام، وصارت تتسع تدريجياً حتى أصبحت قرية خارج بغداد تفصــلها عنها أراضي ومزارع وبســاتين.

ولم يحظ هذا المشهد بالعناية حتى حكم البويهيين حيث بادر الأمير معز الدولة عام ١٠٤٥ م ان يعاد بناء قبري الأماميين وتعقد فوقهما قبتان ويدار حول المقبرة حائط كالسور وجعل للمشهد بهوا واسعا متصل بمسجد وللمسجد مئذنة وفي عام ١٢٤٩ م أمر الخليفة المستعصم بعمارة المشهد الكاظمي وتم في عهد الشاه إسماعيل الصفوي عام ١٥١٩ م تجديد عمارة المشهد الكاظمي على طراز العمارة الفارسية كما هو باق حتى أيامنا هذه. وفي عام ١٥٧٠ تم تجديد المشهد خلال حكم السلطان العثماني سليم الثاني وبناء المنارة في الركن الشرقي من المشهد الكاظمي.



بغداد الخلافة العباسية.**(1055-1258)**

مدينة سامراء العاصمة الجديدة

قرر الخليفة المعتصم عام ٨٣٦ نقل عاصمة الخلافة الى سامراء ٩٠ كيلومتر شمال بغداد ولم يكن قد انقضى على بناء بغداد قرن واحد حتى عرضت للمعتصم فكرة بناء عاصمة جديدة، بعدما ضاقت بغداد بجنده الأتراك الذين أكثر من استخدامهم في الجيش، ولم تسلم العاصمة من مضايقاتهم، حتى أكثر الناس الشكوى من سلوكهم.

عُني الخليفة بتخطيط المدينة سامراء وتقسيمها باعتبارها مركزا حضاريا ومعسكرا لجيشه، ففصل الجيش ودواوين الدولة عن السكان، واهتم بفصل فرق الجيش

بعضها عن بعض، وامتدت المدينة على ضفة دجلة الغربية وكان تخطيط المدينة رائعا، يتجلى في شق عدة شوارع متوازية على طول النهر، يتصل بعضها ببعض عن طريق دروب عدة، وكان أهم شوارع المدينة بعد شارع "الخليج" الذي على دجلة "الشارع الأعظم"، وكان يمتد في عهد المعتصم ١٩ كم من الجنوب إلى الشمال بعرض مئة متر تقريبا.

وكانت المدينة الجديدة جميلة بقصورها الضخمة ومبانيها الرائعة وشوارعها المتسعة، ومسجدها الجامع وغيره من المساجد، فدعيت بـ" سُرّ مَن رأى"، وزاد إقبال الناس على السكنى بها.



جامع ومئذنة الملوية

شيّد الخليفة المتوكل عام ٨٤٨، جامع ومئذنة الملوية ويُعد من أهم منشئات العمارة الإسلامية وتُشاهد آثاره إلى اليوم مع مئذنته الملوية شمال غرب مدينة سامرَّاء الحاليَّة، وتُعتبر أضخم وأبرز الآثار الباقية من مباني سامرَّاء القديمة، وهو

يُعدُّ أكبر جامعٍ في العالم الإسلامي. المئذنة الملوية جاء اسمها من شكلها الحلزوني وهي مبنى من الطابوق الفخاري يبلغ ارتفاعه الكلي ٥٢ مترا وترتكز على قاعدة مربعة ضلعها (٣٣ م) وارتفاعها (٣ م) يعلوها جزء أسطواني مكون من خمس طبقات تتناقص سعتها بالارتفاع يحيط بها من الخارج سلم حلزوني بعرض ٢ متر يلتف حول بدن المئذنة بعكس اتجاه عقارب الساعة ويبلغ عدد درجاته ٣٩٩ درجة.

ومن معالمها الشهيرة أيضا ضريحي الإمامين علي الهادي المتوفي سنة ٨٦٨ م والحسن العسكري المتوفي سنة ٨٧٤ عليهما السلام ذو القبة الذهبية الكبيرة. ظلت مدينة "سامراء" عاصمة الخلافة العباسية لمدّة ٥٦ سنة من سنة ٨٣٦ في عهد الخليفة المعتصم إلى أوائل خلافة المعتضد عام ٨٩٢ الذي قرر نقل مركز الخلافة إلى بغداد

عهود الانحدار والسقوط (٨٩٢-١٢٥٨)

الخليفة المعتضد نقل مركز الخلافة إلى بغداد واستقر في الجانب الشرقي منها في الرصافة وأصبحت الرصافة تمثل بغداد منذ ذلك الحين. وكان من أثر ذلك أن هجر الناس سامراء، وخربت بعد أن كانت تضارع بغداد حسنًا وبهاء، حوت سامراء قبور ستة من الخلفاء العباسيين هم: الواثق، والمتوكل، والمنتصر، والمعتز، والمهتدي، والمعتمد وتكشف الآثار الباقية من سامراء عن مدى التقدم العمراني والحضاري الذي كانت عليه الخلافة العباسية في القرن التاسع.

بدايةً من النصف الأول للقرن العاشر الميلادي وقع تغيّر جذري في العرق الحاكم والمسيطر في الدولة الإسلامية، وذلك عندما وصل ضعف الخلفاء العباسيين إلى مرحلة غير مسبوقة، ما اضطرهم إلى الخضوع لسلطة أسرة من مناطق جنوب شرق بحر قزوين تعرف بالبويهيين وهم من الفرس.

البويهيون في بغداد (٩٤٥ - ١٠٥٥)

كان القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) يشكل مفترق طرق الحضارة العربية الإسلامية بأحداثها الجديدة والمتميزة, فمن ناحية بلغت الفتوحات نهايتها, وبدأت مرحلة تفكك دولة الخلافة الى دويلات منفصلة فعلياً عن بغداد, ومن ناحية ثانية وصلت الحركة الفكرية الحضارية أوجها, ومن ناحية ثالثة عاصرت هذه الفترة السيطرة البويهية على الخلافة وشكلت بداية سيطرتهم فاصلا بين مرحلتين. ومنذ هذه اللحظة، وبالرغم من محاولات بعض الخلفاء إصلاح الأمر، استمرت هذه الحضارة باتجاهها نحو الانحدار وحتى السقوط. ما جعل دولة الخلافة تابعة لأمارة أجنبية هي الإمارة البويهية، ودرج بنو بويه طول فترة حكمهم على مبايعة الخلفاء وإسقاطهم متى ما شاءوا وكيفما شاءوا، وانتقلت سلطات وزير الخليفة الى الأمير البويهي ووزرائه وكتابه، وشارك الأمراء في امتيازات الخلافة وشاراتها وفي ضرب العملة. في سنة ٩٤٥ دخل أحمد بن بويه مدينة بغداد، وذلك بناءً على رغبة الخليفة المستكفي بالله ، فاستقبله، وخلع عليه، ومنحه لقب معز الدولة، ولقَّب أخاه عليًّا عماد الدولة، ولقَّب أخاهما الحسن ركن الدولة، وأمر أن تُضرَب ألقابهم وكُناهم على الدنانير والدراهم.

قام البويهيون بالإبقاء على الطابع القديم بدلا من التغيير الكامل، فقد سمحوا لخلفاء العباسيين من البقاء حبيسي أماكنهم وقصورهم في بغداد وتحول الخلفاء العباسيين الى مجرد اسم وواجهة وكانوا يمارسون الحكم تحت مسمى أمير الأمراء.

كان العهد البويهي يتميز بحرية العقائد وسلك أمرائهم سياسة نشر الثقافة، فقد شجعوا العلوم والآداب والفنون وأشاعوا الحوار والمناظرات الفكرية وكان من أبرز وزرائهم المفكر العربي المعروف الصاحب ابن عباد .

اعتمد البويهيون عامل الحرية الفكرية والتسامح الديني في سياستهم، بل إنهم كانوا يكنوا الاحترام لجميع الأديان وكان لهذه السياسة المتسامحة أثرها الكبير في ازدهار الدولة البويهية ورقيّها وتمدّنها وعاش الناس في رخاء ودعة بعيداً عن النعرات الطائفية والصراعات المذهبية، يقول ابن كثير: (كان الأمراء البويهيون معروفون بالسلوك المهذب والأدب الرفيع، يظهرونه في المحافل الرسمية وكانوا أكثر الناس إتباعاً للأصول والمجاملات المتمثلة بالاحترام المفرط حتى أصبحوا مضرباً للأمثال).

بالرغم من اختلال النظام والفوضى السياسية إلا ان بغداد بقيت مركزا ثقافيا فعدم وجود سلطة سياسية حازمة كان يعني ان حوارا حرا وتبادل الآراء كان أفضل مما لو كان هناك نظام حازم متسلط. لم يمضِ وقت طويل على دخول البويهيين عاصمة الخلافة العباسية حتى عملوا على خلع الخليفة المستكفي بالله، ثم ولوا من بعده خلفاء لم يكن لهم من الأمر شيء سوى ذكر اسمهم في الخطبة، ومن ثَمَّ أقام البويهيون في بغداد إمارة وراثية، إلا أنهم لم يلبثوا أن تنازعوا على الحكم وظلَّت دولتهم قائمة لغاية عام ١٠٥٥.

بغداد زمن البويهيون

تميز الحكم البويهي بتشييد مبان وقصور عديدة في عاصمة الخلافة بغداد ومن القصور المشهورة قصر "الدار المعزية" نسبة الى الأمير معز الدولة موقعه في منطقة الصليخ الحالية والحق به بستانا ولإرواء البستان شق جدولا من الخالص وبنى جسرا يربط بين الرصافة والجانب الغربي من بغداد ومن المباني الأخرى التي شيدت خلال حكم الأمير عضد الدولة في الجانب الغربي من بغداد مستشفى يعرف

باسم "المارستان العضدي"[2] نسبة الى مشيده وهو مجموعة من البنايات الواسعة يأوي اليها المعوزون من المرضى رغبة بالشفاء وزود بالأطباء والمعالجون والأدوية [3].

وقد وضع لهذا (البيمارستان) برنامج غاية في الدقة والعناية وقُسّم إلى قسمين ـ للرجال والنساء ـ كما قسم كل قسم من هذين القسمين إلى عدة أقسام ضمّ كل قسم قاعات كبيرة لعلاج كافة الأمراض على يد أمهر الأطباء وكانت تجرى في تلك القاعات العمليات الجراحية بشقيها (الصغرى والكبرى) ويجري العمل في هذا المستشفى ليلاً ونهاراً حيث يتناوب مجموعة من الأطباء الاختصاصيين في مختلف فروع الطب العمل فيما بينهم، ويشرف على كل مجموعة منهم طبيب لمتابعة مجريات العمل وتفقد أحوال المرضى، كما ويرافق الأطباء في عملهم مساعدون من الممرضين والمشرفين والخدم يقومون على خدمة المرضى وتقديم الطعام والعلاج لهم.

وضم هذا البيمارستان أيضا إضافة إلى هذه الأقسام الداخلية عيادات خارجية تقدم خدماتها للمرضى من علاج ودواء من الذين لا يستوجب بقاؤهم في البيمارستان، حيث يقوم طبيب متخصص بكتابة (وصفة) الدواء على ورقة وإعطائها للمريض الذي يستلم بها دواءه من صيدلية البيمارستان ليتابع العلاج في بيته، وتحتوي الصيدلية على أنواع مختلفة من الأدوية لكافة الأمراض. وقد اعتنى معز الدولة بهذا البيمارستان عناية فائقة وأنفق عليه أموالاً طائلة يقول عنه ابن خلكان عنه: (وليس في الدنيا مثل ترتيبه) وقد خصص لإدارته (ناظراً) كفؤا يقوم بالأمور المالية ويصرف

---

[2] وهي لفظة فارسية مركبة من كلمتين: بيمار وتعني المريض، وستان وتعني الدار، وهي تطلق على المستشفى أو دار المرضى،

[3] للدكتور مصطفى جواد والدكتور احمد سوسة*كتاب خارطة بغداد المفصلة*

رواتب الأطباء وبقية العاملين في المستشفى من الأموال التي تُرصدها الأوقاف وهذا المنصب من الوظائف الديوانية المهمة والكبيرة في الدولة ولا يتبوأ إلا الأشخاص الأكفاء الأمناء.

أنشأ شرف الدولة عام ٩٨٩ مرصدا فلكيا وجمع فيه الفلكيون وفي عهد بهاء البين سنة ٩٩١ تم إنشاء مكتبة سميت بدار العلم فيها أكثر من عشرة الاف مجلد من الكتب الخطية النفيسة. يتردد اليها العلماء والفلاسفة والباحثون من عراقيين وأجانب ومن أشهر من قصدها الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعري[٤].وشيد جسر ثاني في بغداد أخر عهد البويهيون سمي جسر سوق الثلاثاء.

قام عضد الدولة البويهي ببناء بيوت حول المرقد الشريف لتشجيع الزوار والوافدين للإقامة في هذه المنطقة وكانت هذه البيوت هي بداية مشروع تأسيس مدينة.

أمر معز الدولة بقلع العمارة المبنية على القبرين، ورفع الضريحين السابقين، وبنى عمارة جليلة في مكانها ووضع على القبرين الشريفين ضريحاً خشبياً من خشب الساج جميل الشكل حسن الطراز وتعلو العمارة وأمام العمارة القائمة صحن واسع رفيع الجدران .

تدهورت الأحوال الداخلية في منطقة بغداد وذلك بفعل الخلافات الأُسرية داخل البيت البويهي. إذ قامت النزاعات والتنافسات بين الأمراء البويهيين من جهة وبينهم وبين الجند من جهة أخرى، كما انتشرت الفتن بين الجند وتحول الجانب الشرقي من بغداد تدريجيا باتجاه الجنوب حيث تقلص حجمه كما تقلص الجانب الغربي من المدينة الى قرية تدعى الكرخ.

---

[٤] ابن الأثير

بسبب هذا التنافس العائلي، وبسبب ثورات الجند المستمرة، وفقد الأمن والاستقرار في بغداد. رأى الخليفة العباسي القائم أن عليه الاتصال بالسلاجقة وهم من أصل تركي عام ١٠٥٥ خاصة وأنها كانت تحترم الخلافة، وتدين لها بالولاء. فاستنجد بالسلطان السلجوقي طغرل بك طالباً مُساعدته. سنحت للسلطان السلجوقي طغرل بيك هذه الفرصة، وقاد بجيوشه إلى عاصمة الخلافة العباسية بغداد.

السلاجقة في بغداد (١٠٥٥ - ١١٥٢)

دخل السلطان السلجوقي طغرل بيك عاصمة الخلافة العباسية بغداد في عام ١٠٥٥ واستقبله الخليفة العباسي القائم بأمر الله استقبالاً عظيماً، وخلع عليه خلعة سنية، وأجلسه إلى جواره، وأغدق عليه ألقاب التعظيم، ومن جملتها أنه لقبه بالسلطان ركن الدين طغرل بك. كما أصدر الخليفة العباسي أمره بأن ينقش اسم السلطان طغرل بك على العملة، ويذكر اسمه في الخطبة في مساجد بغداد وغيرها وهكذا دخل العراق ضمن دائرة نفوذ السلاجقة وانتهى الدور البويهي حيث كان الخليفة لا يتمتع بشيء من سلطة الخلافة الحقيقي وتسيير الخليفة العباسي حسب إرادتهم وكان حُكم السلاجقة يمثل سلطة فاعلة إلى جوار سلطة رمزية للخليفة العباسي، بينما الحاكم الفعلي هو السلطان السلجوقي.

وتوطيداً للروابط بين الخليفة العباسي القائم بأمر الله، وبين زعيم الدولة السلجوقية طغرل بك، تزوج الخليفة من ابنة جفري بك الأخ الأكبر لطغرل بك، وذلك في عام ١٠٥٩ . ثم في عام ١٠٦٢ تزوج طغرل بك من ابنة الخليفة العباسي القائم بالله.

لم يستقر السلاجقة ببغداد وحكموها من عاصمتهم أصفهان وكانوا ينيبون عنهم من يقومون مقامهم بحكم بغداد.

بغداد زمن السلاجقة

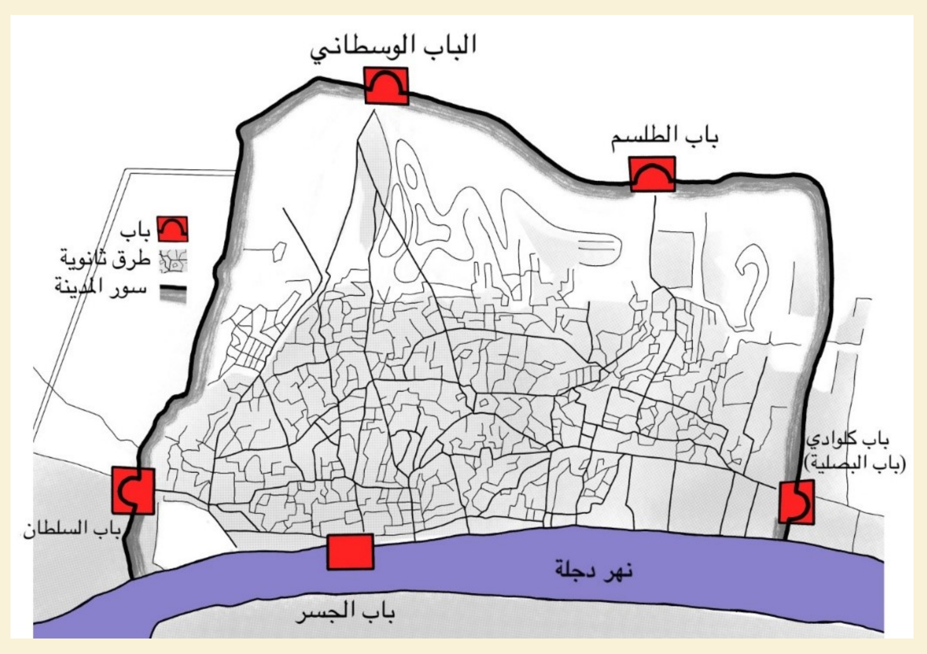
من الأبنية المهمة التي شيدت في عام ١٠٥٦ المدرسة النظامية وهي أول مدرسة في التاريخ الإسلامي تشرف عليها الدولة حيث كان العلم يدرس في المساجد، ثم انتقل مع اكتظاظ المساجد بطلبة العلم، إلى بعض الدور الأهلية التي عرفت بدور العلم، إلى أن أتى الوزير نظام الملك وأنشأ المدرسة النظامية في الجانب الشرقي(الرصافة) من بغداد.

انتشرت بعد ذلك المدارس النظامية -نسبة إلى نظام الملك- في كل أنحاء مدن الدولة الإسلامي. احتوت المدرسة على مكتبة فخمة فيها ألوفاً من الكتب وظلت المدرسة قائمة الى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي وللأسف إن هذه الخزانة العظيمة اندثرت وانمحت من الوجود وضاعت جميع كتبها كما انمحت آثار هذه المدرسة العظيمة التي هي أول المدارس في الإسلام. زارها الرحالة ابن بطوطة عام ١٣٢٧ أي بعد الاجتياح المغولي بجدود سبعون عام ويصفها بانها أفخم مدرسة في بغداد التي تجاوز عدد مدارسها عن الثلاثين مدرسة وكانت المدرسة لا تزال بوضع جيد. وقد أنشئت في العهد السلجوقي أيضا "المدرسة التاجية نسبة الى تاج الملك وزير السلطان ملكشاه و"المدرسة البهائية" نسبة الى السلطان بهاء الملك. وفي عام ١٠٩٥ بوشر في عهد الخليفة المستظهر بالله إنشاء السور الكبير لبغداد الشرقية وأكملهم الخليفة المسترشد بالله سنة ١١٢٣.

آثار هذه المدرسة العظيمة التي هي أول المدارس في الإسلام. زارها الرحالة ابن بطوطة عام ١٣٢٧ أي بعد الاجتياح المغولي بجدود سبعون عام ويصفها بانها أفخم

مدرسة في بغداد التي تجاوز عدد مدارسها عن الثلاثين مدرسة وكانت المدرسة لا تزال بوضع جيد. وقد أنشئت في العهد السلجوقي أيضا "المدرسة التاجية نسبة الى تاج الملك وزير السلطان ملكشاه و"المدرسة البهائية" نسبة الى السلطان بهاء الملك. وفي عام ١٠٩٥ بوشر في عهد الخليفة المستظهر بالله إنشاء السور الكبير لبغداد الشرقية وأكملهم الخليفة المسترشد بالله سنة ١١٢٣.

هذا السور حدد شكل البنية الحضرية لأكثر من سبعة قرون تالية وقد حفر خندق أمام هذا السور الذي بلغ طوله ٩٦٨٨ مترا وعرضه ٥,٥ مترا وبعمق خمسة أمتار. وكانت له أبواب وهي الباب الشمالي (باب السلطان) يقع في منطقة باب المعظم الحالية والباب الثاني (باب الظفرية) وكان يعرف (باب خراسان) قرب محلة باب الشيخ حاليا ويعرف أيضا ب (الباب الوسطاني) أما الباب الثالث فيعرف باب الحلبة لقربه من حلبة سباق وعرف لاحقا بأسم باب الطلسم والباب الرابع باب البصلية أو باب كلواذي أو ما يعرف حاليا الباب الشرقي إضافة الى باب الطاق أو باب الجسر من جهة النهر باتجاه الغرب



مخطط يوضح سور بغداد وبواباته في الرصافة

في البداية كانت وضيفة السور دفاعية لكنها تقلصت بمرور الزمن وليصبح لاحقا حافظا للمدينة من خطر الفيضانات والمحدد الأساسي لرقعة المدينة الحضرية.

ساهم سور المدينة في تحديد اتجاهات الأزقة داخل المدينة ومنح السور أهمية لنهر دجلة كمفردة تخطيطية ليكون وسيلة نقل وواسطة تنقل واستخدام ضفافه الفسيحة والمفتوحة كمكان للراحة معوضا عن غياب الفضاءات المفتوحة في النسيج المتراص للمدينة.

تقلصت مدينة بغداد من حيث سعة المساحة فانحصر معظم عمرانها في أخر العهد السلجوقي في القسم الشرقي من المدينة الواقع داخل السور الكبير ذي الأبواب الأربعة وكان هذا السور يضم دار الخلافة واهم محلات بغداد الشرقية وأسواقها ودورها القائمة.

بغداد ونهاية عصرها الذهبي (١١٥٢-١٢٥٨)

قاد الخليفة العباسي المستعصم بالله بنفسه جيشا ضد السلطان مسعود السلجوقي وتمكن من تطهير دولة الخلافة من السلاجقة بالعراق عام ١١٥٢ لتبدأ ما يعرف بالفترة العباسية الثالثة (١١٥٢ – ١٢٥٨) التي انتهت باحتلال بغداد من المغول عام ١٢٥٨.

شهد هذا العصر الذي استمر ما يزيد عن قرن من الزمان انبعاث الحياة من جديد في بغداد وبدأت تزدهر وتتطور منطقة دار الخلافة ويحوي قصور وبنايات ودواوين الدولة ووفقا للمصادر التاريخية فان منطقة دار الخلافة شملت ما يزيد عن ربع مساحة بغداد. وقد بقيت بعض هذه المباني التي بنيت في تلك الفترة قائمة حتى اليوم منها القصر العباسي وجامع الشيخ معروف والمدرسة المستنصرية ومرقد الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي وهو دليل لبراعة البنائيين العباسيين في تلك الفترة.

قام الخليفة المستضيء عام ١١٧٠ م ببناء سُوَر بغداد من جديد وتشييد قصر الرياحين وقام الخليفة الناصر في عام ١١٩٦ م بإصلاح وترميم سور بغداد الشرقية وتم عام ١٢٢١ م ترميم بناء باب الحلبة (باب الطلسم) في سور بغداد الشرقية وفي عام ١٢٢٩ م تم إنجاز بناء سور الرصافة بالآجر وفي عام ١٢٣٢ م قام الخليفة المستنصر بإعادة بناء جامع الخلفاء الذي بناه الخليفة المكتفي عام ٩٠٢ م. في العصر العباسي الأخير تقلصت مساحة بغداد وانحصر معظم عمرانها في الجانب الشرقي الواقع داخل السور الكبير وقد وصف الرحالة ابن جبير الأندلسي[٥] في رحلته عند زيارته لبغداد سنة ١١٨٤ م (فذكر ان الجانب الغربي من بغداد قد عم عليه

---

[٥] ابن جبير من أشهر الرحالة المسلمين الذين قاموا برحلات إلى المشرق العربي، دون خلالها الكثير من المعلومات فكانت رحلته مصدراً مهماً للباحثين في مجال التاريخ والاجتماع والحضارة العربية في القرن السادس والسابع الهجري..

الخراب ولكنه مع استيلاء الخراب عليه يحتوي على سبع عشرة محلة كل محلة منها مدينة مستقلة وفي كل واحد منها الحمامات وصلاة الجمعة في ثمان منها وأكبرها القرية التي نزلنا فيها ثم الكرخ وهي مدينة مسورة ثم محلة باب البصرة وهي أيضا مدينة وبها جامع المنصور أما الجانب الشرقي ففيه دار الخلافة وفيها من المناظر والقصور الرائقة والبساتين الأنيقة)

اهم ما أنشئ من المباني في أخر العهد العباسي" المدرسة المستنصرية " نسبة الى الخليفة المستنصر بالله، الذي أتم بنائها عام ١٢٣٣ وهي لا تزال قائمة حتى الآن. المستنصرية   مدرسة عريقة وكانت مركزا علميا وثقافيا هاما تقع في جهة الرصافة من بغداد تطل على شاطئ نهر دجلة بجانب "قصر الخلافة" بالقرب من المدرسة النظامية، وشيدت على مساحة ٤٨٣٦ متراً مربعاً من طابقين شيدت فيهما مئة غرفة بين كبيرة وصغيرة إضافة إلى الدواوين والقاعات والحمامات ومستشفى. تتوسط المدرسة نافورة كبيرة فيها ساعة المدرسة المستنصرية وهي ساعة تعد شاهداً على تقدم العلم في بغداد في تلك الحقبة من الزمن تعلن أوقات الصلاة على مدار اليوم.

كانت المكتبة زاخرة بأعداد ضخمة من المجلدات النفيسة والكتب النادرة وتعد مرجعاً للطلاب. قصد المكتبة الكثيرون من العلماء والفقهاء وترددوا عليها وأفادوا من كنوزها العلمية والأدبية نحو قرنين من الزمن. وقد نقل الخليفة المستنصر بالله، نفائس الكتب من مختلف العلوم والمعارف ما يقدر بـ ٨٠ ألف مجلد بحسب الصنوف. يتم اختيار الطلاب من المدارس المختلفة ومن الذين اشتهروا بالتأليف والتصنيف والتدريس من مختلف المدن العراقية والبلدان الإسلامية كالأندلس ومصر، والشام وأصفهان وخراسان. نجت المدرسة من احتلال المغول لبغداد عام ١٢٥٨حيث وصفها ابن بطوطة عند زيارته لبغداد عام ١٣٢٧.

على الرغم من الانحطاط والتدهور في ذلك العهد فقد كانت بغداد من السعة بحيث تضاهي بعض مدن العالم الكبرى فقد كان بها ٣٦ جامع خطبة و٤٠٠٠ مسجد و٩٨٠ خانا و٣٨ مدرسة و٣٦ سوق و٢١٠ حمام و٤٢٠٠ مطحنة و٩٩ معصر للزيت و١٠٢٥ موقع لشرب الماء و١٨ كنائس لليهود ٤٨٥١٥ حانوت منها ١١ التي يباع فيها العطور و١٠٦٠ قنطرة و٣٦ بستان داخل المدينة و٩٥ بستان خارج المدينة و٩ أبواب للمدينة وجسور ثلاثة وعدد كبير من القرى موجودة على جانبي النهر و٢٥٠ مشغل لحياكة النسيج التي يحاك فيها الخام والحرير وغيرها.[٦]

حكم بغداد الخليفة المستعصم بالله بين عامي ١٢٤٢ و١٢٥٨ بعد أبيه المستنصر بالله. وتضاؤل العمران في مدينة بغداد وذلك على إثر انحطاط الدولة العباسية فانزوى الخليفة داخل قصوره المحصنة ليدافع عن نفسه وقد بقيت عاصمة الخلافة في معزل عن كل نجدة من الخارج حتى انه عندما قرر هولاكو غزوها استطاع ان يحقق أهدافه من غير ان يلاقي مقاومة منظمة مما كان سببًا في دخول جيش هولاكو بغداد وقُتِل المستعصم وانتهت الخلافة العباسية ببغداد.

[٦] كتاب الدار المكنون في المأثر الماضية من القرون للكاتب ياسين العمري عام ١٨٠٤

الفصل الثاني

بغداد

المغول والتتار (١٢٥٨-١٤٠١)



كتب على مدينة بغداد منذ بنائها على يد أبي جعفر المنصور في منتصف القرن الثامن الى مقارعة الحروب ومنازلة الغزاة بمعدل مرة في كل ثلاثين عاما تقريبا حيث عانت بغداد منذ احتلال هولاكو سنة ١٢٥٨ وبقيت تقاذفها أمواج الحروب من منتصف القرن الثالث عشر فتتناوبها أيدي الحكم من احتلال الى أخر زهاء أربعة قرون الى ان احتلها السلطان العثماني مراد الرابع في سنة ١٦٣٨ م وبقيت منذ ذلك الزمن تحت حكم العثمانيين حتى الاحتلال البريطاني عام ١٩١٧ ثم بعد فترة من الحكم الوطني تم احتلالها من الامريكان عام ٢٠١٣.

بغداد في عهد المغول الأيلخانين (١٢٥٨ - ١٣٤٠)

حلت كبرى الكوارث، حين زحف المغول على بغداد بجيشهم ليجد المستعصم بالله، آخر الخلفاء العباسيين، نفسه مضطراً للاستسلام في عام ١٢٥٨. بعد أن ألقى أهل مدينة بغداد السلاح، أصدر هولاكو أمره باستباحة بغداد وأتوا على كل ما فيها، فخربوا المساجد بقصد الحصول على قبابها الذهبية، وهدموا القصور بعد أن سلبوا ما بها من تحف نادرة وأباحوا القتل والنهب وسفك الدماء.

حكمت الدولة الايلخانية منذ عام ١٢٥٨ ولغاية ١٣٤٠ ويعود أصل المغول إلى هضبة منغوليا على أطراف بلاد الصّين الشّماليّة، استطاعوا تأسيس الإمبراطوريّة المغوليّة التي امتدت من سيبيريا وبحر البلطيق شمالاً إلى حدود الجزيرة العربيّة الشّماليّة وبلاد الشّام وفلسطين جنوباً، ومن الجزر اليابانيّة والمحيط الهادئ من الشّرق إلى وسط القارّة الأوروبيّة من الغرب.

حمل التتار ملايين الكتب الثمينة والقيمة، وألقوا بها جميعًا في نهر دجلة، ألقى المغول مجهود القرون الماضية في نهر دجلة، وتحول لون المياه إلى اللون الأسود من أثر مداد الكتب حتى قيل إن المغول كانوا يعبرون فوق المجلدات الضخمة من ضفة إلى ضفة أخرى.

بعد أن فرغ المغول من تدمير مكتبات بغداد انتقلوا إلى القصور الجميلة، وإلى المباني الأنيقة فتناولوا جلها بالتدمير والحرق، وسرقوا المحتويات الثمينة فيها، ما عجزوا عن حمله من المسروقات فقد احرقوه وظلوا كذلك حتى تحولت معظم مرافق المدينة إلى ركام، وإلى خراب تتصاعد منه ألسنة النار والدخان.

بعد فورة التدمير وهدوء الحال اعتنق المغول الايلخانيون ممن جاء بعد هولاكو الدين الإسلامي وقامت السلطة الجديدة بأنشاء عدد من المباني حيث تم تشييد مئذنة جامع الخليفة في بغداد التي تم تشييدها في سنة ١٢٧٩م في عهد "أباقا ابن هولاكو" والمئذنة لا تزال قائمة الى يومنا هذا متحدية الزمان وتعرف باسم "منارة سوق الغزل".

زار الرحالة المغربي ابن بطوطة بغداد عام ١٣٢٧ م فوجد ان لبغداد جسران يربطان الجانب الغربي بالجانب الشرقي والجانب الغربي يتكون من ثلاث عشرة محلة فيه أحد عشر مسجدا أما الجانب الشرقي فيوجد فيه سوق الثلاثاء وثلاثة جوامع أحدها جامع كبير فيه سقايات للوضوء والغسل.

بغداد في العهد الجلائري (١٣٤٠ – ١٤١٠)

احتلت بغداد عام ١٣٤٠ من الجلائريين وهم تجمع قبائل تترية لا ينحدر منها أصل قبيلة هولاكو وتميزت بغداد خلال السلطنة الجلائرية بالجمود والتمزق الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وشهدت هذه الفترة إنشاء المدرسة المرجانية عام ١٣٥٦ من قبل أمين الدين مرجان التي أسست لتدريس الفقه الشافعي والفقه الحنفي ولكثرة ما اعتاد الناس الصلاة في مصلى هذه المدرسة في العصور الأخيرة سماها الناس (جامع مرجان) وهي تعرف اليوم بهذا الاسم (خان مرجان) اللذان بنيا ضمن سوق الثلاثاء الى الشمال من دار الخلافة.

تيمورلنك في بغداد

كان تيمورلنك (١٣٣٦- ١٤٠٥) من سلالة أحد وزراء المغول، وكان مولده بإحدى قرى سمرقند في وسط آسيا، يعود نسبه إلى أحد القبائل المغولية القديمة التي كانت تدين بالطاعة لجنكيزخان وأولاده، لُقّب تيمور بالأعرج وتعني "لنك"، لعرج وشلل كان في قدمه، ورغم تلك الإعاقة تميز منذ نشأته الأولى بالشجاعة والجرأة وحب المغامرة.

استولى تيمورلنك على بغداد عام ١٣٩٣ وقتل عشرات الألاف ونهب أموالها وكنوزها. وطرد الجلائريين وحكم لغاية عام ١٤٠١ ثم تم طرده وعاد تيمورلنك إلى بغداد فحاصرها أربعين يوما وضربها بالمنجنيق ودخلها عام ١٤٠٥ وبقي فيها هذه المرة زهاء خمس سنوات. دخلت بغداد في حالة من الفوضى إذ غادرها تيمورلنك وعين نائبا عنه عائدا لسمرقند عاصمة دولته ومات بعد فترة قصيرة.

استغلت قبيلة تركمانية كانت تسيطر على مناطق شرق الأناضول هذه الفوضى ودخلت بغداد واستولت على السلطة فيها وسميت هذه الدولة دولة الخروف الأسود (١٤١٠ -١٤٦٩) وجاءت هذه التسمية بسبب اشتهار قبيلة هذه الدولة باقتناء الشياه السوداء.

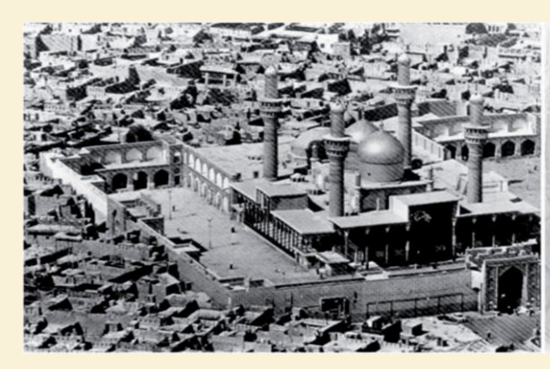
ثم استولى على بغداد قبيلة تركمانية اخرى عام ١٤٦٩، وسميت هذه الدولة "دولة الخروف الأبيض" حكمت حتى استيلاء الفرس على المدينة سنة ١٥٠٨

الصفويون في بغداد

في عام 1501م قامت الدولة الصفوية في أذربيجان واتخذت من تبريز عاصمة لها، ثم لم تلبث حتى اكتسحت إيران كلها . بغداد كان يحكمها مراد بگ حفيد حسين الطويل مؤسس دولة الخروف الأبيض دولة آق قوينلي وفي زمن أخر حكام هذه

الدولة لبغداد ظهرت الدولة الصفوية وحمل الشاه إسماعيل الصفوي على بغداد بعد ان اخضع لسلطته بلاد فارس وأذربيجان وكردستان وخراسان وديار بكر وتغلب على مراد بگ وقضى على دولة رايات الخروف الأبيض

خضعت بغداد للحكم الصفوي نحو أربعين سنة من ١٥٠٨م الى ١٥٣٤ م خلال حكم الشاه إسماعيل الصفوي والشاه طهماسب الأول .بعد ان استقرت بغداد تحت السلطة الصفوية تم تعيين إبراهيم خان حاكما عليها وتمت إعادة بناء مرقد الإمامين الكاظمين من قبل الشاه إسماعيل





مرقد الأمامين الكاظمين[٧]

بعد وفاة الشاه إسماعيل هاجم بغداد الأمير ذو الفقار من قبيلة كلهور الفيليه وضم بغداد مدة ستة سنوات الى دولته في لورستان التي تقطن الحدود العراقية الإيرانية واحتمى بالدولة العثمانية ولكن الصفويون بقيادة الشاه طهماسب دخلوا بغداد للمرة الثانية عام ١٥٣٠ وحكموها لخمس سنوات ثم اضطروا الى الجلاء عن المدينة

---

[1] [7] Al-Rahmani SF. Principles for Urban Renewal in Iraq: A Study to Develop Town Planning Principles for the Renewal of the Iraqi Cities with Particular Reference to Baghdad Central Area. Manchester, UK: University of Manchester; 1986

ثانية وتسليمها الى الأتراك العثمانيين حين دخلها السلطان سليمان القانوني عام ١٥٣٤ وتم تعيين سليمان باشا واليا على بغداد حيث خضعت بغداد للدولة العثمانية.

ثم جاءت بعد ذلك قبيلة موصلو الكلهورية الكردية فنازعت الفرس على بغداد واحتلت بغداد مدة ستة سنوات إلا ان الفرس تمكنوا من استرجاع بغداد وحكموها لخمس سنوات ثم اضطروا الى الجلاء عن المدينة ثانية وتسليمها الى الأتراك العثمانيين حين دخلها السلطان سليمان عام ١٥٣٤

في الفترة الممتدة من بداية القرن الخامس عشر حتى بداية القرن العشرين تناوب الفرس والأتراك على احتلال بغدلد وتدمير المدينة بسبب نزاعهم المستمر وقتل أهاليها وتشريدهم حيث تدهورت العمارة في بغداد وعانت مدينة بغداد من الانحطاط والركود خلال أربعة قرون وانتشار الأوبئة والأمراض و الفيضانات وغرق بغداد بجانبيها لمرات متعددة وخراب محلات فيها والقضاء على معظم سكانها.

بغداد في العهد العثماني الاول (١٥٣٤-١٦٢٢)

ظلت بغداد تحت الحكم العثماني زهاء تسعين سنة ثم تمكن الفرس من احتلالها للمرة الثالثة في سنة ١٦٢٢ خلال عهد الشاه إسماعيل الصفوي غير انهم بعد ستة سنوات طردوا من بغداد بعد احتلال السلطان العثماني مراد الرابع عام ١٦٣٨ لمدينة بغداد وبداية العهد العثماني الثاني وانتهاء الحكم الفارسي.

بغداد في العهد العثماني الثاني (١٦٣٨-١٩١٧)

حكم الأتراك العراق وبغداد بصورة مستمرة فترة طويلة الأمد قاربت الثلاث قرون (١٦٣٨-١٩١٧) وشهدت مدينة بغداد إهمال للمدينة وتدمير ارثها الحضري والتاريخي حيث يتعاقب عليها الولاة العثمانيون ويبدلون بشكل متسارع بعد

فقدان بغداد أهميتها الاستراتيجية لانكفاء الخطر الفارسي الصفوي عن الدولة العثمانية.

تولى ولاة كثيرون ولاية بغداد وهم في الغالب من ذوي النزعة غير الإصلاحية فتركوا مدينة بغداد تعاني الإهمال والجهل والمرض و تدهور الحالة الاقتصادية ولم يكن هم الولاة إلا جباية الضرائب وجمعها وأرسالها الى العاصمة العثمانية إسطنبول ولكن بعض الولاة وهم أفراد قلائل بذلوا جهدا في أعمار بغداد سيشار إليهم لاحقا.

مر الحكم العثماني لبغداد بمرحلتين رئيسيتين حيث امتدت المرحلة الأولى للفترة (١٧٠٤-١٨٣١) بسبب ضعف السلطة المركزية للحكومة العثمانية تمثلت بظهور الحكم المطلق المحلي للولاة بما يعرف بحكم المماليك العثمانيون حيث يحافظ الوالي على شرعية حكمه بتحويل الأموال باستمرار الى خزينة إسطنبول.

تميزت هذه الفترة بتعاقب الولاة على السلطة في بغداد، وظهور دور ملحوظ للقوى الأوروبية في إسناد ترشيح من ينصب لولاية بغداد ممن يجدون في تعيينه ما يحقق لهم مزيدًا من المصالح في فكان تعيين سليمان باشا الكبير سنة ١٧٨٠ بدعم كل من المقيم البريطاني في البصرة والسفير البريطاني في إسطنبول. كما جاء تعيين خلفه علي باشا سنة ١٨٠٢م بتدخل من المقيم البريطاني في بغداد، بينما وصل سليمان باشا الملقب بالصغير إلى الحكم سنة ١٨٠٨م بمساندة ودعم من الفرنسيين.

ضرب مرض الطاعون بغداد في عامي ١٧٧١ و١٨٠١ فهدم معالمها ونالها الخراب. من أبرز الشواخص المعمارية خلال هذه الفترة إنشاء جامع الخلفاء الحالي في سوق الغزل وتشييد سور للجانب الغربي للمدينة، والمدرسة المرجانية وتوسيع وتجديد

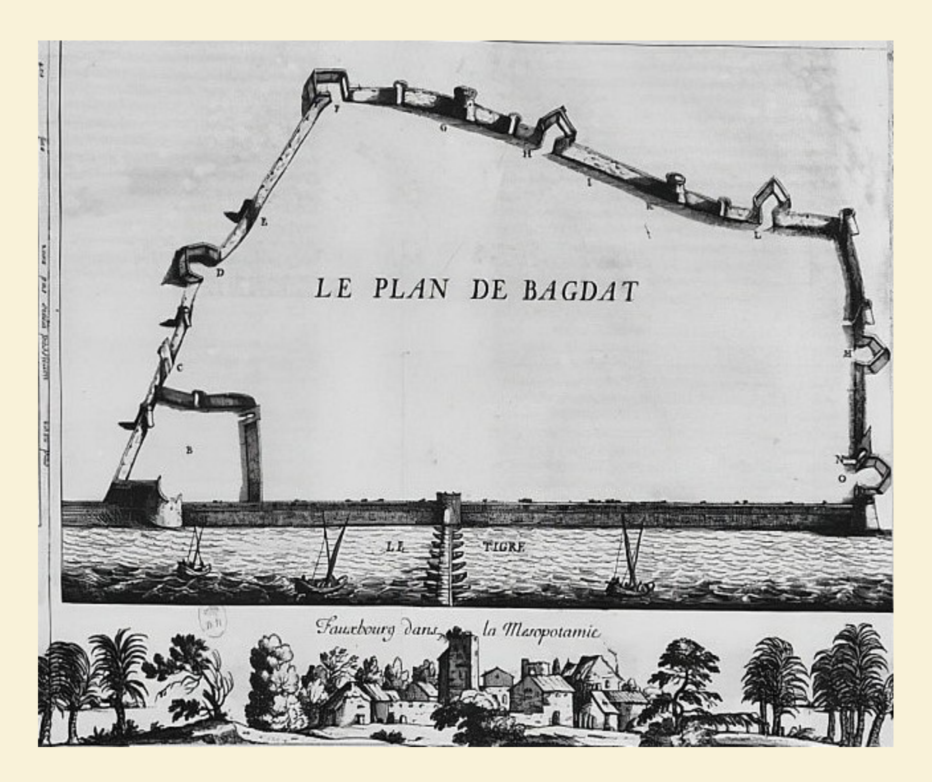
جامع الفضل، وكذلك بناء جامع الحيدر خانة الذي شيده الوالي داوود باشا سنة ١٨٢٧.

وفي المرحلة الثانية (١٨٣١-١٩١٧) استطاعت الدولة العثمانية العودة للحكم المباشر لولاية بغداد بعد القضاء على المماليك في عام ١٨٣١ وعينت الدولة العثمانية الوالي علي رضا باشا واليًا على بغداد وعمل على توطيد نفوذه في البلاد. وسيتم استعراض اهم الشواخص المعمارية خلال الفترة الثانية وأسماء الولاة ومن أبرزهم الوالي مدحت باشا لاحقا خلال هذا الفصل.

عمارة بغداد في القرن السابع عشر

العراق بآثاره وحضارته جذب الزوار والسياح والمستشرقين على الدوام، كان أول الرحالين الذين وصفو بغداد خلال القرن السابع عشر وصفا وافيا (تافرانييه) الفرنسي فقد مر بالعراق في سفره للهند ورجوعه منها سنة ١٦٣٢ ميلادي (تحت الحكم الفارسي) وسنة ١٦٥٢ ميلادي (تحت الحكم العثماني).

يقول تافرانييه" إن محيطها بحدود ثلاثة أميال (أقل من خمس كيلومترات)، مدينة ساذجة البناء لا جمال فيها وعدد نفوسها أقل من خمسة عشر إلف نسمة وهذا يدل على إن المدينة لم تكن مأهولة بما يناسب سعة رقعتها".



بغداد كما رسمها تافرانييه عام ١٦٧٦

عمارة بغداد في القرن الثامن عشر

قام الرحالة الألماني كارستن نيبور، برحلة إلى العراق، بتكليف من ملك الدانمارك، امتدت ست سنوات في الفترة (١٧٦١ -١٧٦٧)، زار خلالها إسطنبول ومصر وجدة واليمن والهند، وبعد ذلك عبر بلاد فارس والعراق والشام ليوثق واقع تلك البلدان لساسة أوروبا.

وصل الرحالة نيبور بغداد عام ١٧٦٥ ومكث في بغداد حوالي ثلاثة أشهر، ووضع خارطة لمدينة بغداد واشر عليها بعض أثارها المهمة والتي كانت قائمة في ذلك الوقت والتي لا يزال بعضها قائما حتى اليوم كساحة الميدان وبناية السراي والأسواق الرئيسية كشارع الكيلاني والمستنصر. وتعد خارطته، واحدة من أقدم

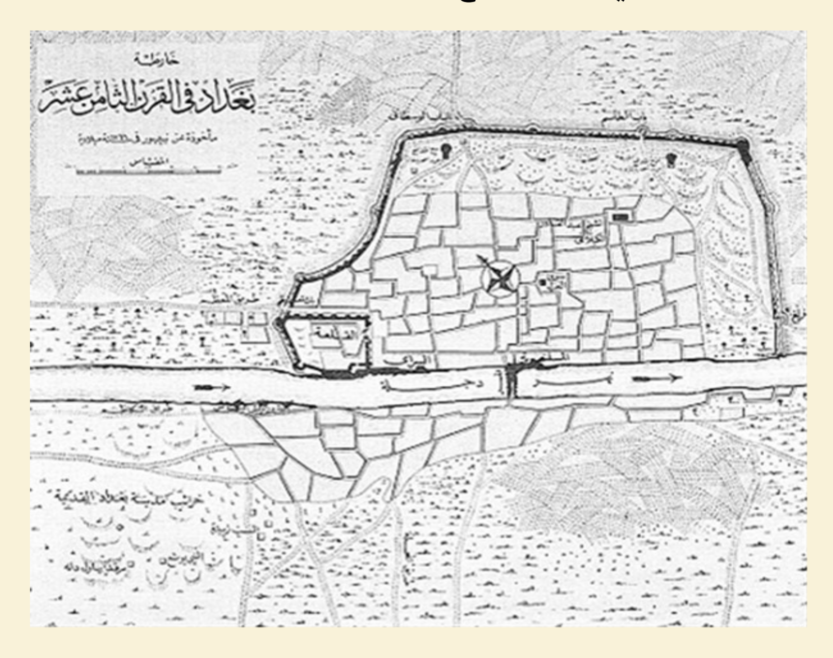
الخرائط التي وصلتنا، وهي لهذا تتمتع بأهمية وثائقية كبيرة، مثلما هي تكشف عن أحوال المدينة، الواقعة على ضفتي نهر دجلة، وأساليب عيش سكانها وعملهم إبان تلك الفترة التاريخية.

يصف نيبور بغداد بأنها كثيرة البساتين وشوارعها ضيقة وأسواقها مسقوفة. ويقول إن أبوابها الرئيسية ثلاثة. الباب الأول هو باب المعظم نسبة إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة، (وقد نسفه الأتراك بعد انسحابهم من بغداد إثر دخول الجيش البريطاني في عام ١٩١٧). والباب الثاني هو الباب الوسطاني، وهو ما يزال قائماً والباب الثالث، هو باب الطلسم ومكانه باب الشرقي الحالي، وقد هدم منذ زمن طويل، ويقع السراي الذي هو قصر الباشا العثماني على نهر دجلة، والذي لا يزال قائماً في نفس المكان بعد أن تم تجديده وتوسيعه في القرن التاسع عشر، ويسمى حالياً (القشلة). وغير بعيد عنه تقع المدرسة المستنصرية، ويقول إنه تحول جزء منها إلى خان والجزء الآخر إلى بناية للضريبة. أما المدرسة الرئيسية في بغداد فهي مدرسة مرجان بجانب خان مرجان ومسجد مرجان.

في هذا المخطط الذي يبدو متقناً ومطابقاً لوقائعه التاريخية، على ما كانت عليه بغداد في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر، نتعرف فيه على حدود وشكل سور بغداد وبواباتها الرئيسية: باب المعظم، والوسطاني والطلسم (المعروف تاريخيا بباب الحلبة، استخدم كمخزن للبارود الذي فجره الأتراك ليلة انسحابهم من بغداد ١١ آذار سنة ١٩١٧)، ومنطقة الباب الشرقي. نشاهد القلعة في أقصى الشمال الغربي بجانب النهر، المتاخمة إلى منطقة السراي، والقريبة إلى مدرسة المستنصرية (١٢٢٤) هي التي عدت من أقدم الجامعات الإسلامية، الواقعة بمحاذاة النهر، الذي يربط ضفتيه بالقرب من المدرسة جسر عائم.

كما نرى في المخطط إياه، منطقة الكرخ، القليلة المساحة والبناء، نسبة إلى الرصافة الواسعة والمكتظة. وتظهر الخريطة خلو المدينة من الساحات أو الفضاءات المكشوفة الواسعة، عدا النهر الذي يمثل "ميدان" المدينة الرئيس، الذي تصب فيه أزقة المدينة الضيقة والمتعرجة.

يصف **نيبور** بغداد بأنها كثيرة البساتين وشوارعها ضيقة وأسواقها مسقوفة. ويقول إن أبوابها الرئيسية ثلاثة. الباب الأول هو باب المعظم نسبة إلى الإمام أبي حنيفة (وقد نسفه الأتراك بعد انسحابهم من بغداد إثر دخول الجيش البريطاني في عام ١٩١٧). والباب الثاني هو الباب الوسطاني، وهو مازال قائما والباب الثالث هو باب الطلسم ومكانه باب الشرقي الحالي وقد هدم منذ زمن طويل، ويقع السراي الذي هو قصر الباشا العثماني على نهر دجلة والذي لا يزال قائما في نفس المكان بعد أن تم تجديده وتوسيعه في القرن التاسع عشر ويسمى حاليا (القشلة).



بغداد كما رسمها نيبور عام ١٧٦٥

وغير بعيد عن السراي تقع المدرسة المستنصرية ويقول انه تحول جزء منها إلى خان والجزء الأخر إلى بناية للضريبة. أما المدرسة الرئيسية في بغداد فهي مدرسة مرجان بجانب خان مرجان ومسجد مرجان. يقول المستكشف إن عرض نهر دجلة في بغداد من ٦٠٠ – ٦٢٠ قدما ويوجد جسر تحته ٣٤ مركبا صغيرا ربط الواحد منها بالأخر بواسطة سلاسل ضخمة.

عمارة بغداد في القرن التاسع عشر

ابتدأ الصراع على بغداد بزمن مبكر بين الألمان والبريطانيين خاصة بعد ان عرف العالم بعض المخترعات الحديثة كالتلغراف والقطار البخاري وحاجة البريطانيين لطريق بري الى كبرى مستعمراتهم في الهند والمشروع الألماني لخط سكة الحديد بغداد -برلين. وقد عملت بريطانيا على توطيد نفوذها في العراق، فأوفدت بعثات تقوم بأعمال المسح والتخطيط خلال الفترة (١٨٣٠-١٨٦٠م).

زار مدينة بغداد ضابط البحرية البريطاني (فليكس جونس) ورسم خارطة بغداد في عام ١٨٥٣ James Felix JONES، والّتي نشرها في كتابه: Memoir on Baghdad عام ١٨٥٧.

قدم الكتاب أول مسح شامل ومتكامل ودقيق لبغداد عام ١٨٥٣م ومرافقها وبين فليكس أن المدينة مكونة من جانبين يقسمها النهر وكلاهما مسور، وفي كل سور باب، ويربط جهتي المدينة جسر واحد. وحدّد وجود ٦٣ محلة سكنية في الرصافة ووجود ٢٥ محلة في جانب الكرخ. حسب خارطة فليكس جونز كانت المناطق المفتوحة داخل السور والتي تتوزع ما بين المزارع والبساتين والمقابر تمثل بحدود نصف المساحة الإجمالية للمدينة القديمة في الرصافة وتتركز في الجزئين الشرقي والجنوبي حيث البساتين والمزارع أما المقابر فتكون في الطرف الشمالي الغربي من المدينة.

أحصى فيليكس جونز (٣١٣) زقاقا في جانب الرصافة انتشرت في كافة محلاتها وهي ضيقة ومتعرجة ومغلقة النهايات وذلك لأسباب اجتماعية ومناخية وأمنية. قدر فليكس جونز عدد سكان المدينة عام ١٨٥٣ م بحدود ٦٠٠٠٠ وعدد الجوامع ٦١، والمقاهي ٩٨، والخانات ٣٥، والحمامات ١٤، إضافة إلى ٤٧ سوقاً، وقد ضمت بعض المحلات أكثر من سوق مثل محلات (باب الأغا، أبو شبل) في حين افتقرت محلات أخرى للأسواق كليا.

ظهر في الخارطة قلعة القشلة بأبراجها الرئيسية الأربعة واهم ما في داخلها من منشئات وهي مخزن للمدفعية وإسطبل للحيوانات ومخازن الغذاء.

سور الكرخ

اسس والي بغداد المملوكي سليمان باشا الكبير سورللكرخ [٨]. قبل بناء السور كانت هناك سدة ترابية تحيط بجانب الكرخ ، فقد ذكر الرحالة الايطالي تكسيرا الذي زار بغداد في اوائل القرن السابع عشر (١٦٠٤) ودخلها من الطريق المؤدي الى الحلة انه عبر خندقا وصفه بانه عريض وعميق وعليه قنطرتان ومن تراب هذا الخندق اقيمت سدة استخدمت في صد مياه الفيضان . اول رحالة نوه بوجود السور الفرنسي اوليفيه سنة ١٧٩٤، اذ ذكر ان الكرخ ضاحية محصنة محاطة بخندق صغير وسور بسيط شيده الوالي سليمان باشا ومدعم بالابراج ومزود بالمدفعية. وذكر السور الرحالة اللاحقين مثل ابوطالب خان (١٨٠٣) وبكنكهام (١٨١٦) والمنشيء البغدادي (١٨٢٢) الذي ذكر ان للسور اربعة ابواب هي: باب الكاظم، باب الشيخ معروف، باب الحلة، باب الكريمات. و كان طول سور الكرخ من باب الكاظم الى باب الكريمات ٢٤٠٠م وكان مرقد الشيخ معروف وقبة زمرد خاتون خارج السور بمسافة واسعة . ذكر الرحالة الانكليزي فريزر سنة ١٨٣٤ ان السور قد تعرض للهدم كسور الرصافة.. اما خارطة فيلكس جونز وكولينكوود في ١٨٥٣ ، فقد اوضحت ان جميع محلات الكرخ ومناطقه يضمها السور وله اربعة

---

[٨] الذي استمرت ولايته لبغداد نحو ثلاث وعشرين سنة انتهت بوفاته سنة ١٨٠٢ وهي فترة طويلة لم تستمر عند اي من ولاة بغداد في العهد العثماني

ابواب و٣٠ برجا بعضها كبير كأنه قلعة صغيرة. وفي رحلة بدج سنة ١٨٨٨ فقد ذكران سور الكرخ مهدم.وفي خارطة رشيد الخوجة سنة ١٩٠٨ يظهر قسم من السور قد ازيل، وفي خارطة ماسينيون لبغداد سنة ١٩٠٨ فقد اشار الى ثلاثة ابواب للسور ولم يذكر باب الكريمات الذي يبدو انه قد ازيل مع قسم كبير من السور.

يمكن لنا باختصار ان نقول ان مفردات تخطيط مدينة بغداد الحضرية ثابتة تقريبا لمدة قاربت السبعة قرون اقتصرت على حضور السور في جانبها الشرقي بطول ٩٦٨٨ مترا وسور أخر في جانبها الغربي بطول ٥٣٠٠ متر مع نسيج بنائي مكتظ متشكل من مسطحات ابنيه سكنية تخترقها أزقه ضيقة ومتعرجة مع مساحات مكشوفة في جانبها الشرقي ومن حضور النهر الذي يفصلها لجانبي الرصافة الواسع ومنطقة الكرخ القليلة المساحة والبناء الى الرصافة المكتظة مع وجود جسر عائم يربط قسمي المدينة.

الوالي مدحت باشا

هناك من الولاة ممن كان لهم دور في إحداث بعض الإصلاحات على الصعيد الاجتماعي والثقافي والاقتصادي ومن أبرزهم الوالي مدحت باشا (١٨٦٩- ١٨٧٢). كان مدحت باشا أحد مهندسي قانون الولاية العثماني لعام ١٨٦٤، ولقد طبقه بنجاح كبير في ولاية تونا (مقاطعة على الدانوب) قبل وصوله الى بغداد في ١٨٦٩ مع زمرة منتخبة ومصطفاة من المساعدين والمستشارين ليبادر إلى توطيد دعائم الأمن، ويصلح إدارة الولاية وينظم المحاكم. تعيين الوالي مدحت باشا فرضته أهمية المرحلة الزمنية وضروراتها التي فرضت على الدولة العثمانية ، في جعل العراق طريق بري دولي لمنافسة قناة السويس ، التي هي خارج اطار سيطرتها ، لمواجهة نشاط الغرب في منطقة نفوذها وخاصة النفوذ البريطاني في المنطقة، والذي صار يشكل تهديدا لمصالح الدولة العثمانية ، ومحاولة بسط نفوذها على منطقة الخليج

، وهذا الأمر بحاجة الى قيادة سياسية قوية ،وشخصية مؤثرة ، ومدحت باشا خير من يمكن اختياره لهذه المهمة .إضافة للإهمال الذي شهده العراق بولاياته الثلاث من الولاة السابقين ، والذي اثر بصورة مباشرة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، والذي يؤثر بدوره على واردات الدولة العثمانية من الضرائب والمكوس .

أجري الوالي مدحت باشا عام ١٨٦٩ أول تسجيل لنفوس بغداد تمهيدا لتطبيق قانون التجنيد الإجباري، فدلت نتائج هذا التعداد على أن مجموع نفوس الذكور من سكان بغداد شاملا سكان الأعظمية والكاظمية هو (٦٥٦٨٣) نسمة، منهم (٢٤١١) من الأجانب نشبت ثورة شعبية كبرى عام ١٨٦٩ بسبب فرض التجنيد الإجباري على سكان بغداد. وتم القضاء على هذه الثورة وتطبيق نظام التجنيد على أهالي بغداد.

قد يكون أكثر التغييرات الجوهرية إنشاء دائرة الطابو الذي كان يهدف الى تصنيف وتنظيم ملكية الأراضي وتسجيلها الى الأفراد الذين سيكونون مسؤولين عن دفع الرسوم النافذة. كانت دوافعه من ذلك بان يهدئ ويوطن القبائل، وتشجيع الزراعة، وتحسين نظام جباية الضرائب وتوسيع الخدمة الإلزامية لتشمل مناطق العشائر.

كانت معظم الأراضي لا تسجل بأسماء الأفراد والفلاحين، بل بأسماء شيوخ العشائر، والتجار الذين يقطنون المدينة بعض رؤساء العشائر أصبحوا ملاكين، مما شدهم وقربهم من الإدارة العثمانية ووسع الفجوة بينهم وبين أفراد عشائرهم. ويفرض التجنيد الإلزامي.

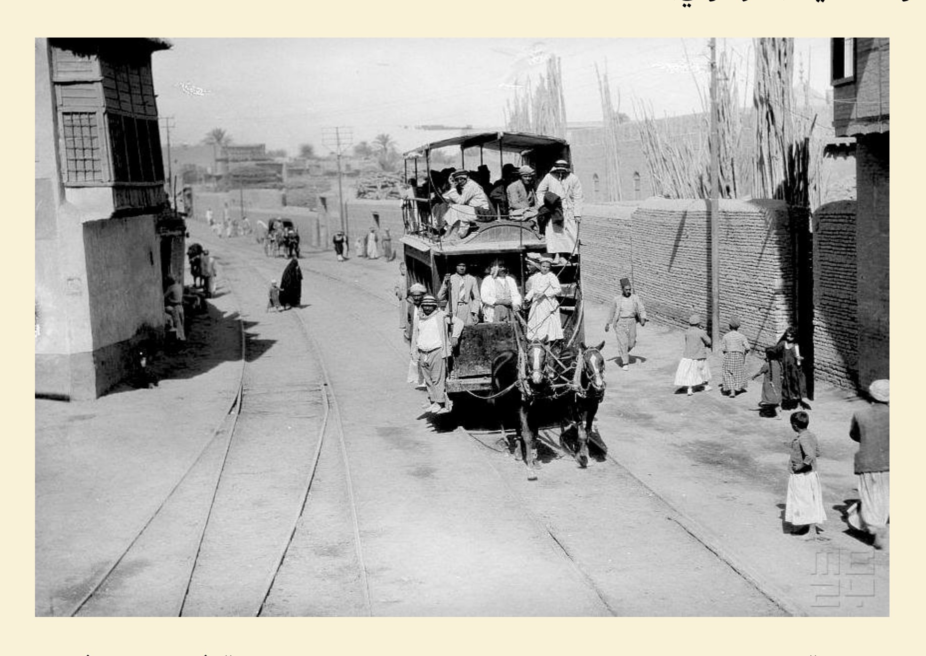


خارطة بغداد كما وضعها فيليكس جونز في عام ١٨٥٣

مزيج من التطورات ا نتجت عن الإصلاحات التي بدأها مدحت باشا أدت الى اضمحلال البداوة في العراق؛ فلقد هبطت نسبة البدو من حوالي ٣٥ % من السكان في ١٨٦٧ الى حوالي نصف ذلك الرقم في نهاية العهد العثماني.

تميزت فترة الوالي مدحت باشا بأنها كانت عهد نهضة وإصلاح لبغداد، فخلالها استحداث إدارة بلدية لمدينة بغداد في عام ١٨٦٩م كانت تقع في جانب الرصافة وتم تعيين إبراهيم الدفتري أول رئيس بلدية لها.

أولى الخدمات، التي ابتدأ بها الجهاز البلدي افتتاح الطرق الداخلية في بغداد التي كانت شوارعها غير مبلطة، علاوة على كونها مركزاً لتجمع المياه والبرك في فصل الشتاء، فبدأ باستخدام مادة "الزفت" في إكساء الشوارع التي تقع فيها المقرات الحكومية بهدف تسهيل عملية النقل وأناره الطرق. صدرت في فترة الوالي مدحت باشا جريدة الزوراء وهي أول جريدة في المعنى الحديث تطبع بالعربية والتركية (١٨٦٩)، وكذلك فتحت أول مدرسة حديثة للذكور، وفتح مدرسة الصنائع لأيتام المسلمين الذين لا معيل لهم يتعلمون في المدرسة صناعة الحدادة والنجارة والنسيج وغيرها وأقيم خط سكة حديد العربات تجرها الخيول بين بغداد والكاظمية (الترامواي).



خط سكة حديد العربات تجرها الخيول بين بغداد والكاظمية (الترامواي).

تم ترميم الأسواق القديمة، وشيدت أسواق جديدة لا يزال بعضها قائماً الى الآن وأقام الجسر الوحيد على نهر دجلة في المدينة الذي استمر لغاية القرن العشرين و

قام بتحويل بستان النجيبية إلى حديقة عامة وقد اطلق عليها اسم متنزه المجيدية وانشأ فيها جوقا موسيقيا يعزف الألحان لروادها. وفي عهد مدحت باشا اكتمل بناء قشلة بغداد التي كان الوالي الأسبق نامق باشا قد شرع ببنائها وأنشأ مشروع مد أنابيب الماء الى بعض محلات بغداد.

يمكن القول ان إصلاحات والي بغداد العثماني مدحت باشا (١٨٢٢-١٨٨٤) برغم قصرها ولمدة ثلاث سنوات (١٨٦٩-١٨٧٢) كانت ذا مفعول عميق ومؤثر عدت بمثابة ابتداء لتيار المدينة الحديثة بسبب إجراءاته الإصلاحية وإدخاله وسائط نقل جديدة لم تعرفها بغداد سابقا ما وسع من الرقعة الجغرافية وسهولة انتقال السكان والبضائع من مكان لأخر مما ساهم في تشكيل البيئة المبنية بصورة حديثة عبر إزالة قسم من سور المدينة واسعا المجال للتوسع الحضري وعجل تبعا لذلك تغير المزاج الذهني السائد وجعل من الجديد امرأ مرغوبا به للفوائد التي لمسها سكان بغداد.

تعاقب على ولاية بغداد ثلاث عشر والي خلال الفترة (١٨٧٢-١٨٩٩) منهم الوالي قدري باشا الذي تم استحداث بلدية أخرى في سنة ١٨٧٨ نظرا لسعة بغداد ووقوعها على جانبي نهر دجلة، بلدية في جانب الرصافة وبلدية ثالثة في جانب الكرخ.

في عام ١٨٩٥ وفي عهد الوالي "حسن رفيق باشا" (١٨٩١-١٨٩٦) بدأ إنشاء أول مشروع لإسالة الماء في بغداد، إذ تم نصب مضخة على ضفة النهر قرب شريعة الميدان، ومدت الأنابيب لتصل إلى محلتي الفضل والحيدر خانة، وبذلك أصبح سكان المدينة يصلهم الماء بسهولة بدلا من السقاءين وتوسع المشروع خلال عشرين عاماً ليشمل بقية محلات بغداد.

خلال الفترة ١٨٧٨-١٩٠٧ تعاقب عشرة ولاة أتراك التي تميزت بانتشار ظاهرة الرشوة والمحسوبية والتفسخ في ولاية بغداد ومع ذلك حدثت بعض البصمات المعمارية منها أنشاء جسر الخر أو المسعودي الذي افتتح أيام الوالي عطاء الله باشا الكواكبي في العام ١٨٩٧ ميلادي وقد سمي هذا الجسر بالجسر الحميدي نسبة للسلطان عبد الحميد ثم تغير إلى الجسر المسعودي، ولكن عامة الناس أطلقوا عليه تسمية جسر الخر.

يقع جسر الخر على نهر الخر في جانب الكرخ من بغداد بعد ساحة النسور باتجاه الحارثية عند قصر السلام حاليا ومن الجانب الآخر قصر الرحاب الملكي أو المخابرات فيما بعد.

تم تعيين الوالي نامق باشا (١٨٩٩ـ١٩٠٢) الذي حاول التشبه بوالي بغداد الأسبق مدحت باشا من خلال قيامه بالكثير من الإصلاحات في الإنشاء والتعمير منها أنشأ أول مدرسة للإناث، وإنشاء مدارس جديدة في بغداد إعادة نشاط مدرسة الصنائع للأيتام والمستشفى الذي بناهما مدحت باشا حيث أهملتا بعد رحيل مدحت باشا. كما شيد مستشفى جديد في باب المعظم، في الموضع الذي أقيمت فيه السجون بعدئذ، وجهزت بالأدوية والأدوات والمستلزمات الجراحية والإسعافية من أوروبا. أسس شركة نقل بالعربات التي تجرها الخيول، وتسير بانتظام بين بغداد وبعض المدن القريبة منها، كالحلة، وكربلاء، وسامراء، وبعقوبة.

في سنة ١٨٨٤ أمر المشير هدايت باشا قائد الفيلق العسكري التركيّ السادس في بغداد بعمل جسر من الخشب عائم على نهر دجلة، يربط بين الكاظمية والأعظمية، وبذلك ارتبطت الكاظمية بالجانب الشرقي من بغداد أيضاً. وفي سنة ١٩٠٠ م تمّ وضع حجر الأساس لبناء سراي الكاظمية.

عمارة بغداد بدايات القرن العشرين

دخلت بغداد القرن العشرين بعد ثمانية وعشرين جيلا من العزلة عن العالم ولم يكن جهل الناس بتاريخ بغداد، وحده الذي أذاها بقدر ما كان للنزوات «الحضارية» للولاة الأتراك الذين أرادو إدخال الحداثة لمدينة بغداد لكنهم أثرو سلبا وهم لا يشعرون على كيان المدينة وأرثها التاريخي مع الأسف.

في ٢٣ تموز/ يوليو ١٩٠٨ أعلن عن الدستور العثماني الذي أدى إلى حصول تغيرات كبيرة في المجتمع البغدادي حيث شكل إعلانه لأول مرة تغيرا جذريا كبيرا لدى المجتمع البغدادي. كان هناك بوادر وعي ثقافي وفكري قد عصفت بالمحيط الجغرافي للمجتمع العراقي وخصوصا في إيران وتركيا لكون مجتمعات كل منهما على علاقة وتماس مع الآخر الأكثر تقدما، ففيما يتعلق بتركيا كانت علاقاتها مع العالم الأوروبي بكل ما يحمل من مغريات وإنجازات الثورة الصناعية الأوربية والتطور الثقافي والفكري أما إيران فلقد كان لاتساع النفوذ البريطاني في المنطقة الأثر الأكبر في ظهور وانتشار مفهوم المشاركة السياسية وإعلان الرفض للاستبداد.

انتشار هذه المفاهيم الجديدة في بغداد أدت إلى تحرر الكثير من الشبان من القيود التقليدية، وفتح الملاهي، وإصدار الصحف ،والمجلات.

بعد إعلان الدستور قامت جمعية الاتحاد والترقي بفتح مقار لها في جميع المدن العثمانية وكانت بغداد من بين هذه المدن التي تم فيها افتتاح مقر للجمعية وقد كان وتم صدور صحيفة بغداد وفي خريف ١٩٠٨ جرى انتخاب المبعوثين (النواب) في كافة الولايات العثمانية وقد فاز من مدينة بغداد كل من إسماعيل حقي بابان وعلي الألوسي وساسون حسقيل. في شهر أيار/مايو من عام ١٩١٠ وصل والي جديد هو الفريق حسين ناظم باشا وهو من الشخصيات المهمة في تاريخ بغداد، ولقد

كان له بصمات إصلاحية واضحة تركت آثارها على مجمل الحياة الاجتماعية في العراق

قام بأعمال عمرانية وحضارية عديدة للمدينة منها اهتمامه بنظافة المدينة وأمر بجمع الكلاب وإعدامها نظير مكافأة مالية وإنشاء صيدلية حديثة تفتح أبوابها ليلا ونهارا كذلك أمر بشق شارع النهر وتغطيته بمادة القير وهدم جزء من القنصلية البريطانية لغرض عمل الشارع. عمل الوالي ناظم باشا على تثبيت الأمن والاستقرار، ويبدو أنه كان على درجة كبيرة من المعرفة بالأمور والأحوال الاجتماعية. فعلى الرغم من أن الصفة الغالبة على المجتمع العراقي في تلك المرحلة هي الصفة القبلية والعشائرية ولجوء البعض إلى عمليات السلب والنهب والغزوات في كثير من الأحيان لطبيعة الظروف المعاشية والاجتماعية القاسية، لكن ناظم باشا لم يلجأ لاستخدام القوة معهم حتى لا تكون هناك فتنة عشائرية تؤدي إلى تخريب ما كان في نيته. فكانت حنكته تتمثل في استصدار فتوى من رجال الدين المسلمين ومشايخهم بجواز هدر دم كل من تسول نفسه للقيام بأعمال السلب والنهب لممتلكات الحكومة كالمعسكرات ومقرات الجيش، والتجاوز على مخازن الميرة والتموين، ولعل هذا الأمر هو من بين جملة أسباب وعوامل تضافرت على بقاء العشائر هادئة طيلة مدة حكمه.

في عام ١٩٠٨ وضع الرحالة المستشرق الألماني سارة وأرنست هرتسفلد خارطة لمدينة بغداد وضواحيها وهي الأخيرة في العهد العثماني وقبيل الاحتلال البريطاني وهي خارطة مهمة وواسعة شملت ضواحي بغداد منها الكاظمية شمالا والكرادة والدورة جنوبا ويشاهد في هذه الخريطة سور جديد يحيط المنطقة المعروفة بأسم (الكرنتينة) من خطر الغرق. يلاحظ ان البنية الحضرية للمدينة تتكون من نهر دجلة وسور المدينة وشبكة من الطرق والمسارات الضيقة والنسيج العمراني المتكون

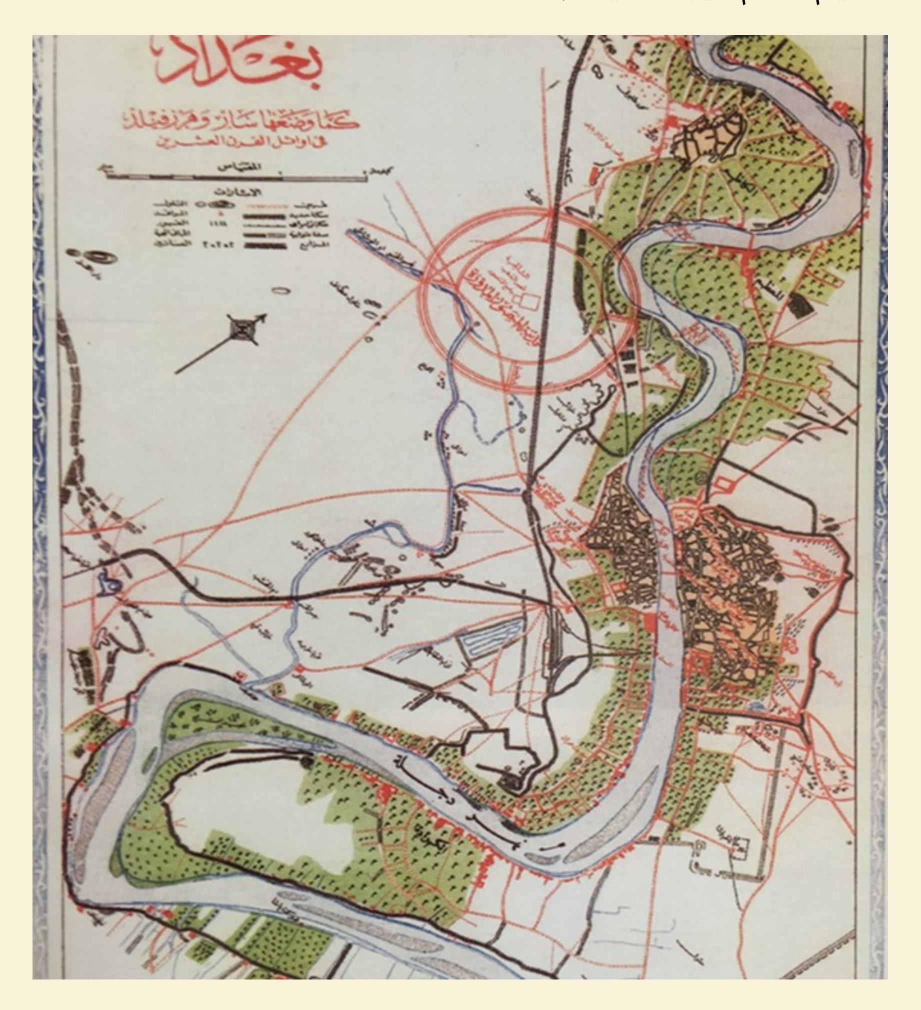
من أسواق ومناطق سكنية وأماكن دينية وأماكن عامة من المطاعم ومقاهي المحلات والعقود المنتشرة في الكرخ والرصافة، و كذلك الحمامات والسقايات لتوزيع المياه وشرب المارة في أماكن كثيرة أوقفها أصحابها أمام الجوامع وفي عدد من الشوارع مع مناطق خضراء وبساتين من أشجار النخيل والفواكه والمزارع في القسم الجنوبي وكذلك المقابر في الجزء الشرقي من الدينة والمحيطة بمرقد الشيخ عبد القادر الكيلاني. أما الحدائق العامة فتقع في منطقة الميدان شمال بغداد في حديقة النجيبية.

لم تكن بغداد بشطريها (الكرخ والرصافة) سوى شريطين من البيوت المتلاصقة على جانبي نهر دجلة، تمتد في الرصافة من باب المعظم حتى الباب الشرقي شرقاً، وفي الكرخ من خضر الياس حتى كرادة مريم غربا، وسط محيط هائل من البساتين ومزارع النخيل والأشجار المثمرة· لم تكن الأعظمية أو الكاظمية جزءاً من بغداد القديمة لم يكن هناك من شوارع في بغداد بالمعنى الحديث للشارع، بل ثمة دروب تتفرّع منها أزقة صغيرة ضيقة تربط أحياء الكرخ والرصافة.

كانت الخدمات المقدمة للمدينة بدائية وبسيطة فتجهيز الماء مثلا المعروف "بالسقا “بعيد جدا عن الشروط الصحية وليس بمقدوره ان يخدم أحياء بعيدة عن مصادر المياه مما ساعد على تشكيل نظام التخطيط المتراص والمندمج واسهم في عدم توسع المدينة وتراصها ضمن مسافات قريبة وكذا الحال لخدمات إضاءة فوانيس الأزقة والشوارع قبل انتشار خدمات الإضاءة الكهربائية.

ينبغي الإشارة الى طول فترة ركود الحياة الاجتماعية وعدم التغير لعشرات السنين كرس هذا النمط التخطيطي المتراص للمدينة.

في سنة ١٩١١ أعيد إعمار جامع الأمام أبو حنيفة النعمان وتنظيم المدرسة التي سميت كلية الإمام الأعظم. تعاقب ثلاثة ولاة بعد عزل الوالي ناظم باشا عام ١٩١١ ومن اهم الحوادث نشوب الحرب العالمية الأولى في شهر آب/أغسطس عام ١٩١٤ وأعلن النفير العام وفيضان نهر دجلة في تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٤ وغرق المحلات الواقعة في الجانب الشرقي من المدينة وقد استمر هذا الفيضان حوالي ثلاثة أيام وتهدم نتيجته ما يقارب ٢٠٠٠ دار.



مخطط سارة وهرزفيلد لبغداد في ١٩٠٨

تفكيك الهيكل العمراني التقليدي

أدت التغييرات السياسية والعسكرية قبل وبعد الحرب العالمية الأولى الى تغييرات كثيرة على البنية الحضرية للمدينة القديمة وابتدأ تفكيك الهيكل العمراني التقليدي التاريخي لبغداد حيث امر الوالي مدحت باشا (١٨٦٩ – ١٨٧٢) بتدمير قسم من سور المدينة القديم وأبقى على أبوابه الأربعة وأبراجه المتصلة لكي يفسح المجال للتوسع خارج سور بغداد وبهذا فقد أزال سورا عمره أكثر من ألف سنة وهي خسارة عمرانية هائلة بيد إن بواباته الأربع ظلت سليمة بعد زوال السور، تؤشر بمواقعها حدود المدينة القديمة. لكنها أزيلت لاحقاً، واحدة بعد أخرى، (عدا باب الظفرية) ببواعث مختلفة، آخرها كانت بوابة كلواذي إياها، التي تمت إزالتها في منتصف الثلاثينات من قبل أمانة العاصمة.

تم استخدام أنقاض سور بغداد من الآجر لتشييد بناية القشلة ومدرسة الصنائع وبعض المعامل والمدارس وتقع بناية القشلة ي الزاوية الشمالية من الرصافة قريبة من دجلة بمحاذات السور على ساحل دجلة وهي على شكل قريب من المربع المباني فيه على الجهات الأربع ذلت طابقين والدور العلوي له طارمة تطل على الساحة الوسطية التي تطل على النهر وفي وسط هذه الجهة برج على شكل منارة مربعة يحمل ساعة كبيرة. مبنى وقلعة القشلة يعتبر أحد أهم المواقع التراثية في بغداد والعراق على الإطلاق.

تم شق أول شارع في بغداد هو شارع النهر الحالي في عهد الوالي مدحت باشا عام ١٨٦٩ وقام بمشروعه هذه بإزالة ابنيه وأسواق وحمامات عمرها مئات السنين.

في عام ١٩١٠ أكمل الوالي ناظم باشا الذي جاء بعد مدحت باشا بهدم سور بغداد الذي كان معلما بارزا للمدينة القديمة لما يمثله من ارث حضاري ورمز للمدينة ثم أمر بإنشاء السدة الشرقية (وهي حاجز ترابي وقى بغداد من الغرق عند حدوث الفيضانات وقد أزيلت هذه السدة (سدة ناظم باشا) بعد تشييد مدينة الثورة واستبدلت بحاجز ترابي على بعد خمس كيلومترات.

الوالي عبد الوهاب باشا الذي حكم عامي ١٩٠٤ ـ ١٩٠٥ قام بفتح جادة مستقيمة (شوصة) وسط المدينة التاريخية في الرصافة يربط بين صراي الحكومة ومحلة رأس القرية، ليتسنى له السيطرة على القلاقل التي كان يثيرها تمرد أهل الحي الدائم وقام بمشروعه هذه بإزالة أبنية وأسواق وحمامات عمرها يزيد عن ألف عام.



مبنى وقلعة القشلة

جادة خليل باشا (شارع الرشيد)

تولى خليل باشا ولاية بغداد وقيادة الجيش العثماني عام ١٩١٥ وامر بشق شارع في بغداد ممتدا بطول المدينة من محلة باب المعظم شمال المدينة القديمة إلى

جنوبها عند الباب الشرقي بطول ٤ كيلومترات تقريبا وبعرض ٦ أمتار بموازاة نهر دجلة لمقتضيات تأمين الإمدادات للعمليات العسكرية في الحرب العالمية وتم إنجازه في فترة قصيرة نسبيا وافتتاحه عام ١٩١٦ احتفاء بذكرى إعلان الدستور العثماني وقد أطلق على الشارع اسم خليل باشا. ظل الشارع حتى دخول الإنكليز في ١١ أذار/مارس ١٩١٧ مليئا بالحفر يعلوه الأنقاض وبدا الإنكليز أول عهدهم بتعبيد الشارع وأطلقوا عليه" اسم الشارع الجديد "بينما سماه البغداديون "الجادة العمومية" وأخيرا سمي باسم شارع الرشيد عام ١٩٣٢ تيمنا بلسم الخليفة العباسي هارون الرشيد.

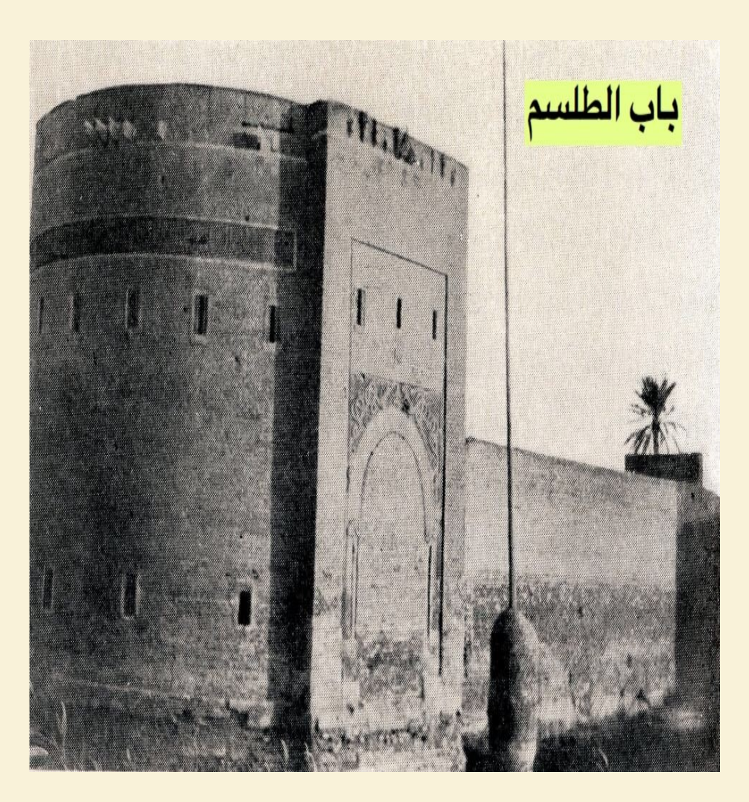
يعد فتح جادة خليل باشا (شارع الرشيد) من الأحداث التخطيطية الهامة في التخطيط الحضري للمدينة والتي لم تشهد المدينة بغداد مثيلا له سابقا وسيكون ذا تأثير ملموس على الإجراءات التخطيطية اللاحقة التي ستحدث للمدينة. يمر شارع الرشيد عبر محلات الرصافة وأسواقها، والطريق الذي شق بين المحلات هدم معالم تاريخية وعبث بمحلات بغداد القديمة ما تسبب بهدر النسيج المدني المتميز لمدينة بغداد وتهديم أبنية ذات خصوصية فريدة كالجوامع والحمامات والأسواق، وفقدت بغداد نمطاً معيشياً أصيلا يرجع تاريخه إلى مئات السنين.

لم يكن الشارع على استقامة تامة، بل كان متعرجاً عند مدخل سوق الشورجة من جهة خان مرجان ما اضطر أمانة العاصمة في ستينيات القرن العشرين إلى هدم بعض جوانب الأبنية التي تعرقل استقامته.

في مساء يوم ١٠ أذار/مارس ١٩١٧اجتمع القادة العثمانيون برئاسة خليل باشا والي بغداد ومعهم بعض الضباط الألمان للمداولة في مواجهة القوات البريطانية التي بدأت بالاقتراب من بغداد وسرعان ما ظهر الخلاف في الاجتماع إذ انقسم القواد إلى فريقين فريق يرى بوجوب الصمود والدفاع عن المدينة وفريق ثاني كان يرى

بضرورة الانسحاب من المدينة قبل من أن تتمكن القوات البريطانية من احتلال المدينة. بعد شد وجذب وافق خليل باشا على الانسحاب وأبرق إلى وزير الحربية أنور باشا يعلمه بالقرار الذي اتخذ. بدأ الأتراك مع انسحابهم من المدينة بنسف كافة مخازن الذخيرة والمنشآت العسكرية والتي يمكن أن يستفيد العدو منها باب الطلسم الذي استخدم كمخزن للذخائر الحربية ويعد من أقدم أبواب بغداد العباسية التاريخية الأربعة وهو الباب الثالث من أبواب سور بغداد الشرقية شيد خلال حكم الخليفة العباسي الناصر لدين الله (سنة ١٢٢١ وقد عمت بغداد حالة من الفوضى والفلتان الأمني مع الانسحاب التركي وغياب وجود أي سلطة حقيقية في المدينة فأخذ الغوغاء بالقيام بعمليات السلب والنهب في أي مكان ممكن أن تطال

أيديهم فيه. بنسف باب الطلسم خسر العراق أثرا تاريخيا مهما من معالم بغداد وتوجد آثاره باقية إلى الآن ومطلة من على الخط السريع (محمد القاسم).



باب الطلسم قبل نسفه

سكان بغداد

العراقيون أمة مختلطة الأصول، أفرادها متفاوتو القِدم على ارض بلادهم العراق، بعضهم يسكن هنا منذ ٧٠٠٠ عام، وبعضهم جاء مع المسيحية، فيما جاء أخرون مع الفتح الإسلامي، وتوالوا على سكنها حتى ذروة فترة التجانس عندما كانت بغداد عاصمة الإمبراطورية العربية الإسلامية، فسعى اليها الناس من كل بقاع الإمبراطورية كنوع من الرغبة بالسكن والتجارة والدراسة فيها، هذا الخليط اليوم لا يمكنك التمييز بين أفراده، لا يمكنك التمييز بين هذا وذاك، منذ رسمت الحرب العالمية الأولى حدود البلاد وهم ينصهرون ببعض، رغم انهم يتحدثون لهجات مختلفة عديدة، ولغات عديدة أيضا، لكنهم عراقيون فقط. كانت بغداد ولا تزال

موطنا لبقايا الأجيال العراقية الناتجة من احتلال بغداد من قبل العديد من الغرباء الأجانب من المغول والتتار والفرس ثم الأتراك التي سكنت بغداد استيلاء أو استيطانا والذين وجدو عند أهل بغداد العرب حريتهم الدينية وحريتهم الأثنية من المسيحيين بفروعها المختلفة (نسطورية ويعقوبية وكاثوليكية) ومن اليهود الذي ترك بصمة في النسيج المجتمعي والاثني والديني والحضري للمدينة لا تزال موجودة حتى اليوم.

يعتبر يهود بغداد من أهم الطوائف في الشرق ويعتبر حاخام بغداد المرجع الديني لكل الطوائف الشرقية . في١٠ كانون الأول سنة ١٨٦٤ أفتتحت مدرسة الأليانس الأولى في بغداد وقررت أن يكون منهجها علمانيا فقط بعيدا عن التعليم الديني وشغلت مبنى صغيرا في محلة تحت التكية وكانت أول مدرسة أليانس في المشرق العربي (سبقتها في المغرب بسنتين) وكلف مسيو نريسون من فرنسا بإدارة المدرسة وكانت اللغة الفرنسية اللغة الأساس في التدريس واتبعت المدرسة النظم الفرنسية الحديثة. في سنة ١٨٧٤ تضاعف عدد الطلاب عدة مرات (من ٤٥ الى٢٢٥) بحيث أصبحت غير ملائمة بمبناها هذا وأنتقلت الى مبنى جديد يضم أثنى عشر صفا الى جانب الغرف الأدارية الأخرى وباحة واسعة وحديقة وفي سنة ١٩٠٢ تم بناء ملحق لمبنى المدرسة لتستوعب عددا أكبر من الطلاب وفي عام ١٩٠٦ بني جناحا آخر لها. في مطلع ١٨٩٣ أفتتحت مدرسة الأليانس لتعليم البنات على طراز مدرسة البنين وفي سنة ١٩١١ تم بناء مبنى كبير في محلة التوراة تضم ٢٩ صفا أضافة الى الغرف الأدارية ومستوصف ومختبرات علمية وقد حققت هذه المدرسة نجاحا نظيرا لنجاح مدرسة البنين حيث ازداد عدد طالباتها خلال عشرين عاما من ٧٩-٥٠٠ . أحتوت الأليانس في سنة ١٩٢١ على ٩٧٥ من البنين و٤٢٠ من الفتيات توجه عدد منهن لمواصلة الدراسة العالية وتخرجت الدفعة الأولى من الفتيات

اليهوديات من كلية الحقوق سنة ١٩٤١, وفي الفترة من ١٩٤١-١٩٥٠ تخرجت ٦٠ طالبة يهودية من كليات الهندسة والطب والحقوق[٩]

تصاهرت الأجيال ببغداد فانصهرت كالمعادن المؤتلفة في بوتقة واحدة وذلك بالاندماج والجواز إلا ان أكثر سكان بغداد وعلى مر عصورها منذ الفتح الإسلامي كانوا يتزوجون من الأمم الأخرى لكنهم لا يميلون لتزويج بناتهم من الأمم الأخرى على عادتهم القديمة في حفظ أنسابهم.

واستمر سكان بغداد بين اختلاف الحكام والخلفاء والسلاطين والقلة والكثرة بسبب الحروب والأوبئة واضطراب الأمن والازدهار والدمار كسائر المدن العالمية الكبيرة إلا ان بغداد قاومت وصمدت وبقيت مع كل ما مر عليها من الحوادث الطبيعية والبشرية ولم تجعلها أثرا بعد عين.

---

[٩] امسية ثقافية في مؤسسة الحوار الانساني بلندن يوم الاربعاء 15 فبراير ٢٠١٧ الاستاذ اميل كوهين

الفصل الثالث

الاحتلال البريطاني (١٩١٧-١٩٣١)



دخول الجيش البريطاني مدينة بغداد عام ١٩١٧

دخلت القوات البريطانية مدينة بغداد صباح يوم ١١ أذار/مارس١٩١٧ ورفع العلم البريطاني في ساحة القشلة وبدأ الجنود البريطانيون بمطاردة اللصوص وذلك بإطلاق النار عليهم لإرهابهم وفي مساء ذلك اليوم وصلت سبعة مراكب حربية تحمل الجنرال ستانلي مود وحاشيته فنزل الجنرال مود في دار القنصلية البريطانية الواقعة على النهر.

دخل الجنرال ستانلي مود على رأس قوات بريطانية، صباح ١٩١٧/٣/١١ وقابل الأهالي في اليوم التاسع عشر من الشهر نفسه، بإذاعة منشور مخاطباً فيه أهالي بغداد، بأن "جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم في منزلة قاهرين أو أعداء، بل في منزلة محررين!".

كتب أدموند كاندلر، المرافق للجيش البريطاني وضع مدينة بغداد عام ١٩١٧ عندما دخلها الجيش البريطاني بصورة دقيقة في كتابه "الطريق الطويل الى بغداد" “على هؤلاء الذين ينكرون سحر هذه المدينة أن يقفوا على النهر من جهة الشمال وقت الغروب. كانت بغداد على حالها لم تتغير مساحتها أو تتسع منذ بدايات العصر العباسي حتى دخول الإنكليز اليها محتلين ثم بدأت بعد ذلك التوسعات والانفجار السكاني.

لم يكن من يجرؤ من أهالي بغداد ان يبني بيتا خارج السور لكثرة اللصوص وقطاعين الطرق حتى وصول الإنكليز حيث استتب الأمن نسبياً وتغيرت الحياة وأزيلت الأسوار التي كانت تعود معظم أجزائها للعصر العباسي. كان الذهاب الى مقبرة الشيخ معروف بفترة العشرينات وبداية الثلاثينات يتعرض الى السلب كونها أطراف مدينة بغداد.

بغداد خلال عهد الاحتلال والانتداب البريطاني (١٩١٧-١٩٣٢)

أعد المهندس المعماري البريطاني ويلسون (G .m Wilson) عام ١٩٢٠، تصميماً أساسيا. اقترح فيه إعادة تنظيم المدينة واستحداث وحدات سكنية في العديد من المناطق منها العلوية والسعدون والهنيدي (معسكر الرشيد). ويمكن القول ان توسع مدينة بغداد وتطورها خلال عهد الانتداب قد فاق التطور الذي حدث في المدن العراقية الأخرى كونها عاصمة المملكة وبفعل عوامل أخرى أبعدتها عن الصفة الإقليمية التي تميزت بها تلك المدن ففي عام ١٩٣٠ أنشأت محلة السعدون وتوسعت الأعظمية القديمة (الشيوخ، النصة، الحارة والسفينة) نحو هيبة خاتون، وأنشأت محلة راغبة خاتون وتوسعت محلة الشيوخ في عام ١٩٣١.

امتدت مدينة بغداد في العشرينات شمالاً وجنوباً بشكل يختلف عن السابق وعلى امتداد نهر دجلة وتحولت من النمو الدائري أو شبه الدائري ضمن أسوارها لتصبح ذات امتداد طولي، إذ أن الفيضانات لها إثر كبير في تحديد مساحة المدينة وتوسعاتها. ولا سيما في الجانب الشرقي الذي كان مهدداً بالغرق أكثر من الجانب الغربي. لذلك كانت تلك التوسعات عشوائية بعيدة عن التخطيط.

على إثر اندلاع ثورة العشرين في العراق ضد الاحتلال البريطاني وتكبد القوات البريطانية في العراق خسائر فادحة. عقد مؤتمر القاهرة عام ١٩٢٠ بحضور ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني آنذاك للنظر في الوضع في العراق. والذي أعلن عن تغيير الحكومة البريطانية لسياستها بالتحول من استعمار مباشر إلى حكومة إدارة وطنية تحت الانتداب. توج الملك فيصل ملكاً [١٠]على العراق فب بغداد عاصمة العراق في عام ١٩٢١ في ظل حكومة دستورية نيابية باسم الملك فيصل الأول.

[١٠]أهم الأحداث التي شهدها العراق منذ تشكله كمملكة وحتى قيام الجمهورية عام ١٩٥٨

بغداد عاصمة مملكة العراق (١٩٢١-١٩٥٨)

كان تأسيس المملكة العراقية نقطة تحول مهمة في تاريخ بغداد الحديث بوصفها العاصمة حيث العاصمة ليست مثل أي مدينة أخرى لأنها هي التي تعطي الانطباع الحقيقي عن أي دولة. تبرز أهمية مدينة بغداد بوصفها ذات مركز سياسي وإداري واجتماعي وثقافي واقتصادي مهم بالنسبة للعراق الذي يتمتع بسمعة عالمية بوصفه مهد الحضارات والمدنيات وبصفته بلداً إسلاميا مرموقاً.

بدأت المدينة تتوسع باتجاه الجنوب على امتداد ضفاف دجلة خارج سورها القديم؛ حيث امتدت بغداد في بداية الثلاثينات في الشمال نحو العيواضية، وفي الجنوب الى البتاويين؛ وامتازت مجمل الإنشاءات في هاتين المحلتين بخصائص وسمات حديثة ومختلفة عن مباني الأحياء القديمة. وتعد خطوة مهمة وجريئة في التخطيط الحضري للمدينة.

عقد العشرينات انطوى على حدث بالغ الأهمية وهو حدث تأسيس الدولة الحديثة وما تبعها من تغييرات عميقة وشاملة طالت جميع فئات المجتمع العراقي الذي ظهر متصفا بمعالم متباينة ومختلفة يحددها موقعه الجغرافي في حدود الدولة الجديدة.

---

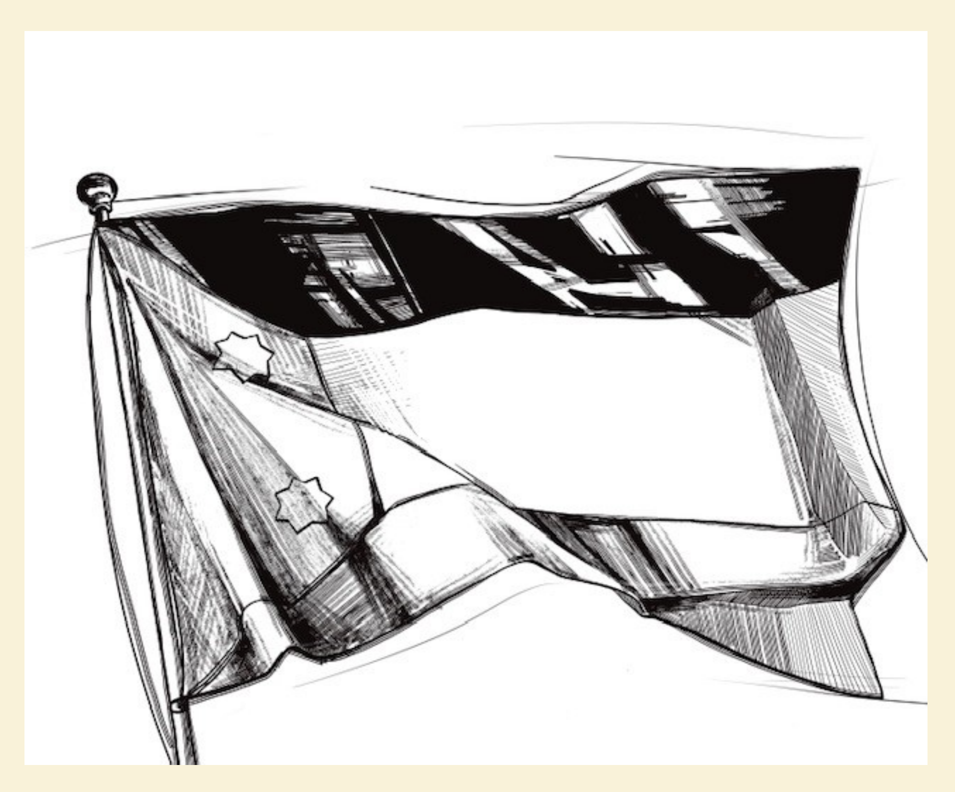
٢٥ أبريل/ نيسان ١٩٢٠: وضع العراق تحت الانتداب البريطاني.

٢٣ أغسطس/ آب ١٩٢١: تتويج فيصل الأول ملكا على العراق.

٣ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٣٢: العراق يصبح دولة مستقلة.

١٤/ يوليو/ تموز١٩٥٨: الإطاحة بالملكية في انقلاب عسكري، وإعلان الجمهورية في العراق والزعيم عبد الكريم قاسم يتولى رئاسة الوزراء.

أنيطت مسؤولية التصميم الأساسي بالمعماري الإنكليزي جي. آم. ولسون (١٨٨٧-١٩٦٥) James Mollison Wilson الذي وضع تصاميم لمناطق معينة من المدينة، مثل منطقة السكك في الصالحية. تتلمذ المعماري الإنكليزي ولسون في الهند على يد أستاذه أدوين لتينز المعماري الشهير الذي صمم مدينة دلهي الجديدة وأدخل مفاهيم ما يعرف بمدينة الحدائق، مع تخطيط يعتمد الشوارع المحورية العريضة ذات الأبعاد المنظورة التي تنتهي بصريا بعمارات متفردة، وهذا واضح في منطقة المقبرة الملكية في الأعظمية.



يمكن القول ان ما شهدته المرحلة الأولى كان بمثابة صدمة حضارية سريعة ومفاجئة حيث تم تأسيس "دائرة الأشغال العمومية" Public Work

Department (P.W.D) - التي اضطلعت بدور ريادي ومهم في تكريس مهام التغيير والانتقال بالبنيان من الزمن السابق الى رحاب الحداثة المعمارية؛ فلأول مرة تستحدث هيئات إدارية معنية بالتصميم والأشراف.

أدى توسع استعمال العربات التي تقودها الخيول والبغال وفيما بعد السيارات الى تغيير شكل المدينة من خلال فتح شوارع عريضة مستقيمة تتسع لهذا النمط من وسائل النقل يتبين هذا في إكمال تنفيذ فتح شارع الرشيد عبر منطقة سكنية ذات كثافة عالية عام ١٩١٧ إضافة الى بناء جسر مود عام ١٩١٨ الى اندماج أفضل مع جانب الكرخ الذي جرى إهماله من قبل العثمانيين لفترة طويلة.

كان للمعماريين البريطانيين الذين عملوا في مديرية المباني مساهمة جادة وتأثير متميز في تطور العمارة المعاصرة في بغداد فالمعماري جي. أم ولسن الذي أظهر براعة معمارية في أثناء عمله في الهند من خلال نجاحه في دمج تقنية البناء المحلية بمفردات العمارة الأوربية ومواد البناء الحديثة عمل في بغداد أيضا على مزاوجة العمارة العربية البغدادية مع طراز العمارة الأوربية أما بقية المعماريين البريطانيين الذين كان لهم تأثير في عمارة بغداد فهم أج. أم ماسون Mason الذي كانت أعماله في الغالب تتم بالمشاركة مع زميله المعماري البريطاني ولسن.

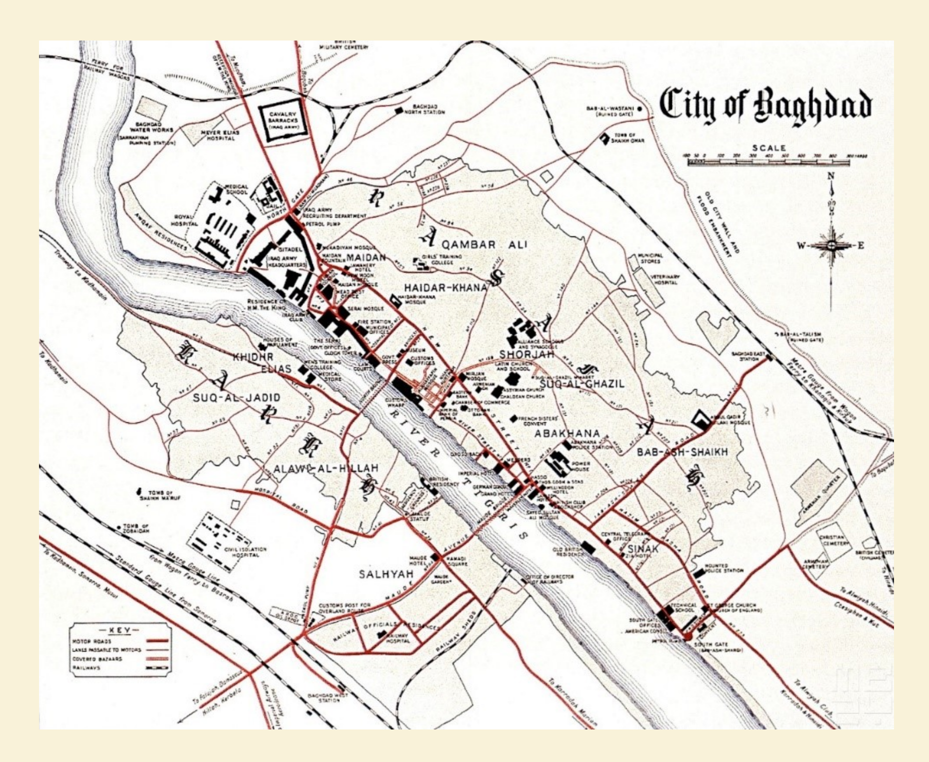
هذا الأسلوب من التخطيط لم تستفد منه بغداد كثيرا في العشرينيات وأوائل الثلاثينيات من القرن العشرين، بل بقي محدودا آنذاك، إلا أن أثره بقي فاعلا في المناطق التي استحدثت وصممت حضريا بكفاءة وبكثافة معقولة وخدمات حديثة في المناطق السكنية في بغداد فيما بعد، ومنها السعدون، والوزيرية، وحي المنصور، والكرادة في الخمسينيات. ما يميز هذا النمط من التخطيط، تأثره بانتشار استعمال العجلات فغدت الطرق عريضة ومستقيمة ومتعامدة في تقاطعاتها ومدورة في استدارتها، مع اهتمام خاص بالخضرة وزراعة الأشجار على جوانب الطرق وتوفير

المتنزهات والحدائق العامة. مثال بارز آخر لما خططه المعمار ولسون على هذا النمط، منطقة "عرفة" في مدينة كركوك.

من اهم المشاريع التي بدأ بتنفيذها في مشروع "جامعة أل البيت" في الأعظمية للمعمار البريطاني James Mollison Wilson (١٩٢٢-١٩٢٤) وهو مشروع واسع لجامعة تتكون من مباني متعددة ومترابطة ومصممة كمجمع واحد ويعتبر بدأ لعمارة الحداثة العراقية. تم تشييد "مبنى الكلية الدينية" فقط وهو جزء متواضع من المشروع.

لكي نأخذ فكرة من مصدر موثق ما حصل لبغداد خلال عقد العشرينات لنستعرض خارطة باللغة الإنكليزية لمدينة بغداد طبعت في لندن عام ١٩٢٩.

يلاحظ صغر المدينة الّتي لم تمتد حتّى إلى أسوارها القديمة ورغم أنّ الوالي العثماني مدحت باشا كان قد أمر عام ١٨٦٩ بهدم أجزاء كبيرة من أسوار بغداد الّتي كانت ما زالت قائمة والّتي رآها تحصر المدينة وتمنعها من التّوسع.



خارطة بغداد عام ١٩٢٩

ينحدر نهر دجلة في خارطة ١٩٢٩ من اليسار الى اليمين ويمكننا أن نبدأ زيارة جانب الرّصافة من أسفل يمين الخارطة أي من الباب الشرقي (أو باب كلوذا) الّذي كان ما يزال قائماً (قبل أن تهدمه أمانة العاصمة في عام ١٩٣٧) صاعدين إلى أعلى الخارطة لنتابع آثار الأسوار القديمة (الّتي رسمت تحاذيها خطوط قصيرة متوازية) والّتي يقطعها باب الطلسم الّذي لم تبق منه في ذلك الزّمن إلّا آثاره بعد أن فجّرته القوات العثمانية في ١٩١٧ قبل انسحابها عندما تقدمت القوات البريطانية نحو بغداد لاستعملل البرج لخزن بارود المدافع ثمّ الباب الوسطاني الّذي كان خراباً هو الآخر، وننزل عندما نصل إلى يسار الخارطة نحو باب المعظم الّذي كان قد هدم في عام ١٩٢٢حين أقدمت أمانة العاصمة على هدمه لتوسيع شارع الرشيد ولكنّ المكان احتفظ باسمه القديم).

يلاحظ ان الرّصافة تمتدّ من الباب الشّرقي (على ضفة دجلة) ثمّ السّنك، وفي شماله باب الشّيخ وجامع الشّيخ عبد القادر الجيلي (الجيلاني)، فالسّيد سلطان علي والعبخانة، وشمالها سوق الغزل فالشّورجة وجامع مرجان والحيدرخانة وقمبر علي، فالميدان والباب الشّمالي (باب المعظم)

ونلاحظ السّكة الحديدية الّتي توازي آثار الأسوار القديمة تقريباً ومحطتَي القطار الشّرقية والشّمالية. كما نلاحظ أنّ قبر الشّيخ عمر كان خارج المدينة المسكونة في الرّصافة.

أمّا في جانب الكرخ فنلاحظ أنّ قبر الشّيخ معروف وقبر زمرد خاتون (قبر زبيدة) كانا خارج المدينة المسكونة وكذلك محطة القطار الغربية.

نلاحظ أنّ منطقتي الأعظمية والكاظمية كانتا منفصلتين عن بغداد، بينهما وبين الرّصافة والكرخ بساتين نخيل شاسعة.

ونلاحظ جسرين يربطان الرّصافة بالكرخ عبر نهر دجلة: جسر مود الّذي شيّد في ١٩١٨ في منطقة سيّد سلطان علي، وفي شماله جسر القطعة أي جسر القوارب العائم القديم. المنفذ خلال الحكم العثماني. نلاحظ أنّ أهم جزء من المدينة كان حول نهر دجلة وفيه أهم معالمها ونجد من بين هذه المعالم إلى جانب سكن الملك في داخل الحصن العثماني، دار المندوب السّامي البريطاني القديمة Old British Residency على ضفة دجلة في الرّصافة، والدّار الجديدة British Residencyفي الشّواكة، في جانب الكرخ، ومجلس النّواب Houses of Parliamentفي جانب الكرخ (خضر الياس)، والقنصلية الأمريكية American . Consulفي الباب الشرقي، والقنصلية الألمانية German Consul قرب جسر مود.



خارطة بغداد حول نهر دجلة عام ١٩٢٩

ولكننا لا نجد القنصلية الفرنسية الّتي كان جيمس فيلكس جونس قد وضعها قرب السّراي على خارطته عام ١٨٥٧.

كما نجد المتحف العراقيMuseum الّذي شيّد في ١٩٢٣في شارع الجسر، في جانب الرّصافة وعدّة مصارف (البنك العثماني والبنك الفارسي وال Eastern Bank)، ومستشفيات ومدارس. ونجد في خارطة ١٩٣٠ فندقين يطلان على النّهرGrand Hotel وImperial Hotel، أمّا Maude Hotel فقد كان في شارع مود في الصّالحية.

ونلاحظ على خارطة عام ١٩٣٠ محلّات حسو إخوان في شارع الرّشيد على يسار مدخل جسر مود ومقابل وكالة توماس كوك ، والنّادي البريطاني ومكتبته. ومحلاّت أوروزدي باك الشهيرة.

رافق هذا المنحى التخطيطي الاهتمام بالمشاهد الخضراء، بإدخال أشجار ونباتات جديدة إلى المشهد البغدادي منها اليوكالبتوس والدفلة، والجهنمية وأشجار جوز الهند (المجلوبة جميعها من الهند)، والتأكيد على زرع رقع كبيرة من الحدائق بالثيل (المجلوب أصلا من كينيا) وأشجار النارنج، لدوام خضرتها.

يلاحظ الأحياء القديمة التي كونت بمجموعها نسيج مدينة بغداد مثل محلات: البارودية والحيدر خانة وجديد حسن باشا والعاقولية والفضل، وحمام المالح والمهدية وخان لاوند ، وقنبر علي والتورات والقشلة ، وصبابيغ الآل ورأس القرية والمربعة والطاطران والدهانة والصدرية وغيرها من المحلات في منطقة الرصافة ، ومثلها محلات منطقة الكرخ : كخضر الياس وست نفيسة وسوق حمادة والشواكة والشيخ صندل والكريمات والصالحية والشيخ معروف وعلاوي الحلة والتكارته.

مياه الشرب في بغداد

كان أهل بغداد يشربون الماء عبر ما يسمى السقاية (السقا خانة) أو (أبناء السبيل) أي المسافرين. هو مكان يوفر الماء لأهل المدينة والمسافرين سواء للشرب أو غيره. وعادة ما يتكون من خزان للماء وحوض تصب فيه المياه الجارية، وتوجد فيه حنفيات لتزويد الناس بالماء. أنشئت السقاية في منطقة الميدان، في مدخل شارع الرشيد. وكانت تأخذ مياهها من قناة مرفوعة على أعمدة تزود من ماء دجلة بواسطة ثمان دواليب وتمضي القناة تنقل الماء بانحدار حتى تصل السقاية كما تزود بطريقها سقايات أخرى بمياه الشرب تنقل الماء إلى قصور وبساتين الأثرياء والتجار

والوجهاء، وأخرى تنقل الماء للمساجد والمراقد. وأغلب من يقوم ببناء السقايات العامة من الموسرين الذين يهدفون لفعل عمل البر والإحسان، وأن تكون وقفاً.

في عام ١٩٢٠ تم نصب مضخات لضخ الماء في محلتي المصبغة والسيد سلطان علي في جانب الرصافة، ومحلة خضر الياس في جانب الكرخ، ولم تكن هناك محطات تصفية أو تعقيم، بل تضخ الماء مباشرة من النهر، وغالباً ما ترافقه الأطيان والشوائب والأوساخ

في عام ١٩٢٤ تم تشكيل (لجنة إسالة الماء لمدينة بغداد) التي بدأت عملها بإنشاء مشروع جديد يضمن تصفية الماء وكذلك حجم التجهيز المطلوب للمحلات. في البداية تم حصر مصدر التجهيز بنقطة واحدة، إذ تم تأسيس أول محطة خارج المدينة في منطقة الصرافية وفي عام ١٩٢٧ اشترت اللجنة جهازاً صغيراً لتصفية الماء في الكرادة، وبتوسيع ذلك الجهاز عام ١٩٣٢ تمكنت اللجنة من تجهيز منطقة الكرادة.

بغداد الثلاثينات

تم عقد معاهدة مع بريطانيا، في العام ١٩٣٠ سميت بمعاهدة ١٩٣٠ أقرت بموجبها بريطانيا استقلال العراق عن التاج البريطاني وإنهاء حالة الانتداب.

أنظم العراق الى عصبة الأمم عام (١٩٣٢) كدولة مستقلة بعد انتهاء الانتداب البريطاني وكذلك حصول زيادة ملحوظة في الموارد المالية خصوصا تلك المتأتية من اكتشاف النفط في العشرينات (١٩٢٧) وتصديره بعد أبرام الاتفاقيات بين الشركات النفطية والحكومة انعكس بقدوم معماريين ومهندسين من أوروبا للعمل في العراق لتشييد مباني ومشاريع عديدة تلبية لمتطلبات دولة ناشئة وعصرية. يتميز عقد الثلاثينات بتمازج خليط بين الخبرة الأوربية عبر المعماريين

والمهندسين الأجانب ورجوع الرعيل الأول من المهندسين والمعماريين الذين أكملوا دراستهم في الخارج أمثال المهندس المعماري احمد مختار إبراهيم وسامي قيردار ومدحت علي مظلوم وغيرهم مع البنائيين والحرفيين المحليين مما أنتج عن استخدام تصاميم غريبة عن تراث وتقاليد العمران البغدادي.



شارع في حي بغدادي قديم

كان عقد الثلاثينات امتداد للوثبة الحضارية لعقد العشرينات مع الأخذ بنظر الاعتبار مجمل التغيرات التي طرأت على المجتمع البغدادي خلال الفترة السابقة. في هذا العقد تغير الفكر التخطيطي في مدينة بغداد وبدأ التوسع خارج حدود المدينة المسورة شمالا نحو العيواضية وجنوبا الى البتاويين في بداية الثلاثينات ثم أعقبه امتداد واسع في جميع الجهات وعى ضفتي النهر وكان هذا انقلابا تاما وشاملا في مفاهيم وقيم التخطيط التقليدي الذي استمرت عليه مدينة بغداد لفترة طويلة جدا وامتازت مجمل الإنشاءات في هاتين المحلتين بخصائص وسمات حديثة ومختلفة

عن مباني الأحياء القديمة. وتعد خطوة مهمة وجريئة في التخطيط الحضري للمدينة حيث اختفى نهائيا النسيج الخضري للمدينة المتراص ونشأ أسلوب تخطيطي جديد قوامه الشوارع المستقيمة العريضة نسبيا.

ظهرت أحياء جديدة في الثلاثينيات عبر جرف البساتين وفتح الشوارع وعلى جانبيها مساكن منفردة ذو مساحات واسعة ذات طرز معمارية مختلفة عن عمارة الأحياء البغدادية القديمة، من حيث ضخامة بيوتها وكثرة عدد الغرف فيها، التي تكونت من طابقين وتقلصت الحدائق لزيادة مساحة البناء.

توسعت الكرادة الشرقية عام ١٩٣٣ وأنشأت فيها بيوت جديدة. وافتتحت فيها الشوارع الواسعة بعد ان كانت قرية صغيرة ليس فيها إلا العدد الضئيل من بيوت متناثر ة ومساكن الفلاحين المبنية من اللبن (الطين المخفور).

في الأعوام ١٩٣٠-١٩٣٢ تم شق شارع بعرض ٤٠ م في الجانب الغربي من بغداد سمي بعد ذلك شارع (الملك فيصل) وقد بلط وأصبح مدخلاً جميلاً للعاصمة وكذلك أنشأت محلة السعدون وتوسعت الأعظمية القديمة (النصة، الحارة والسفينة) نحو هيبة خاتون، وأنشأت محلة راغبة خاتون وتوسعت محلة الشيوخ.

ظهرت الحدائق العامة والمناطق الخضراء، والميادين العامة وهو أمر يحدث لأول مرة كمنتزه السعدون وحدائق العيواضية والأعظمية والوزيرية والعلوية ومما أضفى أهمية حضرية خاصة على هذه الساحات تشييد تماثيل في وسط بغداد، كتمثال الملك فيصل الأول في الصالحية وتمثال السعدون في الباب الشرقي عام ١٩٣٣.

في عام ١٩٣٢ تم تسمية الشوارع المهمة تسمية جديدة وتعليق اللافتات عليها مثل: الرشيد تيمنا باسم الخليفة العباسي هارون الرشيد، الملك فيصل، موسى الكاظم

تيمنا باسم الأمام موسى الكاظم، المنصور، المستنصر، المأمون، أبو نواس، الأمير غازي، المتنبي ابن سينا المعري وشوارع أخرى.

في عام ١٩٣٢ سمي شارع الرشيد تيمنا باسم الخليفة العباسي هارون الرشيد. يصف الرحالة أمين الريحاني في مطلع العقد الثالث من القرن الماضي شارع الرشيد بقوله "انه لشبيه بشارع في قرية أوروبية".

كان للتطور الكبير الذي شهدته المملكة العراقية في مختلف مجالات الحياة بعد عام ١٩٣٢ إثر كبير في الاهتمام بزيادة وسائط النقل العامة والخاصة التي انتشرت انتشارا واسعا. وتعبيد طرق المواصلات وتشييد الجسور الثابتة، فتم إنشاء جسرين حديديين ثابتين عرف الجسر الأول بجسر المأمون افتتح في ١٥ تموز ١٩٣٩ أما الجسر الثاني فكان يعرف بجسر الملك فيصل الأول (في موقع جسر مود) تم إنجازه عام ١٩٤٠.

في هذه الفترة تٌم إنجاز مبنى الكلية الطبية في بغداد (١٩٣٠) وافتتاح مبنى الميناء الجوي في الكرخ / مطار المثنى لاحقاً عام ١٩٣١، ومكتبة الأوقاف في باب المعظم (١٩٣١) ومبنى المعرض الزراعي الصناعي (١٩٣٢) وتٌم إنجاز قصر الزهور في الحارثية (١٩٣٣) والمستشفى الملكي (١٩٣٤)، ودار المعلمين الابتدائية في الأعظمية (١٩٣٥)، كما تم تنفيذ مباني الضريح الملكي في الأعظمية (١٩٣٤-١٩٣٧)، ومقر وزارة الدفاع في القلعة (١٩٣٥) وبناية كلية الهندسة (١٩٣٦) ومعهد الفنون الجميلة في الكسرة (١٩٣٦) وكلية فيصل في الأعظمية (١٩٣٧)، والنادي الأولمبي على ساحة عنتر (١٩٣٩)

توسعت المدينة في الثلاثينات بشكل غير منتظم وعشوائي في حالات كثيرة وكانت مسارات هذا التوسع تتبع مواقع الأبنية المهمة التي كانت تشيد وتحولت لمناطق

جذب لهذه التوسعات كمباني البلاط الملكي في الكسرة ومطار المثنى غرب بغداد وبيوت نادي العلوية في الكرادة وكلية الهندسة في الكرنتينة وكلية بغداد في الصليخ.

التصميم الأساسي لمدينة بغداد عام ١٩٣٦

فطنتً الحكومة العراقية إلى ضرورة تنظيم وتحديد واستيعاب عمليات التوسع الجارية ببغداد فشرعت قانون الطرق والأبنية رقم (٤٤) لسنة ١٩٣٥ الذي كان له دوره الكبير في إرساء المتغيرات الحاسمة والجذرية التي طرأت على البيئة المعمارية والتخطيطية.

أولى المحاولات الجادة، ذات الأهمية في تخطيط مدينة بغداد، قد جر ت في بداية سنة ١٩٣٦ عندما استدعت الحكومة العراقية، مكتب خبرة ألماني (Brecks & Bronoweiner of Berlin) المختص بتخطيط المدن وقد أوكلت اليه أمانة العاصمة مهمة أعداد تصميم حديث لمدينة بغداد ليتلاءم مع النمو الحضري المتوقع لمدينة بغداد واستيعاب سكاني مقداره نصف مليون نسمة وهو حدث تخطيطي مهم في تاريخ المدينة.

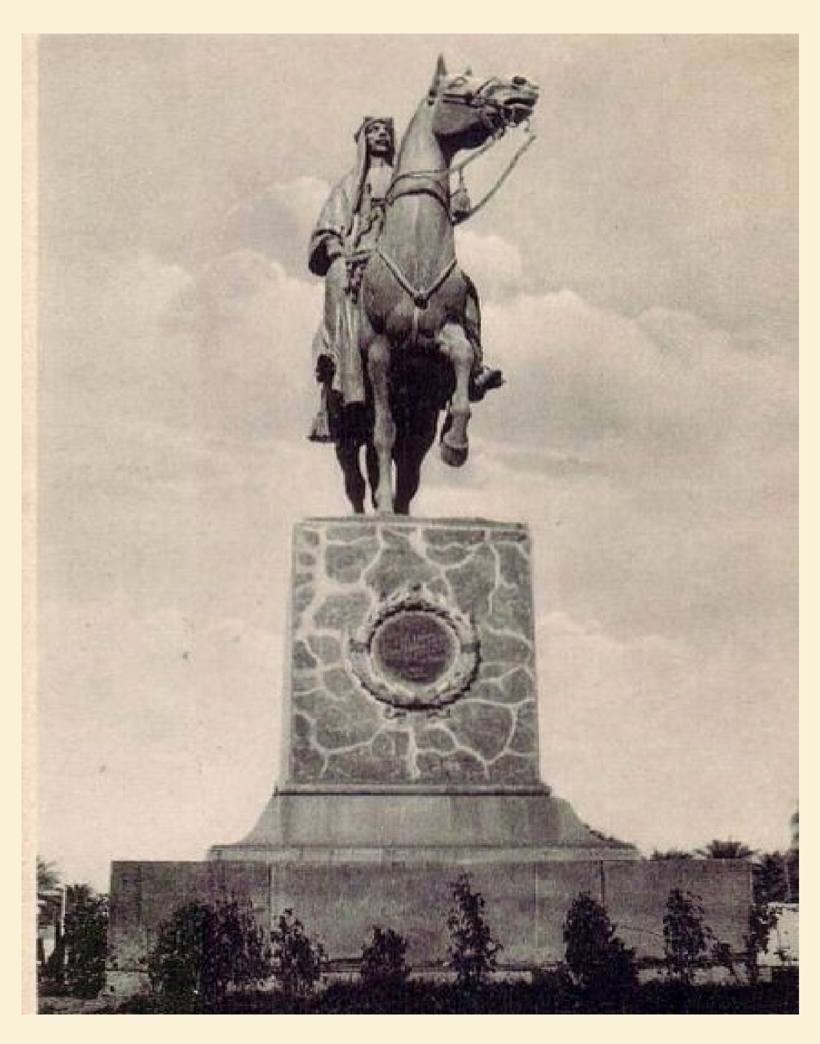
إن العديد من المشاريع التي اقترحها هذا التصميم وضعت موضع التنفيذ لاحقا منها شارعي الكفاح (الملك غازي) و(الشيخ عمر) عام ١٩٣٩وشارع الجمهورية (الملكة عالية) في جانب الرصافة.

تنفيذ هذه الشوارع استدعى تهديم عشرات من الأبنية ذات القيمة المعمارية من حمامات واسوا وخانات ودور سكنية حيث فقدت بغداد كنوز عمرها ألف سنة بسبب عدم دراسة تأثير التطور الحضري على مدينة تاريخية كمدينة بغداد. سيتكرر هذا الخطأ بعد أربعة عقود في منطقة الكرخ عند تنفيذ مشروع حيفا.

قامت تخمينات ذلك التصميم على أساس ان مدينة بغداد لا تستوعب أكثر من نصف مليون نسمة، إذا بقيت على حدودها القديمة المثبتة بلا إضافات جديدة لذلك استندت حسابات التصميم الى تلك التوقعات، وأخذت بنظر الاعتبار الزيادة الطبيعية، بحيث تتمكن المدينة من استيعاب ١,٥ مليون نسمة في أحوال اقتصادية واجتماعية مناسبة للزيادة المتوقعة في سكان بغداد لغاية عام ١٩٤٧.

هذا المخطط لم يوفق لعدم مواكبته للمتطور والنمو الذي شهدته مدينة بغداد بحيث تجاوز عدد نفوس بغداد النصف مليون نسمة عام ١٩٤٧.

يمكن القول ان بغداد ارتقت خلال عقد الثلاثينات من مدينة كانت تعيش بمستوى مدن القرون الوسطى بكل سلبياتها الصحية والديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية إلى حاضرة عصرية تنعم بامتيازات التقدم والارتقاء اللذين بلغتهما الحضارة الإنسانية وقتذاك.

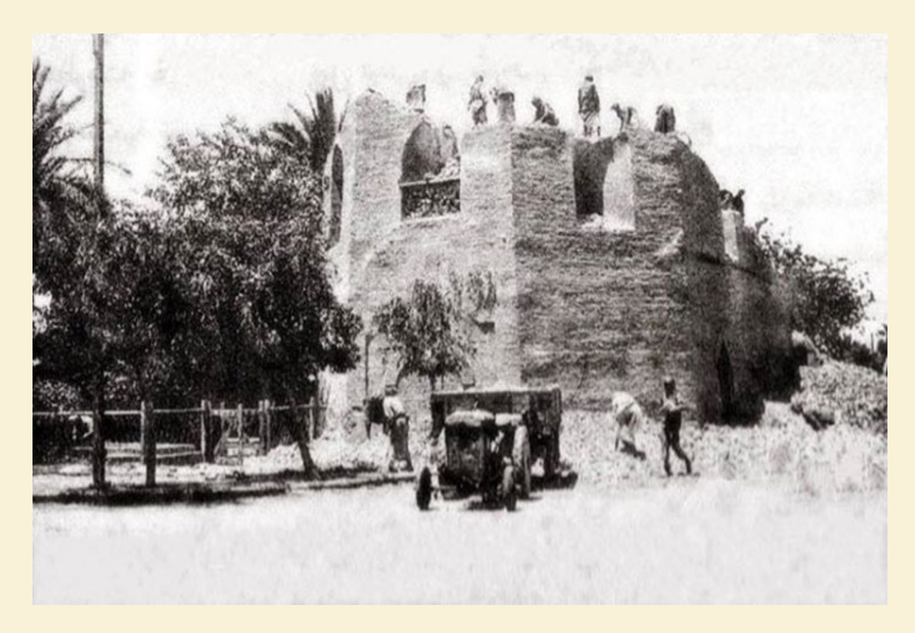


تمثال الملك فيصل الأول

تهديم باب كلواذا العباسي (الباب الشرقي)

من الحوادث المهمة للقرارات السياسية التي تخص التطوير الحضري في بغداد تهديم الباب الشرقي المنفذة من العصر العباسي. سميت خطأ بالباب الشرقي لاعتقادهم أنها تؤدي الى الشرق ولكنها بالأصل توجد في جنوب بغداد.

الباب الشرقي ذو الأبراج الأربعة كان في جزء كبير من ساحة التحرير الحالية، وأنه استخدم كحديقة في أواخر العهد العثماني، ثم استخدم ككنيسة للجيش البريطاني الذي احتل بغداد سنة ١٩١٧ وسميت بكنيسة (سنت جورج). هدمت هذه الباب عام ١٩٣٧ في عهد أمين بغداد أرشد العمري بحجة ربط شارع السعدون بشارع الرشيد وشارع الملك غازي (الكفاح حالياً) من دون معرفة الأهمية التاريخية لهذا الباب.



باب كلواذا خلال الهدم

مطار بغداد

شيد في بغداد سنة ١٩٣١ أول مطار رسمي وكان يسمى أيضا مطار (الوشاش) ويقع وسط بغداد في جانب الكرخ وهو محاط بمعسكر الوشاش (منتزه الزوراء حاليا) ومناطق علي الصالح والشالجية.

قام بوضع التصاميم المعماريين البريطانيين (ج م ويلسون وميسون) وفي عام ١٩٣٣ أفتتح الملك فيصل الأول " المطار المدني "في احتفال كبير وقد أعجب بالمطار عدد كبير من الزوار من مختلف بلدان العالم.

كان المطار مؤلف من طابقين يحتوي كل منهما ثلاث صالات كبيرة وغرف أخرى عديدة يشغل بعضها الدوائر العائدة للمطار والدوائر الملحقة به كدائرة للبريد والبرق ودائرة الجمارك وأخرى للشرطة ورابعة للصحة وللرصد الجوي وللاسلكي ومكتبة وفندق ضخم على الطراز الغربي، وقد استخدمت في المطار أحدث التجهيزات التي عرفتها المطارات الدولية آنذاك.

يعتبر بناء هذا المطار في العراق حدثا تاريخيا فريدا من نوعه وكان من أوائل المطارات التي أنشئت في المنطقة وظل يعمل لحين أنشاء مطار بغداد الجديد في أبو غريب خلال فترة السبعينيات من القرن الماضي حيث خصص للرحلات الداخلية ومن ثم تحول إلى قاعدة عسكرية.

شركات الطيران التي تستخدم المطار هي شركة الطيران الإمبراطورية وتسير طائراتها بين لندن وأستراليا لنقل البريد والبضائع والمسافرين وتستبدل طائراتها في باريس وكراجي والإسكندرية وسنغافورة ة شركة الطيران الهولندية وتسير طائراتها بين أمستردام أيضا تنقل البريد والبضائع والمسافرين و شركة الطيران الفرنسية" وتسير طائراتها بين باريس والمستعمرات الفرنسية آنذاك في الهند الصينية وتبدل طائراتها في بيروت وكانت هناك شركات أخرى عديدة تؤم طائراتها المطار الجوي العراقي في الثلاثينات بأوقات مختلفة ومنها طائرات شركة النفط الفارسية وطائرات شركة النفط العراقية وطائرات شركة نيرن.

سار توسع المدينة بدون تخطيط منظم في الثلاثينيات وظهرت أحياء جديدة كانت ذات طرز معمارية مختلفة عن عمارة الأحياء البغدادية القديمة، من حيث ضخامة بيوتها وكثرة عدد الغرف فيها، التي تكونت من طابقين وتقلصت الحدائق لزيادة مساحة البناء. اذ ان التقاليد الاجتماعية ساهمت في بقاء الأسرة مجتمعة ومتماسكة في بيت واحد كذلك ساعد استعمال قضبان الحديد [الشيلمان] وأنشاء أول مصنع للسمنت في العراق عام ١٩٣٦ يمكن القول: انه على الرغم من تلك التوسعات كانت بغداد قد تأثرت بشكل كبير بالسداد التي تحيط بها فبقي الشكل المستطيل هو السمة البارزة في توسعاتها على جانبي نهر دجلة.

بغداد الأربعينات

امتدت مدينة بغداد في الأربعينات شمالاً وجنوبا وعلى امتداد نهر دجلة وتحولت من النمو الدائري أو شبه الدائري ضمن أسوارها لتصبح ذات امتداد طولي، إذ أن الفيضانات لها إثر كبير في تحديد مساحة المدينة وتوسعاتها. ولا سيما في الجانب الشرقي الذي كان مهدداً بالغرق أكثر من الجانب الغربي. لذلك كانت تلك التوسعات عشوائية بعيدة عن الخطط التخطيط الحضري للمدينة.

كان توسع المدينة على امتداد جانبي النهر ووصل البناء الى الكاظمية والأعظمية الى جانب ذلك توسعت الرصافة من السنك والباب الشرقي نحو أرخيته والكرادة الشرقية، واتسع جانب الكرخ حتى مكان محطة قطار بغداد وجنوبا حتى كرادة مريم. ومن الجدير بالذكر ان التوسع قد حدث بعد ازدياد توجه سكان بغداد القديمة المحصورة ضمن بقايا السور نحو تلك المناطق انسجاما مع التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي سمح لهم بالتنقل لشراء مساحات واسعة وتشييد بيوت تتلاءم مع مراكزهم الاجتماعية ومستوياتهم الاقتصادية.

ظهرت أحياء جديدة في بغداد عام ١٩٤٥ حيث أسست شركات خاصة لإنشاء البيوت الحديثة الواسعة كشركة بغداد لجديدة التي اشترت ارض واسعة تتكون من ألاف الدونمات تقع في شرقي العاصمة. لم يحقق مشروع بغداد الجديدة نجاحا كبيراً في بداية الأمر لتعرض المنطقة للفيضانات الى جانب المنافسة الشديدة التي أوجدتها شركة حديثة مماثلة لها تأسست بعدها لبناء البيوت في غربي بغداد عرفت بشركة المنصور.

امتدت بغداد خلال هذه الحقبة نحو الأعظمية شمالا وباتجاه الكرادة الشرقية نحو الجنوب بعد ان حلت المساكن الجديدة محل بساتينها وامتد الكرخ بشكل بطيء نحو الشمال باتجاه الكاظمية ثم توسع نحو الجنوب واتصل بكرادة مريم وتوسع نحو الغرب إذ ظهرت بداية ضاحية جديدة هي المنصور.

تم أجراء أول إحصاء سكاني عام ١٩٤٧لسكان بغداد فبلغ ٥١٦٤٥٩ نسمة مقارنة بالتعداد السابق عام ١٨٦٩ م خلال حكم ولاية مدحت باشا الذي كان ٦٥٦٨٣ نسمة حيث يلاحظ تضاعف عدد السكان بحدود ثمان مرات خلال ثمان عقود أي ان عدد سكان مدينة بغداد قد تضاعف مرة واحدة كل عشر سنوات.

بيوت الطين

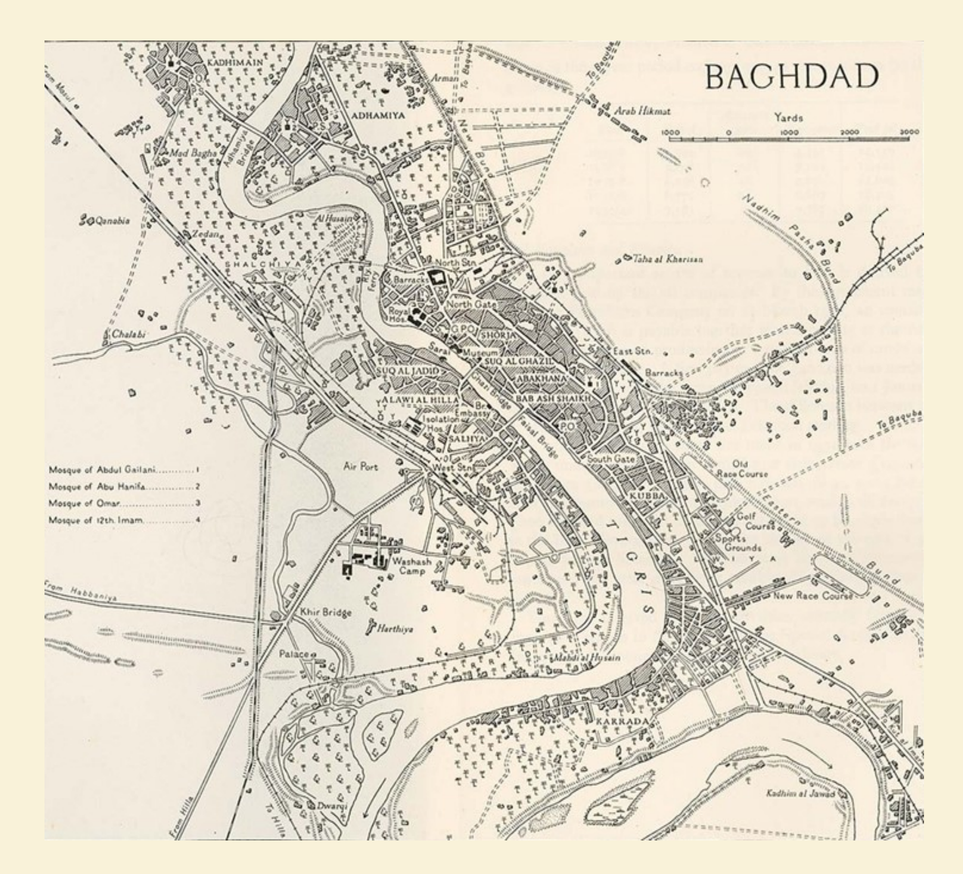
بعد أنشاء سدة الكوت عام ١٩٣٥ وتسببها بقطع مصادر المياه عن المئات من قرى العمارة والكوت المعتمدة بشكل أساسي في اقتصادها على زراعة الرز القاسية. بدئت الموجة الأولى من الهجرات الريفية لبغداد والمدن الكبيرة حيث بدأت بالظهور مجموعات سكنية ريفية على شكل احزمه من الصرائف خارج المدن. ظهرت أولى الصرائف في بغداد في أوائل الثلاثينيات، وغطت مساحات واسعة من المنطقة

القريبة من ساحة النهضة وامتدت حتى البتاوين في الباب الشرقي وكثر عددهم من المئات إلى الآلاف إلى عشرات الألوف.

شيّد النازحون وحداتهم السكنية "الصريفة من الطين" اللبن" " والتسقيف بالحصير المنسوج من القصب بدون توفر أي خدمات للماء والصرف الصحي ما جعل هذه المجمعات تعيش بمستوى معاشي وصحي واجتماعي سيء جدا.

وغالباً ما تكون مشيدة كلياً أو جزيئاً من الحصران المصنوعة من القصب وسقفها مقوس على شكل نصف دائرة من دون مساند ما عدا النهايات وتغطي الجدران الحصرية بمادة الطين أثناء الشتاء، ويمكن نقل الصريفة من مكان إلى آخر، وهي في الغالب تشمل غرفة واحدة.

تفاقمت مشكلة الصرائف في بغداد خلال الأربعينيات وتمركزت المجموعات العشوائية بكثافة سكانية عالية في منطقتين، الأولى في الكرخ في منطقة الشاكرية قرب محطة القطار القديمة مجاورة لفندق الرشيد الحالي، والثانية شرقي بغداد في الرصافة قرب محطة قطار الشيخ عمر الصاعد إلى كركوك.



خارطة بغداد الأربعينات

. عندما حصل الفيضان في نهر دجلة ولأن المنطقة التي يسكنونها منخفضة عن مستوى العاصمة فقد أحاطوها بسد يقيها الفيضان، ومع الوقت تجمعت فيها المياه الآسنة (والرواية عرجت على هذا السد وما خلفه) وصارت تنبعث منها روائح كريهة بسبب المياه الآسنة والوسخة، وأصبحت رمزا للفقر وهي لا اسم لها ولمعرفة مكانها كان الناس يطلقون على المنطقة (وره السدة) أي (خلف السدة).

كان نمو مدينة بغداد خلال الحرب العالمية الثانية بطيئاً نسبياً بفعل عوامل عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي وتعرض المدينة لفيضانات متكررة فضلاً عن

التأثيرات السلبية للحرب، التي انعكست على انخفاض الدخل القومي للبلاد فتدهور المستوى المعاشي للمواطن العراقي بصورة عامة.

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية استتبت حالة الأمن والاستقرار نوعاً ما في مدينة بغداد فكان هذا الامر من العوامل المشجعة على توسع الضواحي المحيطة بالمدينة. التي كانت في الأصل بساتين تنتشر على ضفتي نهر دجلة في الرصافة والكرخ.

كان توسع المدينة على امتداد جانبي النهر ووصل البناء الى الكاظمية والاعظمية والكرادة الشرقية. الى جانب ذلك توسعت الرصافة من السنك والباب الشرقي نحو ارخيته والكرادة الشرقية، ثم اتصلت بمعسكر الرشيد والاعظمية، واتسع جانب الكرخ حتى (مكان محطة قطار بغداد) وجنوباً حتى كرادة مريم. ومن الجدير بالذكر ان التوسع قد حدث بعد ازدياد توجه سكان بغداد القديمة المحصورة ضمن بقايا السور نحو تلك المناطق انسجاماً مع التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي سمح لهم بالتنقل لشراء مساحات واسعة وتشييد بيوت تتلاءم مع مراكزهم الاجتماعية ومستوياتهم الاقتصادية .

بغداد الخمسينات

شهدت مدينة بغداد في حقبة الخمسينيات توسعاً ملحوظاً بفعل عائدات النفط بعد التوسع في استخراجه وتصديره، وتنظيم اقتصاديات البلاد والتطور في محيط العراق الإقليمي والعربي، والاهتمام الدولي به، فضلًا عن وجود نخب مؤثرة في السياسة والثقافة والفكر.

شهدت مدينة بغداد في الخمسينات لتبدلات اجتماعية وثقافية وسياسية، واقتصادية وعمرانية، حيث استتبت حالة الأمن والاستقرار بعد نهاية الحرب

العالمية الثانية نوعا ما في مدينة بغداد فكان هذا الأمر من العوامل المشجعة على توسع الضواحي المحيطة بالمدينة. التي كانت في الأصل بساتين تنتشر على ضفتي نهر دجلة في الرصافة والكرخ ويمكن اعتبار العقد الخمسيني العقد الأكثر تأثيرا وأهمية في تاريخ مدينة بغداد والعراق الحديث فقد تحقق في هذا العقد من مشاريع تنموية وعمرانية جسد طموحات العديد من العراقيين بإمكانية التغيير نحو الأفضل اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا وهنا يجب ان لا ننسى ما تحقق من إنجازات إبداعية كثيرة في الفنون التشكيلية والرسم و الشعر والأدب والموسيقى والتعليم. وهنا لابد ان نذكر بأجلال جواد سليم وفائق حسن وعطا صبري وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي ونازك الملائكة وعبد الملك نوري وذو النون أيوب وغائب طعمة فرمان وآخرون. خلال تلك الفترة أصبح التواصل بين العالم أسهل مما سرع معرفة ما يجري من تطورات خارج العراق.

مجلس الأعمار

أسس مجلس الأعمار عام ١٩٥٠ على أثر زيادة في واردات النفط العراقي آنذاك كجهة عليا مسؤولة عن تصميم وتنفيذ المشاريع العُمرانية، كمشاريع الرَّي والصناعة والبناء وحدّد لمجلس الأعمار واجبات وضع مخطط هيكلي لتحقيق أهداف موضوعة على مستوى البلد وتنفيذ خطة عمرانية شاملة في كافة أنحاء العراق.

عائدات العراق في سنة ١٩٥٢ لسنة ١٩٥٣ بلغت خمسين مليون دينار بعد ان كانت عام ١٩٤٩ (٣) ملايين دينار فقط مما ساعد على زيادة المبالغ المخصصة للتوسع العمراني في المدينة.

نص قانون المجلس الصادر ١٩٥٠/٤/٢٥ على تخصيص إيرادات النِّفط كلها لمشاريع الأعمار، ثم صدر قانون خفّض المخصص للمجلس إلى ٧٠ % مِن إيرادات النِّفط، وأبقى ٣٠ % تذهب إلى الخزينة العامة للوفاء باحتياجات الدَّولة الأخرى.

كان رئيس مجلس الأعمار نوري السعيد رئيس الوزراء وعضوية نخبة من الشخصيات العراقية وبعض المتخصصين الأجانب.

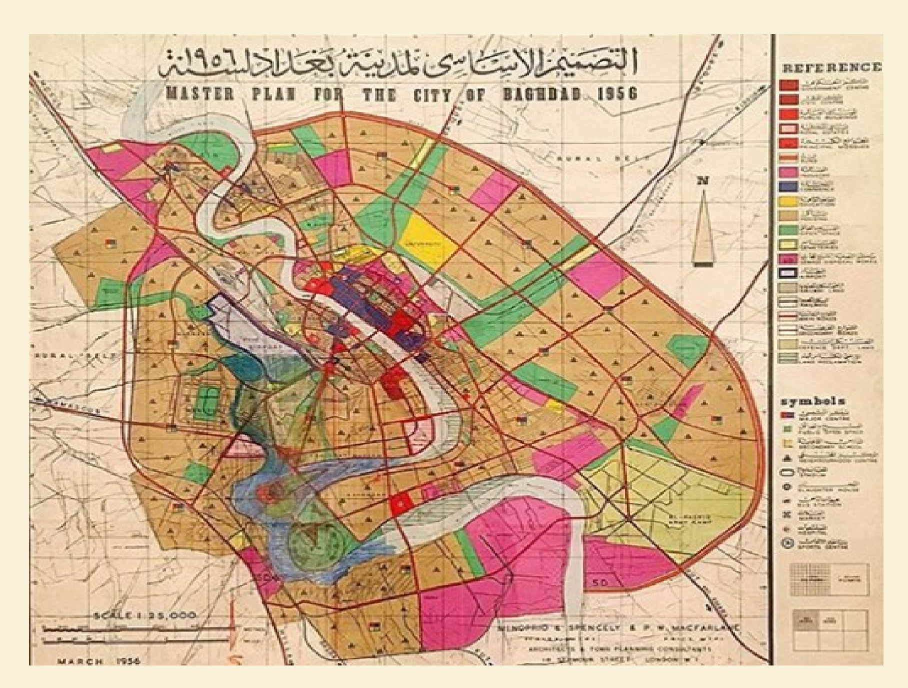


أعضاء مجلس الأعمار

أولى مجلس الأعمار مشاريع الري الكبرى اهتماما فائقا فأعطاها الأسبقية على جميع المشاريع الأخرى حيث افرد لها أكبر حصة في ميزانيته، فأنشأ مشروع سد الثرثار ومشروع بحيرة الحبانية سنة ١٩٥٦ ومشروع سد وخزان دوكان (انجز سنة ١٩٥٩) وسد وخزان دربن دخان (انجز سنة ١٩٦١) فتخلصت بغداد من خطر

الفيضان الذي كان يهددها إلى درجة عالية، وأدى إنجاز هذه المشاريع الكبيرة إلى تأمين أراضي بمساحات شاسعة في جانبي الكرخ الرصافة لتوسع بغداد العمراني.

بعد زيادة حصة مملكة العراق من عائدات النفط في الخمسينات من القرن الماضي، بدأ الملك فيصل الثاني وبتحفيز من جيل متميز من المهندسين المعماريين العراقيين الشباب، الذين أعدوا مهنياً في الغرب مثل جعفر علاوي ومدحت علي مظلوم ومحمد مكية و احسان كامل وأخرين بجمع عدد كبير من كبار المعماريين وأساطين العمارة في العالم لوضع تصور جديد لمدينة بغداد كمدينة عالمية صاخبة تنافس مدن العالم الكبرى، ومن هؤلاء المعماريون «فرانك لويد رايت، والتر غروبيوس، ليكوربوزييه، جوزيف لويز، ألفار وأينو ألتو.



التصميم الأساس لمدينة بغداد لسنة ١٩٥٦

دعا الملك فيصل الثاني في منتصف الخمسينيات مجموعة من المعمارين الغربيين بمعظمهم للمشاركة في وضع تصاميم مشاريع ضخمة وكبيرة ومختلفة الوظائف ـ كلف لي "كوربوزييه" بتصميم المدينة الرياضية في الكرخ في نفس موقع قصر المؤتمرات الأنن، و "فرانك لويد رايت" لعمل تصاميم مبنى الأوبرا في جزيرة أم الخنازير وكذلك تصميم مبنى البريد والبرق في المركز المدني الجديد ضمن التصميم الأساس المقترح من قبل شركة "مينو بريو Minoprio "و "فالتر كروبيوس " لتصميم جامعة بغداد.

كذلك كلف المعمار السويسري "وليم دونكل" بتصميم المبنى المركزي وكذلك تصميم مقر لمصلحة الكهرباء الوطنية وكذلك تصاميم البلاط الملكي ومجلس الأمة وهو ما يشغله حاليا مباني القصر الجمهوري والمجلس الوطني و"كوبر" هو من صمم مبنى كلية الهندسة في باب المعظم عام ١٩٣٦ وأشرف أيضا على تصاميم الضريح الملكي في الأعظمية عام ١٩٣٠.

تم اقتراح ١٣٧ مشروع لتصاميم لمبانٍ عامّة في مدينة بغداد، كجزء من مخطّط لتحديث المدينة باستخدام عائدات النفط كما كلف "دوكسيادس" لعمل التصميم الأساس لمدينة بغداد وعمل خطة الأسكان لمدينة بغداد.

دعوة هذه الأسماء العالمية من أساطين العمارة العالمية دفعة واحدة لعمل تصاميم في فترة زمنية قصيرة وفي مدينة واحدة يعتبر عملا نادر الحدوث في تاريخ العمارة العالمية في بلد صغير ونامي كالعراق.

تعد التصاميم المعمارية التي أعدت من قبل هؤلاء المعمارين حدثا معماريا على درجة عالية من الأهمية لما يتمتع به هؤلاء المعماريين من شهرة واهتمام في الأوساط المعمارية العالمية.

في عام ١٩٥٤ شرع بوضع مخطط أساس جديد لمدينة بغداد من قبل مينوبريو وشركاؤه (Minoprio) وهي شركة بريطانية للتخطيط الحضري والذي انجز في عام ١٩٥٦ (سكان بغداد بحدود ٦١٢٠٠٠ نسمة) ومساحة مدينة بغداد فكانت ٢٠٤ كيلومتر مربع). كان التصميم الأساسيّ الذي وضع لمدينة بغداد عام ١٩٥٦ على شكل شعاعي، بقطر يقارب ١٨ كيلومترا مع اقتراح نظام طرق شعاعية تتجه للمركز. يحيط بالمدينة حزام ريفي أخضر من الأراضي الزراعية بعرض (٢) كم لمنع الانتشار العشوائي للمدينة خارج هذا النطاق.

التصميم الأساسيّ على شكل شعاعي، يسهل الحركة في المدينة وأطرافها من جهة ولكنه من جهة أخرى قد يؤدي الى أضعاف الوظيفة السكنية لان قطع الأراضي ذات الأشكال الهندسية قد لا تكون مرغوبة لأغراض السكن.

وضع هذا المخطط على أساس إن بغداد ستستوعب (١,٥) مليون نسمة كحد أقصى لغاية عام 2006، لكن تعداد بغداد تجاوز هذا العدد بعد مرور (١٠) سنوات فقط.

اهم ما جاء في التصميم فتح شارع الخلفاء وصاحب تطبيق التصميم هدم كثير من الدور في الجانب الشرقي من بغداد.

شبكة المجاري في بغداد

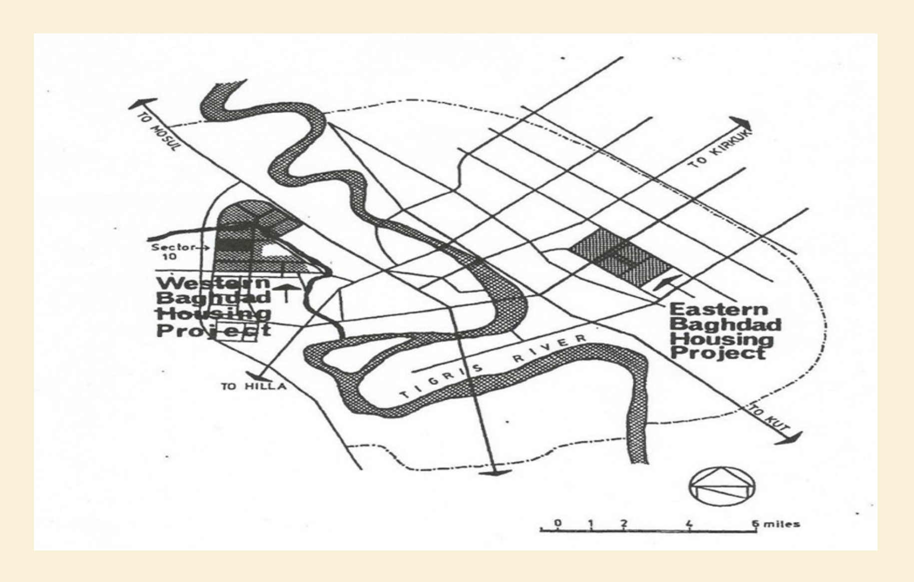
تم تأسيس (مصلحة المجاري العامة) في عام ١٩٥٥ لإنقاذ السكان من خطر تجمع فضلات المرافق الصحية والمطابخ والحمامات وتراكم مياه الأمطار والمياه المتجمعة تحت سطح الأرض، ولنقل الفضلات بحالتها الطرية وحملها إلى مناطق بعيدة عن مناطق السكن وإحاطة الأرصفة بالكاشي وتنظيف البالوعات والطرق العامة.

في شهر آذار/مارس ١٩٥٧، افتتح الملك فيصل الثاني جسر الملكة عالية (الجمهورية الآن) الرابط بين كرادة مريم من جهة الكرخ، والباب الشرقي من جهة الرصافة، وجسر الأئمة الرابط بين الكاظمية والأعظمية ووضع حجر الأساس للمتحف العراقي الجديد في منطقة الصالحية، والذي تم الانتهاء منه في عام ١٩٦٦، وهو من تصميم المعماري فرانك لويد رايت.

مؤسسة دوكسيادس اليونانية

تم تكليف الاستشاري دوكسيادس اليوناني " Doxiadis Associates "من قبل مجلس الإعمار بمهمّة بإعداد تصميم أساسي جديد لبغداد لاستيعاب ٣ مليون نسمة حتى سنة ١٩٧٨، أي بعد ٢٠ سنة على أن يؤخذ بالحسبان التصميم المعد من قبل الاستشاري مونوبوريو.

وكذلك تم تكليف الاستشاري دوكسيادس اليوناني بتخطيط برنامج السكن القومي للعراق وهو مشروع طويل الأمد يهدف إلى تشكيل البيئة المدنية للدولة وفقاً لسياساتها الاقتصادية النامية، وتقضي الخطة ببناء ٤٠٠ ألف دار بحلول عام ١٩٨٠ في عموم العراق ويشمل بالإضافة إلى الإسكان، الخدمات العامة والبنية التحتية إذ أخذ موضوع الإسكان منحى سياسياً بامتياز، وكان على الدولة بعد زيادة عائدات النفط أن تظهر ملامح التقدّم والتغيير بصورة ملموسة للطبقات ذات الدخل المحدود عن طريق حلّ أزمة السكن، وتوفير برنامج رفاه اجتماعي كفيل بمنع أيّ مدّ اشتراكي محتمل.



مقترح الاستشاري اليوناني لأنشاء مشروعين للسكن شرق وغرب بغداد

مشروع أسكان غرب بغداد

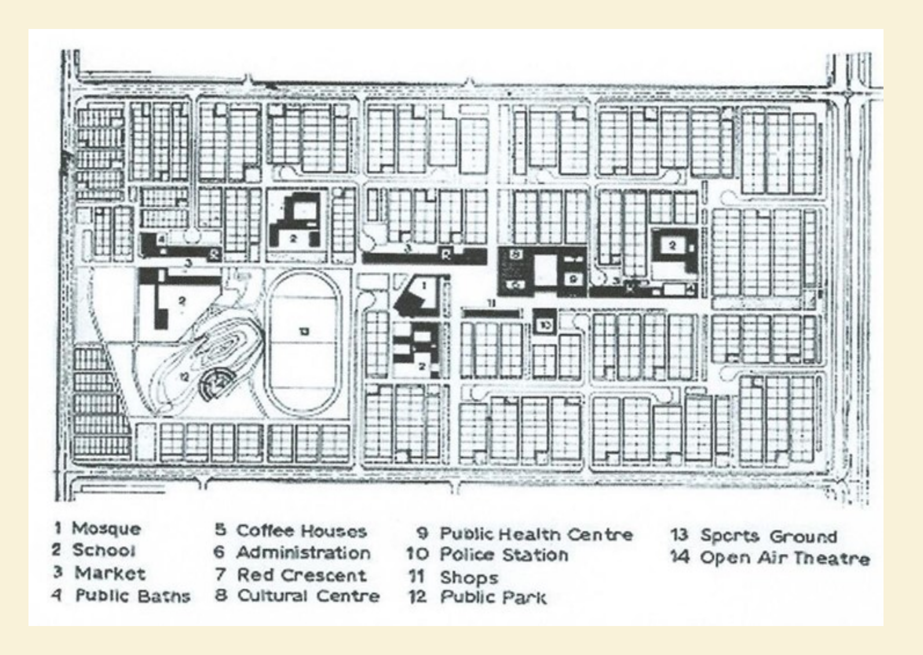
هذا المشروع مقترح من قبل شركة دوكسيادس اليونانية ويمثل الحلقة الأولى من مشاريع الإسكان المقرر تنفيذها خلال السنوات الخمس التي تنتهي عام ١٩٦٠ تستفيد منه ٢٥ ألف عائلة حيث تم افتتاح ١٢٠ دارًا ضمن هذا المشروع في منطقة الوشاش، وألف دار في منطقة الشالجية لعمال السكك،

مشروع إسكان شرق بغداد

اعتمد المخطط المعد من قبل الاستشاري على نمط تخطيطي يتكون من تقاطع وتعامد الطرق والممرات مكونا شبكة شطرنجية. هذا النمط من التخطيط استخدم في مشاريع الإسكان كافة في مدن العراق المختلفة (البصرة والحلة وغربي بغداد والسليمانية). تتكون المدينة المقترحة حسب تخطيط الاستشاري اليوناني دوكسيادس من ٦ قطاعات رئيسية تشترك بمركز مدني في موقع وسطي مركزي،

وكل قطاع متكون من ٢٨-٣٠ بلوكا والبلوك عبارة عن مجموعة من ٢٦-٣٢ دارا متراصة بطابق واحد ونصف طابق، مساحة كل بيت ١٤٠ متراً وجميع الدور مقسمة بشبكة طرق داخلية بدون حدائق وتشجير. يضم المركز المدني فضلا عن السوق جامعاً ومستوصفاً ومدارس ثانوية وأبنية إدارية ومركزاً للشرطة.

كان نموذج الاستشاري اليوناني دوكسيادس العمراني يتمثل في تصاميم لمساكن جاهزة وأحياء متكررة لاستيعاب النمو المتزايد من النازحين الفقراء والفلاحين إلى بغداد، والذين كانوا قد شكلوا حولها حزام بؤس وقد أحيطت المدينة الجديدة بمنظومة شوارع ملحقة بمرافق عامة شديدة التواضع وتمثل مساحة البيت الواحد بمقابل عدد أفراده صورة قاتمة في بعدها السيكولوجي والاعتباري. قدّر عدد سكان الصرائف بنحو ١٨٤ ألف نسمة عام ١٩٥٨، وهو العام الذي شهد تأسيس النظام الجمهوري.



مكونات القطاع السكني ضمن مشروع إسكان شرق بغداد

الحارثية والمنصور

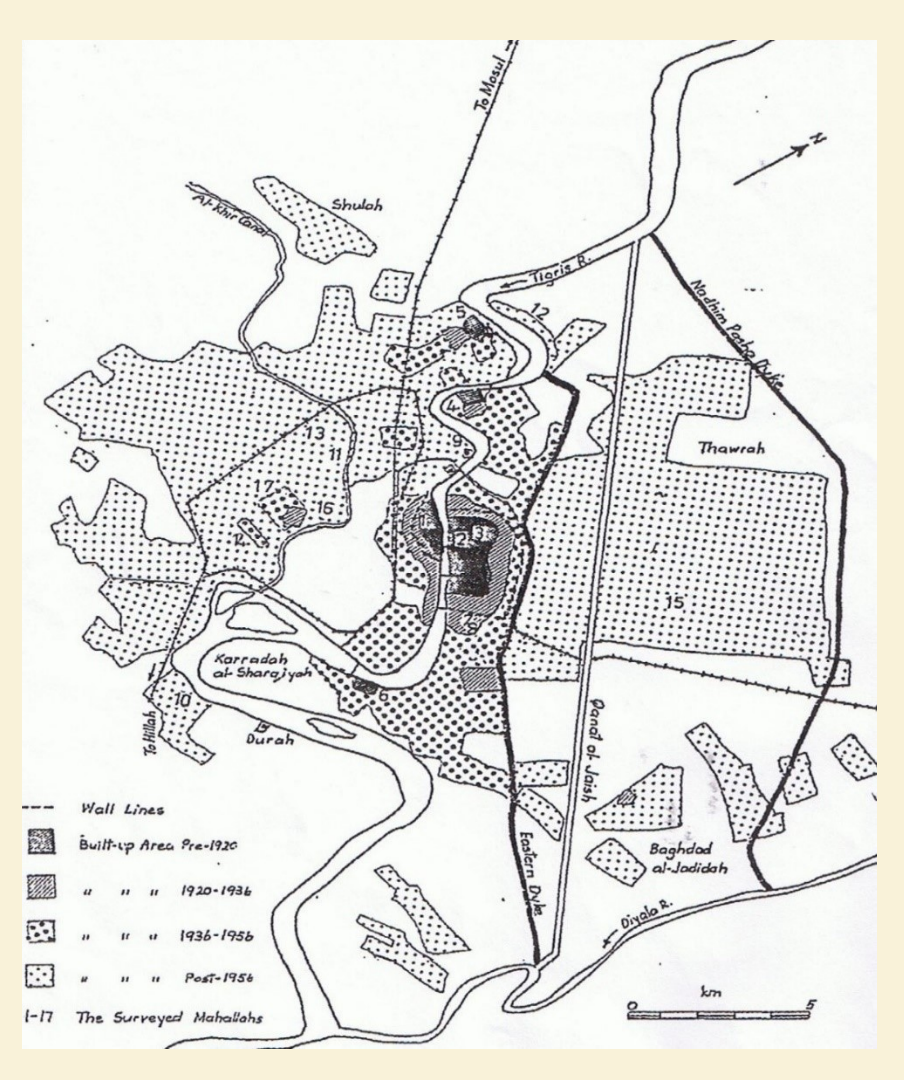
اختار الملك فيصل الأول عام ١٩٣٢ مزارع الحارثية لمكان سكناه فبنى قصر الزهور أول القصور الملكية والذي كان داخل قصر السلام الحالي توفي ولم يسكنه، سكنه ابنه الملك غازي ثم بنى الوصي على العرش عبد الإله عام ١٩٤١ قصره أيضا في الحارثية قصر الرحاب الذي أصبح داخل المخابرات وموجود إلى الآن.

كان شارع الكندي هو الطريق الترابي المؤدي إلى قصر الزهور وشارع المعرض الطريق المؤدي إلى قصر الرحاب.. ولأن نهر الخر يمر بين القصرين كان هناك جسر حديدي في مكان ساحة النسور اليوم يسمى جسر الخر القديم وبالقرب من القصرين كان معسكر الوشاش ومطار بغداد الذي افتتح عام ١٩٣٢.وفي منتصف الخمسينات قرر مجلس الأعمار على المنطقة لإنشاء ملعب المنصور (ملعب الكرخ حالي) ومعرض بغداد الدولي.

بلغت مساحة بغداد بحدودها القديمة ٢٠٤ كيلومتر مربع فقط قبل سنة ١٩٥٦ وقد تم توسيع مساحتها البلدية بقرار من مجلس أمانة العاصمة في عام ١٩٥٦ لتشمل قسم مركزي كثيف وسمي بالمنطقة المعمارية ومساحته (٣٢٠) كيلومتر مربع والقسم الخارجي المكون معظمه من أراضي زراعية وقد امتد اليه العمران الحديث فسمي بالمنطقة العمرانية الخاصة ومساحته (٦٢٠) كيلو ميتر مربع وبذلك تكون مساحتها الكلية بجانبيها الشرقي والغربي (٨٥٠) كيلومتر مربعا أو (٣٤٠٠٠٠) مشارة ومن ضمن ذلك مساحة نهر دجلة البالغة (١١٢٤٠) مشارة[١١] وعدد سكانها بحدود ستمائة الف (٦١٢٠٠٠) نسمة .

[١١] تساوي المشارة ٢٥٠٠ متر مربع

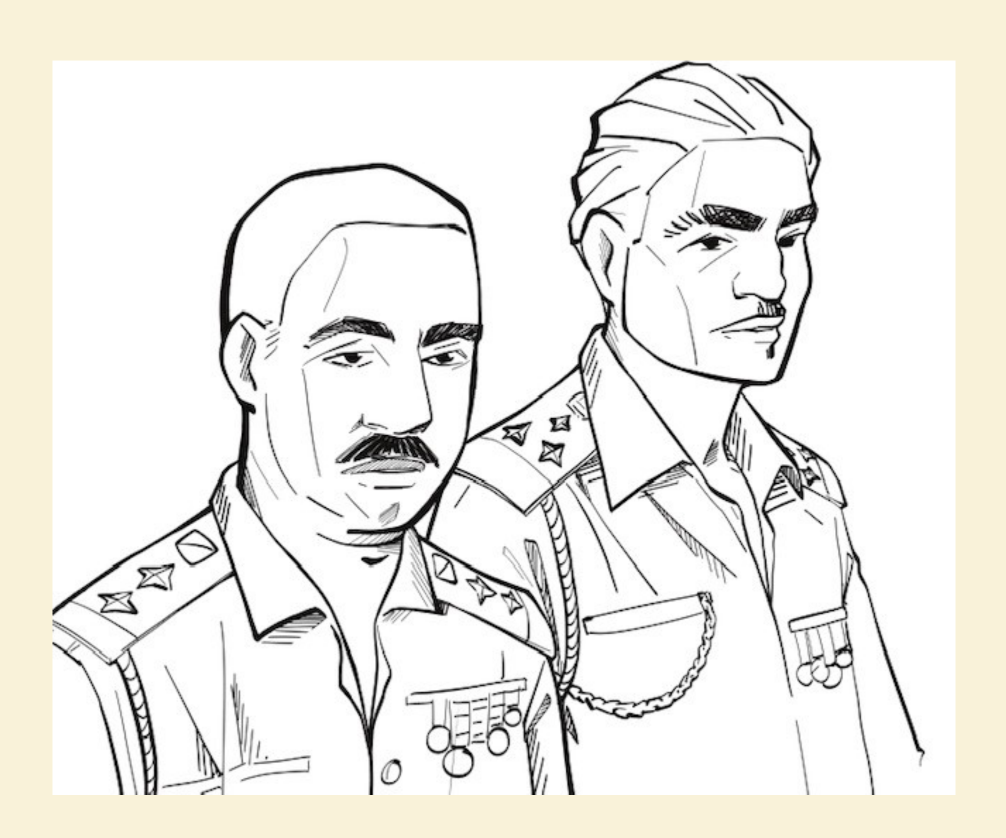
في منتصف الخمسينات تم توزيع أراضي على المحامين والاقتصاديين وبيع كثير من القطع بالمزاد العلني من الدولة واشتراها كثير من العوائل الميسورة وهكذا إلى يومنا هذا.



توسعات مدينة بغداد خلال الخمسينات من القرن العشرين

الفصل الرابع

بغداد عاصمة جمهورية العراق



في فجر يوم ١٤ تموز / يوليو ١٩٥٨ تمت الإطاحة بالنظام الملكي في البلاد من قبل مجموعة من الضباط بقيادة عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف وقُتل على أثرها جميع أفراد العائلة المالكة وعلى رأسهم الملك فيصل الثاني (٢٣ سنة) وولي العهد عبد الإله ورئيس الوزراء نوري السعيد وتم على إثرها الغاء النظام الملكي وتأسيس الجمهورية العراقية.

إذا كان الفرنسيون قد قالوا كلمتهم في ١٤ تموز / يوليو 1789 بعد مرور قرابة مائة سنة على أحداثها المريرة التي استمرت سنوات طوال، فان العراقيين سيقولون كلمتهم في ١٤ تموز / يوليو ١٩٥٨ بعد مرور مائة سنة عليه، مع الفارق التاريخي الهائل بين الحدثين الكبيرين في كل من فرنسا والعراق!

صحيح ان ١٤ تموز العراقية قد ترجمت مشاعر ملايين الناس من العراقيين بالوقوف معه او ضده باعتباره من اهم أحداث العراق في القرن العشرين، ولكنه يقع ضمن سلسلة وسيرورة أحداث الانقلابات العسكرية التي مرت بها دول المنطقة والعالم، وان تنفيذه قد جرى عسكريا على أيدي حركة الضباط الأحرار ، وقد اعقب ذلك ثورة في العلاقات والقيم والتربية والمفاهيم .. استخدمتها كل القوى السياسية الراديكالية والقومية والدينية العراقية المؤثرة.

ثورة ١٤ تموز حدث تاريخي ليس في تاريخ العراق المعاصر وحده، بل في حياة الشرق الأوسط كله ، اذ انه هز العالم اجمع ليس بسبب مفاجأته العالم وقت ذاك ، بل بسبب ما رافقه من وقائع تراجيدية كان لها وقعا كبيرا في مشاعر كل الشعوب مقارنة بغيره من الأحداث .. فضلا عن كونه حدث رافقه تغيير جذري ليس في سياسة الدولة ومؤسساتها وانقلابها من

ملكية الى جمهورية، ومن تشريعية الى ثورية، بل ما حدث في المجتمع من تغييرات جذرية.

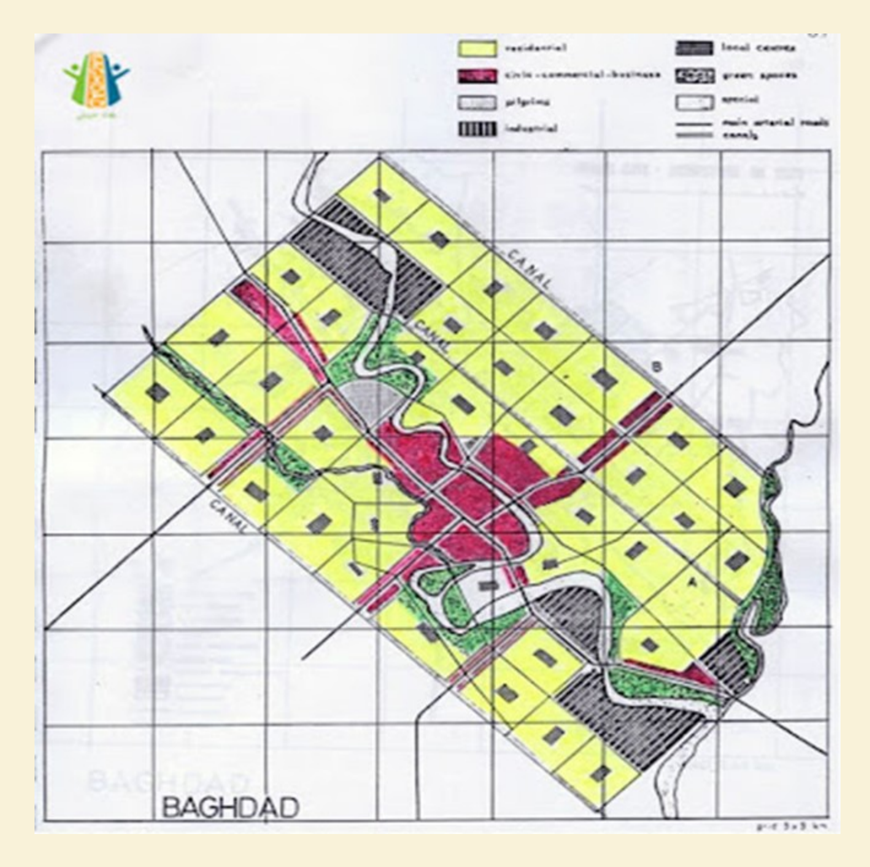
تحوّل ديموغرافي يجتاح مدينة بغداد

بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ طرأ تحوّل ديموغرافي لمدينة بغداد لتدفق مئات الألوف من المهاجرين الفقراء من الريف في جنوب العراق نحو المدن ولاسيما العاصمة بغداد (عدد سكانها بحدود نصف مليون نسمة عام ١٩٥٨) خاصة أن رجال الثورة الجدد وعدوا بخطبهم توزيع الأراضي والدور السكنية ما ولد فيضان بشري باتجاه بغداد لا يمكن صده.

توقفت مشاريع مجلس الإعمار الذي تم التطرق اليه في الفصل السابق بعد قيام ثورة ١٤ تموز، ولم تنفذ، مثل دار الأوبرا المصممة من قبل المعماري الشهير فرانك لويد رايت Frank Lloyd Wright في كرادة مريم، ومطار بغداد الجديد في أبو غريب، وفنادق هيلتون في بغداد و مدينة كربلاء وكان هناك اتفاق مع شركة هيلتون الأمريكية الشهيرة لإدارتهما بعد اكتمال البناء، ، وملعب لكرة القدم يتسع لسبعين ألف متفرج في بغداد.

تصميمٌ أساسي جديد

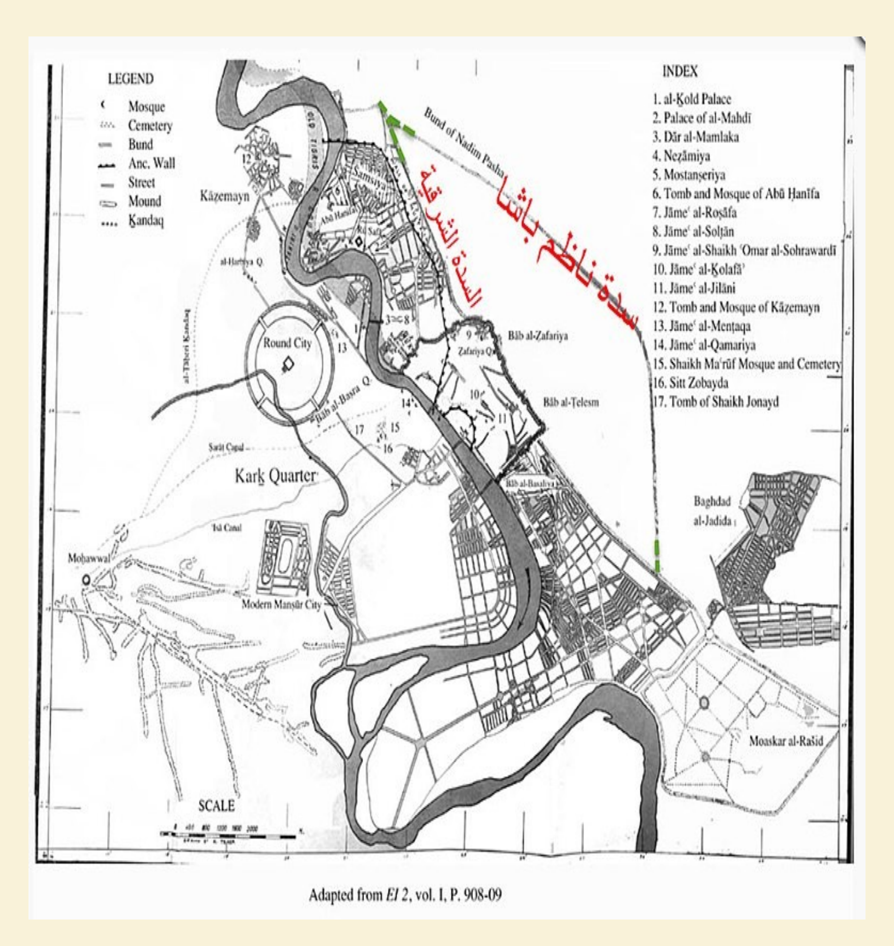
قدم الاستشاري اليوناني دوكسيادس تصميماً أساسياً جديداً لمدينة بغداد بعد تغيير الحكم من النظام الملكي الى النظام الجمهوري مغاير كلياً عن التصميم الأساس المعد عام ١٩٥٦ والذي تم التطرق اليه في الفصل السابق.



التصميم الأساس لمدينة بغداد عام ١٩٥٩

التصميم الجديد المقترح كان بشكل مستطيل بأبعاد ١٨كيلومترا عرضاً و٣١ كيلومترا طولاً لخدمة مدينة بمساحة تزيد قليلا عن ٥٠٠ كيلومتر مربع تمثل مرتين ونصف مرة أكبر من الخطة السابقة على ان يستوعب التصميم الجديد بحدود (٣) مليون نسمة لغاية العام ١٩٧9 (عشرين سنة قادمة).

ألغى دوكسيادس حدود المدينة القديمة وهما نهر الخر[١٢] غرباً وسدة ناظم باشا[١٣] غرباً، وأفسح المجال أمام قيام مدن ملحقة ببغداد هي: بغداد الجديدة والرشاد، ومن ثم مدينة الثورة شرقاً، والشعلة والمنصور والمأمون والدورة والداوودي غرباً.



حدود المدينة القديمة نهر الخر غرباً وسدة ناظم باشا شرقا

---

[١٢] **نهر الخر كان نهرا كبيرا يمتد تاريخه إلى العهد العباسي تقلص ليصبح بعرض ٥ أمتار في السبعينات ثم تم طمره نهائياً عام ٢٠٠٢ بعد أن جف الماء فيه وأصبح مجمعاً للفضلات والمياه الآسنة.**

[١٣] سدة ترابية، أنشأها ناظم باشا والي بغداد عام ١٩١٠، لحماية بغداد من الفيضان

يحتوي التصميم الجديد على خمس قطاعات رئيسة تكون حدودها عوارض طبيعية أو اصطناعية واضحة كالأنهار أو الطرق الرئيسة للمرور السريع، وكل قطاع يستوعب نصف مليون شخص. من أهم المقترحات التخطيطية التي جاء بها التصميم المقدم للحد من امتداد العمران على الأراضي الزراعية الجيدة على ضفتي نهر دجلة حفر قناة مائية سميت الجيش مع طريقين سريعين موازيين لها سميّا بشارعي القناة، جانب الرصافة شرق بغداد وفي الكرخ غرب بغداد تم تنفيذ شوارع جديدة هي شارع ١٤ تموز و شارع الأردن وشارع الربيع وذلك لتحفيز التوسع العمراني إلى خارج حزام نهر دجلة.

أنهت حكومة ثورة تموز عقد الاستشاري اليوناني دوكسيادس بتاريخ ١٩٥٩/٥/٢١ وتم توسيع مشروع شرق بغداد لأسكان أصحاب الصرائف وأطلق على المشروع اسم مدينة الثورة. القطاعات الستة المخطط تشييدها لإسكان الوافدين أصبحت ٧٩ قطاعاً وبدلا من ستة الاف دار كما المخطط الأصلي تضاعف المشروع الى ٧٩٠٠٠ دار (مساحة الدار الواحدة"١٤٤ "متراً مربعاً).

تصاعدت وتيرة توزيع الأراضي وأنشاء أحياء جديدة في الستينات على حساب المزارع والبساتين والمناطق الخضراء دون تصميم حضري حيث تصدر القرارات من الجهات العليا وعلى الدوائر المعنية التنفيذ، ثم امتد العمران عند منتصف الستينات ليقضم أطراف المدينة وبساتينها ليطال التشويه ذاكرة الحي البغدادي بيت أثر بيت وشارع أثر شارع، الى ان قامت مدينة مغايرة على تخوم المدينة القديمة وماضيها.

شكّل سكّان العشوائيات آنذاك نحو ١٨ بالمئة من سكّان العاصمة، الأمر الذي عدّ أولى الخطوات لتغيير النسيج الاجتماعي لمدينة بغداد من مجتمع المدينة الى مجتمع الريف. هؤلاء النازحين شكّلوا نحو ٥٧ في المئة من القوى العاملة في

العاصمة، وهو ما يعني سرعة اندماجهم داخل المدينة ومساهمتهم في تطوير اقتصادها.

لم يراع تصميم هذه المجمعات السكنية الذخيرة التاريخية لمدينة بغداد والهوية الثقافية لها، بل جاء عبر تطويق مركزها التاريخي بوحدات سكنية نمطية، مكررة، مؤلفة من طابق واحد أو طابقين، خالية من الذوق المعماري مع لمسات محلية متواضعة، وقد شكلت هذه التجمعات لاحقا مناطق عازلة باتت أشبه مزدحمة، ضمن منظومة طرق وشوارع ضيقة ومغلقة وملحقة بمرافق عامة شديدة التواضع ولم يتم وضع معايير إنشائية أو تصميمية خاصة للمظهر الحضري. كان هم حكومة الثورة التخلص من الصرائف وتوفير الخدمات المدنية الأساسية كخطوة مهمة في تحسين أوضاع هؤلاء المواطنين الفقراء وكسب ولائهم.

لا أحد توقع عواقب تلك الهجمة البشرية آنذاك، إلا ان تأثيرها بات كارثيا فيما بعد، حين توسعت المدن عشوائيا، وتأثرت بالجموع الجديدة من حيث طراز الحياة والعادات، وباختصار تريفت المدينة بدلا من أن يتحضر الريفيون.

توسعت بغداد خلال فترة الستينات ليصبح عدد نفوسها حسب إحصاء سنة ١٩٦٥ بحدود المليون ونصف المليون نسمة (١,٥٢٣,٣٠٢) نسمة هي ان بغداد تضاعف عدد سكانها ثلاث مرات خلال ثمان سنوات (١٩٥٨-١٩٦٥).

معالم معمارية خلال الحكم الملكي (١٩٢١-١٩٥٨)

في محاولة للحاق بركب الحضارة قررت المملكة العراقية الفتية تخليد ركائز النظام السياسي الملكي في العراق، بعمل نصب تذكارية للجنرال مود القائد البريطاني،

الذي احتل العراق، وللملك فيصل الأول، و عبد المحسن السعدون[١٤]. وهي بذلك أرادت ان تحذو حذو الدول المتحضرة بتجميل ساحات عاصمتها تزامنا مع نهضة اجتماعية وثقافية كانت قد بانت في الأفق, فاختارت لهذه المهمة النحات الإيطالي بيترو كانونيكا Pietro Canonica أستاذ النحت في أكاديمية الفنون الجميلة في فينيسيا، لإنجاز هذا العمل وكان هذا النحات قد ذاعت شهرته بإنجاز النصب فكانت له أعمال نحتيه في عدد من عواصم العالم ففي لندن كان قد انجز تمثال من الرخام للملك جورج السابع وضع في ساحة قصر باكنغهام وهناك اربع نصب له في تركيا لكمال أتاتورك موزعة بين انقره وإسطنبول وكذلك له تمثال للقيصر الروسي أليكس الثاني في موسكو ومدن أخرى كثيرة.

في أوائل الأربعينيات تم تشييد نافورة من الحجر في شارع الشيخ عمر، تمثل أربعة أسود يندفع من أفواهها الماء نحو حوض دائري، الفكرة مستلهمة من الموروث الأندلسي، وسمي المكان (ساحة السباع).

---

[١٤] عبد المحسن السعدون أحد الرموز الوطنية العراقية، وعضو المجلس التأسيسي وثاني رئيس وزراء في العهد الملكي في العراق



ساحة السباع

معالم معمارية خلال الحكم الجمهوري

بعد ثورة تموز/يوليو ٥٨، ظهرت الحاجة لنصب جديدة تنسجم مع متطلبات العهد الجديد وشهدت الخمسينيات التحولات الأهم في ميادين الإبداع العراقي، وكانت الأعمال الفنية النحتية (النصب والتماثيل) التي توزعت في ساحات بغداد، ومدن أخرى، تمثل خبرة تجارب جيل من النحاتين، الذين تمكنوا من إتقان الأساليب الفنية الحديثة، وتأثروا بمدارسها في أوروبا، فقدموا نماذج ناجحة من الأعمال الفنية، وبوعي إنساني، وبصياغات غير معقدة في الصورة والرمز والاستعارة، فقاد الفنان العراقي جمهوره نحو أرفع الأحاسيس وأنبلها في جداريات وتماثيل، وأعمال نحتية ظلت خالدة طيلة العقود الماضية.

نستعرض اهم الشواخص المعمارية التي تم تشييدها بعد ثورة تموز عام ١٩٥٨.

نصب الجندي المجهول

الجنود المجهولون هم أولئك الأبطال الذين لقوا حتفهم في معارك الشرف دفاعاً عن تربة الوطن، ولم يعثر عن جثثهم أو لا يمكن التعرف عليها لتسليمها لذويهم، فقررت حكوماتهم بتكريمهم بتشييد نصب تذكاري يليق بعملهم البطولي . أول ضريح للجندي المجهول يعود الى عام ١٨٥٨ وهو ضريح (جندي المشاة) في الدانمارك بعد حرب سكيلسفيغ الأولى . ويليه ضريح أحداث الحروب الأهلية في أميركا، أقيم عام ١٨٦٦. أما بعد الحرب العالمية الأولى فقررت بعض الدول كفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وإيطاليا بتكريم شهدائها بتصميم نصباً فنياً أو ضريحاً في أرض العاصمة أو بالقرب منها يرمز الى قبر ذلك الجندي المجهول.

في الحرب العالمية الأولى أصبح عدد الجنود الذين لم يتم التعرف على هويتهم عدداً هائلاً. فبدأت فرنسا عام ١٩٢٠ بتأسيس أول ضريح لجنودها المجهولين في ساحة (شارل ديغول) تحت قوس النصر . وهكذا بدأ بلدان كثيرة بتكريم شهدائها أيضاً.

في عام ١٩٥٩ تم تشييد نصب تذكاري بأمر من رئيس وزراء العراق عبد الكريم قاسم في احدى ساحات بغداد المهمة هي ساحة الفردوس التي أعتبرها بوابة دخول الجيش العراقي لتحرير بغداد من النظام الملكي. يرمز النصب للجنود المجهولين الذي ذهبوا ضحية الحروب في العراق،

امر الرئيس صدام حسين عام في عام ١٩٨٢ بهدم نصب الجندي المجهول وتم وضع تمثال ضخم لصدام بنفس مكان الجندي المجهول السابق محاط ب ٣٧ عمودا كدلالة على تاريخ ميلاده في عام ١٩٣٧ م ويكون تمثاله عاليا في وسط تلك الأعمدة وهو نفس التمثال الذي أزاله الجيش الأمريكي بعد احتلال بغداد عام ٢٠٠٣ وشاهده العالم عبر شاشات التلفزيون.

هذا هو الأسلوب الذي سار عليه حكام العراق، فأغلبهم يدمرون آثار ما تركه الحاكم الذي سبقهم، ولهذا ليس هنالك استمرارية لحفظ تراث البلد والاعتزاز به كما هي الحال في البلدان الأخرى من العالم.

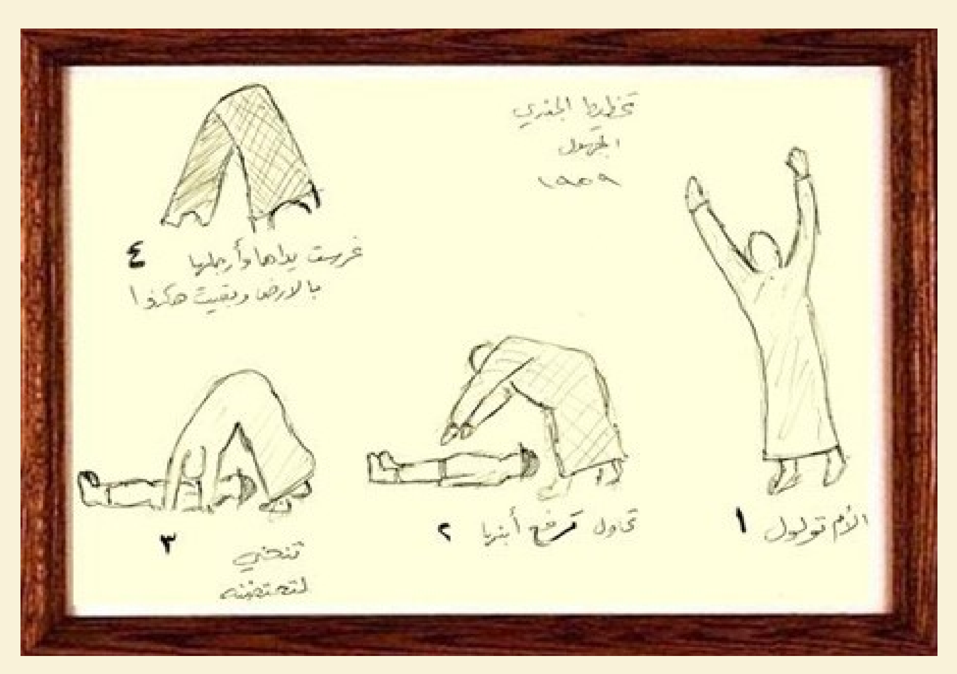
رموز العمل الفني

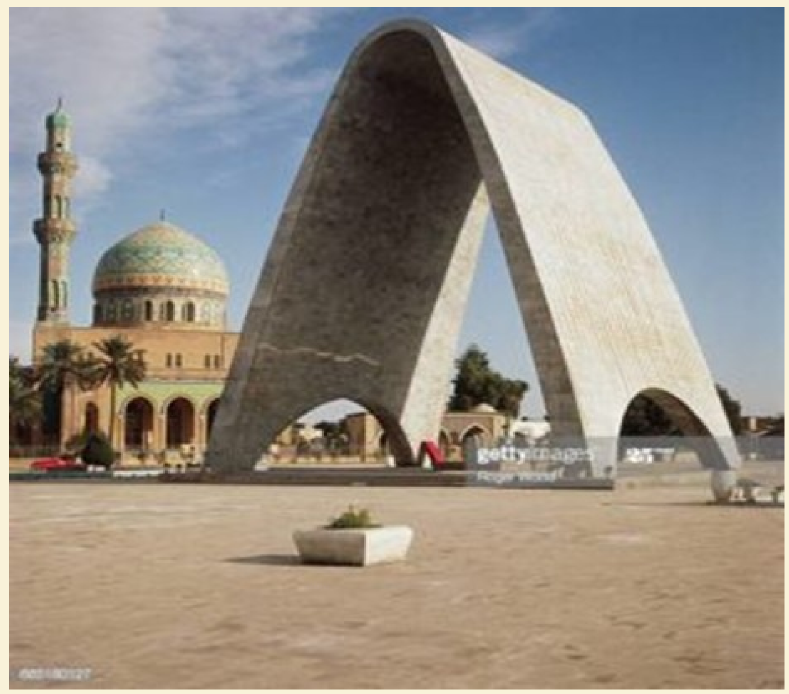
هذا النصب التذكاري الذي صممه المهندس رفعت الجادرجي[١٥] وأدخل فيه الفن والمعمار الهندسي والخدع البصري والبساطة في المظهر لأن النصب كان على شكل جدار مقوس عالي شبه مدبب في الأعلى. أما في قاعدتيه فيوجد نافذتين على شكل هلال ونهايات الهلالين هي قاعدة النصب. كان هذا النصب يحمل الكثير من المعاني الفنية والحضارية أضافة الى كونه رمزاً وطنياً شامخاً. بعد تنفيذه تم تغليفه بنوع من الحجر الأبيض الإيطالي الذي تم استيراده لتغليف النصب. نجد في نصب الجندي المجهول قياسات دقيقة وفضاءات وزوايا وانحدارات مصممة ومبنية على أسس علمية حديثة، تعود جذورها الى الحضارة السومرية القديمة والرومانية.

تم استخدام الرمز الثماني كمفهوم فني لتصميم النصب، والرسم القادم يبين هذا المفهوم حيث في (١) ألام لابسة ثوبها المحتشم الواسع الطويل لا يبين منها شيئا كدلالة على أن تلك الحالة تنسي الأنسان النظر للمرأة في (٢) تنحني لتحاول رفع أبنها من الأرض لتضمه لصدرها وبقيت هكذا منحنية (٣) دلالة على كسر ظهرها بفقد عزيزها، فغرست يداها وأرجلها بالأرض (٤) و أضيف لما بين وسط القوس الثماني شعلة نار أزلية تنير ليل ساحة الفردوس ويرمز لذلك لروح الجندي المجهول الباسل.

---

[١٥] ولد عام ١٩٢٦. أكمل رفعت دراسته في مدرسة (هامر سميث للحرف والفنون) في بريطانيا





نصب الجندي المجهول الذي هدم عام ١٩٨٢

نصب الحرية

نصب الحرية التصميّم تم من قبل المعماري رفعت الجادرجي ونفّذه الفنان جواد سليم[١٦] سنة ١٩٦١ الموجود في ساحة التحرير في منطقة الباب الشرقي في بغداد وهو من أهم النصب الفنية في الشرق الأوسط و ليس مصادفة أن نجد العراقيين في مختلف العهود يتجمعون عند نصب الحرية وهي تطالب بحقوقها، اليوم، ليس لاستنطاق نصب الحرية، ، بل لأن الأحلام التي دفنت في النصب، هي أحلام هذه الملايين.



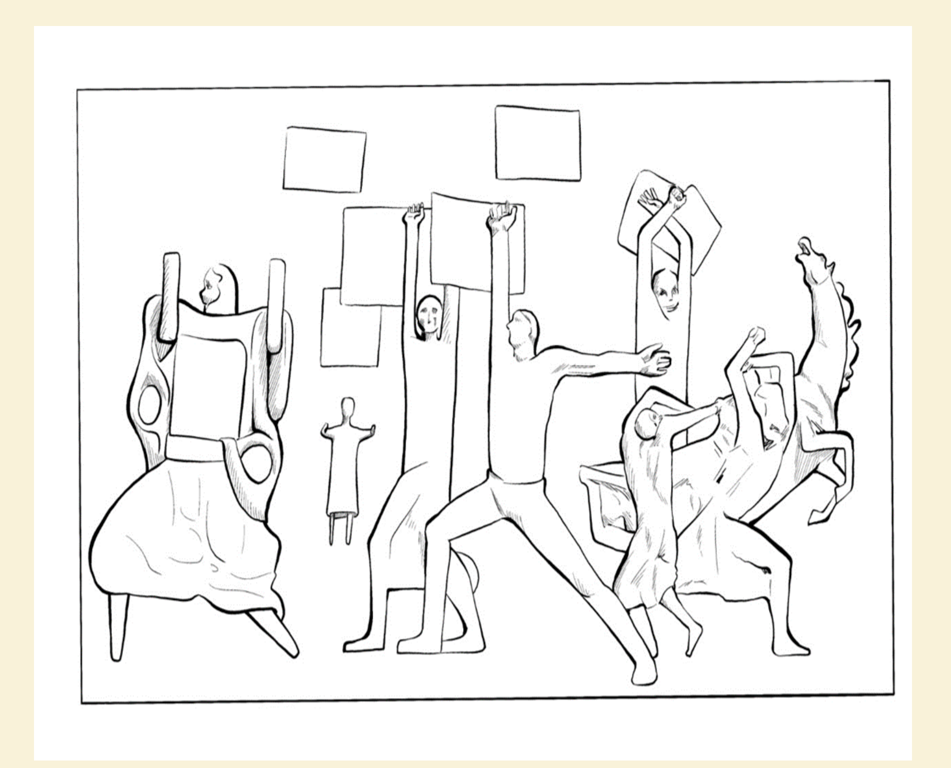
نصب الحرية

[١٦] جواد سليم هو فنان تشكيلي ونحات عراقي مشهور (١٩١٩–١٩٦١)، ويعتبر من أشهر النحاتين في تاريخ العراق الحديث

رموز العمل الفني

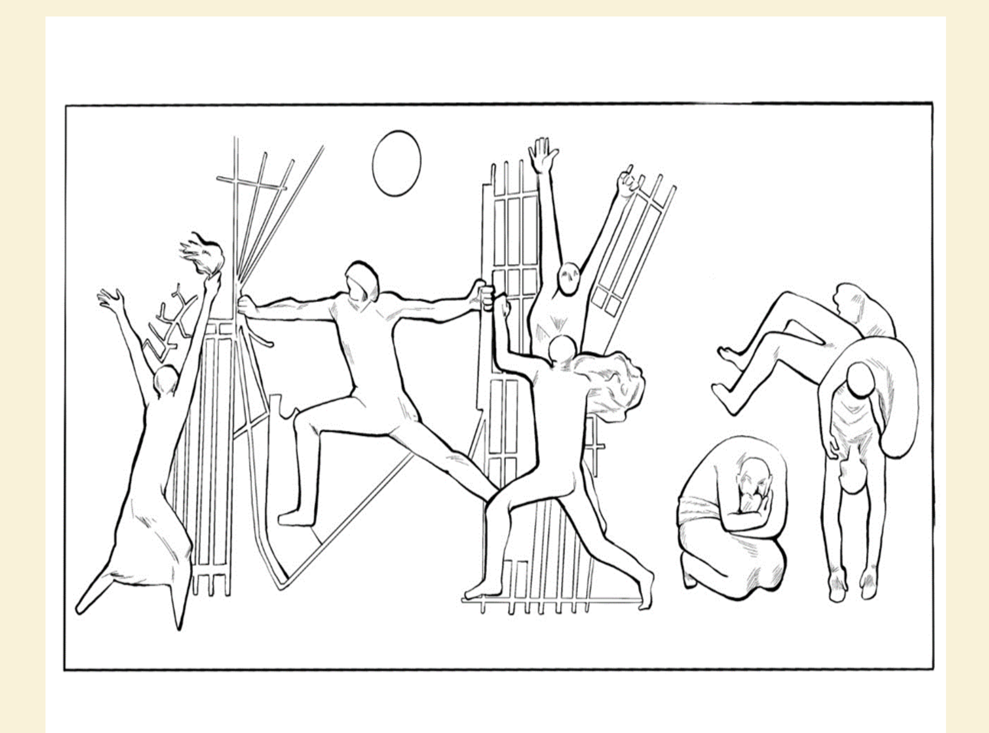
نصب الحرية عبارة عن لافتة جدارية طولها خمسون متراً وبعرض عشرة أمتار وترتفع عن الأرض بستة أمتار من حافته السفلى. اللافتة الجدارية مملوئه بنحت برونزي مقسمة الى ثلاثة أجزاء من اليمين الى اليسار،

في الجزء الأول نلاحظ الحصان الجامح والحصان هو رمز عربي للأصالة والشجاعة والقوه حيث يبدو الحصان هنا مفعم بالحيوية يرقد على قائمته الخلفيتين بعد ان القى براكبه، وحول الحصان يوجد أربعة رجال يبدو عليهما التوتر الشديد يرمز الى الجماهير ثلاثة منهم يبدون كأنهم يحاولون إسقاط الحصان، بينما أنتصب الرابع لينشر لافتة تعلن بدء الثورة. في غمار هذا التأزم نرى طفلاً يمثل الأمل والمستقبل وقد رفع يديه البريئتين، وكأنه يبارك جهد الإنسان في محاولته خلق مستقبل كله حرية وعدل. ويد الرجل وساقه الممتدتان تستمدان منها روحاً وقوة،



الجزء الأول

وفي الجزء الأوسط من في النصب يطالعنا تمثال السجين السياسي حيث تبدو الزنزانة في هذا المشهد على وشك الانهيار تحت تأثير رجل مزقت ظهره السياط، ولكن القضبان لا تنفصل في النهاية إلا باصرار وقوه وجهد(الجندي)الذي يظهر في الوسط وذلك اعترافا بأهمية دور الجيش في ثورة (١٩٥٨).



الجزء الأوسط

في الجزء الأخير تظهر لنا امرأة تمسك مشعلا وهو رمز الحرية و بعد الانفعال يأتي الهدوء فيتوقف الغضب والمواجع وتحل الراحة والسكينة في القلوب وتتحول القضبان الحديدية الى أغصان(السلام) ثم امرأتان أحداهما تحمل سعف النخيل و الأخرى حبلى واحدة ترمز لنهر الفرات وأخرى لنهر دجلة والتي تحمل أيضاً على أكتافها حزمة من السنابل التي ترمز للخصب في بلاد وادي الرافدين مع طفلة صغيرة تحمل وعاء مملوء بخيرات الأنهار و ثمة فلاحان يرمزان الى العرب والأكراد احدهما في زي سومري والثاني برداء أشوري وهما يتطلعان نحو رفيقهما دجله والفرات ويحملان أداة حرث المسحاة واحدة فيما بينهما تعبيرا عن وحده البلد الذي

يعيشان في كفنه وكذلك هنالك رمز عراقي أخر وهو الثور الذي يعد رمز سومر بينما يظهر الجانب الصناعي في اقصى اليسار على هيئه عامل مفعم بالثقة يمثل الصناعة والإنتاج وهكذا يعمل الجميع من اجل بناء العراق الجديد.



الجزء الأخير

الوحدات البرونزية ابتدأت من اليمين الى اليسار كما في الكتابة العربية فتظهر للمشاهد لها بانه يقرا أحداث الثورة. تم ترتيب الرموز البرونزية على النحو التالي (أولاً: الحصان، ثانياً: رواد الثورات، ثالثاً: الطفل، رابعاً: المرأة الباكيه، خامساً: الشهيد، سادساً: أم وطفلها، سابعاً: المفكر السجين: , ثامنا: الجندي, تاسعاً : الحرية, عاشراً :السلام, الحادي عشر : دجله والفرات و الثاني عشر : الزراعة, الثالث عشر :الثور, وأخيرا الرابع عشر : العامل ممثلاً الصناعة والإنتاج.

الحركة تستمر في اتجاه مركز النصب، تعبيراً عن الثورة. والعراق قد عرف العديد من الثورات على الظلم ولم يقبل أبناؤه وبناته الاستكانة على الضيم طويلاً وتنتظم بصورة أنسان يتقدم الى الأمام وبعدها ترتفع اللافتات والرايات الجديدة في السماء ثم نرى امرأة مشحونة بالانفعال والغضب والحزن ونرى الشهيد وهو محمول من قبل الجماهير والأم التي تحتضن ابنها الشهيد وتبكي عليه (الأم وطفلها).

رمز النصب بذلك إلى تمرد الشعب على الطغيان في تاريخه الحديث، التي أشترك فيها الرجال والنساء. ويد الرجل وساقه الممتدتان إلى المجموعة السابقة تستمدان منها روحاً وقوة، وتجعلان من المجموعتين شكلاً واحداً، تتواتر فيه خطوط السيقان في تناغم خاص، لتؤكد على اتجاه الحركة إلى الأعلى، فتتلقاها "اللافتات" البرونزية المحلقة، والتي في الوقت نفسه توازن الحركة الدائرية كلها.

كان جواد سليم منساقاً بدينامية مدينة، تغادر سباتها، كي يقترن نصب الحرية بالمدينة، ويصبح مركزاً لها، بعد ان كادت رموزها تتوارى بعيداً عن حركة الزمن، والحضارات. مدينة حملت مشفرات مدن وادي الرافدين القديمة مثل أور والوركاء، أكد ونينوى، وآشور، والحضر.

جامعات جديدة

في فترة الستينات تم تأسيس ثلاث جامعات هي، الجامعة المستنصرية وجامعة الحكمة والجامعة التكنولوجية وكذلك تم افتتاح الجسر المعلق وأكمل إنجاز قصر الرحاب (القصر الملكي السابق) في كرادة مريم والتي تعرف حاليا باسم المنطقة الخضراء والذي أصبح مقراً لرئاسة الجمهورية. كذاك افتتح عام ١٩٦٦ جامع أم الطبول ويعد أكبر مسجد في العراق وهو نسخة طبق الأصل للجامع الأزهر في القاهرة من حيث الزخارف وفن العمارة وحجم البناء. كذلك تم عام ١٩٦٦ افتتاح

ملعب الشعب[١٧] الدولي علما ان العراق لم يعرف قبل ملعب ملعباً متكاملا للعبة كرة القدم سوى ملعب متواضع نفذ خلال الحكم الملكي، الذي لا يتناسب والمزايا الدولية للملاعب الكبيرة، على الرغم من ان هذه اللعبة دخلت العراق منذ أوائل القرن العشرين وأصبحت اللعبة الرياضية الأولى لدى العراقيين.

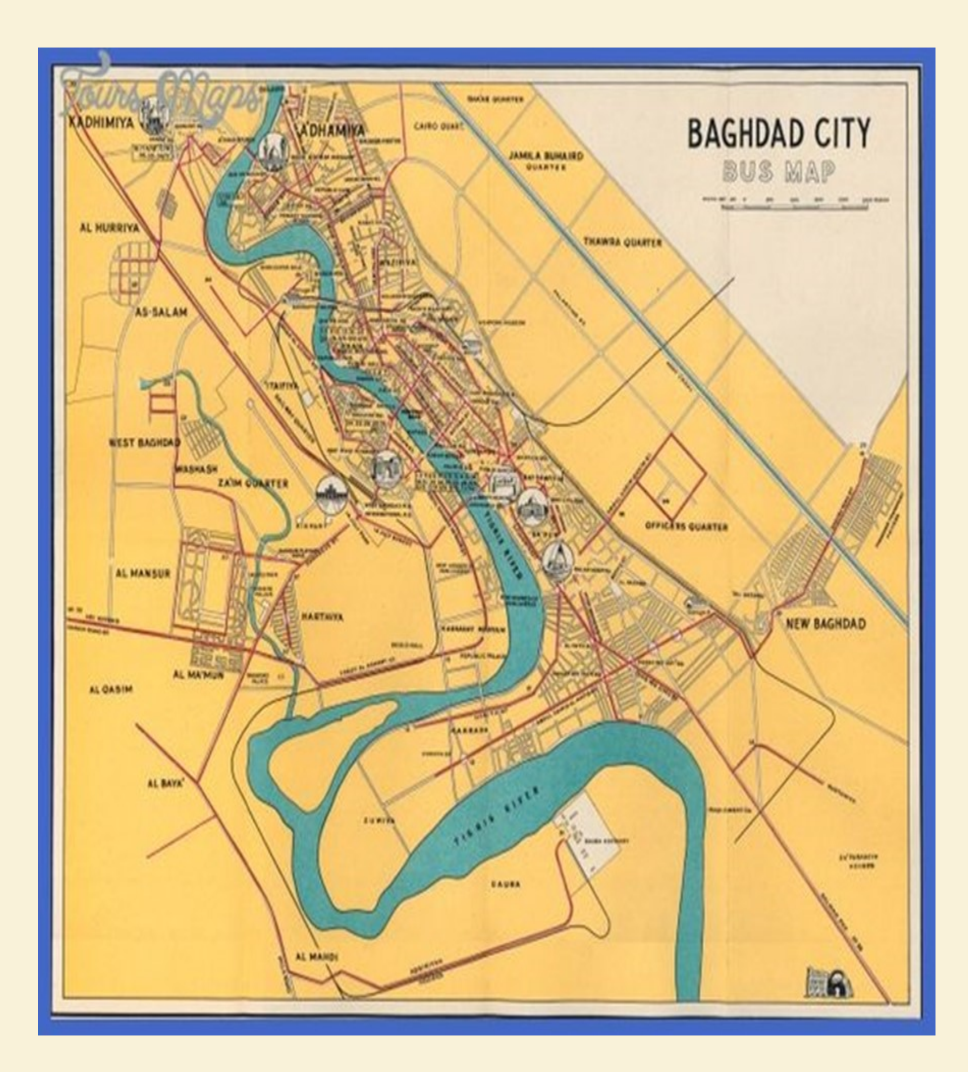
بغداد خلال الستينات

شهدت بغداد انقلابات متتالية خلال الفترة (١٩٦٣-١٩٦٨) حيث تم قتل رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم في شهر شباط ١٩٦٣ بانقلاب عسكري نفذه حزب البعث ثم أزيح حزب العث بانقلاب عسكري أخر في تشرين الثاني عام ١٩٦٣ ليستولي على الحكم عبد السلام عارف ثم اخوه عبد الرحمن عرف

تم إقصاء الرئيس عبد الرحمن عارف من الحكم في ١٧ تموز /يوليو عام ١٩٦٨ وليعود حزب البعث مرة ثانية للاستيلاء على السلطة وتولى رئاسة الجمهورية العراقية الرئيس أحمد حسن البكر الذي تم تنحيته عام ١٩٧٩ من قبل صدام حسين ليستمر بحكم العراق حتى الاحتلال الأمريكي لبغداد عام ٢٠٠٣.

---

[١٧] يقع ملعب الشعب في بغداد جانب الرصافة وقد وضع حجر الأساس له الزعيم عبد الكريم قاسم رئيساً للوزراء سنة ١٩٦١ يومها كانت تلك الأرض شاسعة وخالية.



بغداد خلال الستينات من القرن العشرين

التصميم الحضري لمدينة بغداد لسنة ١٩٦٧

الامتداد السكاني الواسع لمدينة بغداد وصل الى أضعاف عما كان في بدايات القرن العشرين حيث تحوّلت الكثير من الأراضي الزراعية الى مناطق سكنية و إن تتوسع المدينة توسعاً عفوياً غير منظم دون تقديم الخدمات البلدية لهذا العدد المتزايد من المجموعات السكنية المتناثرة هنا وهناك مما استوجب وضع حد لهذا التوسع

العمراني غير المنظم وذلك بإعداد تصميم حضري أساس عام يكفل تنظيم نمو وتطور المدينة على احدث الأسس العلمية والفنية في مجال تخطيط المدن ويكون أساسا لوضع جميع التصاميم التفصيلية والتوضيحية التي تتفرع عنه والتي تتناول تنظيم شبكة طرق المواصلات المختلفة والمرافق العامة التي تتناسب وحاجة المدينة مع بيان أنواع استعمالات الأرض للمقاصد المختلفة.

قدمت مؤسسة بول سيرفس البولندية (Polservice Associates) التصميم لحضري الأساسي[١٨] لبغداد عام (١٩٦٧) لاستيعاب (٣,٥-٤) مليون شخص حتى عام ١٩٩٠ علما ان عدد سكان بغداد عام ١٩٦٧ كان بحدود ١,٥ مليون نسمة.

مما يتطلب توفير واجهة مائية وحزاماً أخضر للمدينة لإبعاد تأثير الجو الصحراوي. تم تطويره لاحقا الى التصميم الإنمائي الشامل وهو التصميم الوحيد في تاريخ التخطيط العمراني في العراق الذي يؤلف وثيقه قانونيه بعد ان تمت المصادقة عليه في عام ١٩٧٤ بقرار من مجلس قيادة الثورة [١٩]ومن المؤسف ان تغيب بعد ذلك أية محاولة جادة وحديثة لوضع تصميم أساسي لبغداد، على الرغم من التطورات الهائلة في جميع مناحي الحياة.

مقارنة بالمخططات السابقة يمثل أولى المحاولات الجادة في وضع مخطط أساسي لمدينة بغداد وفق دراسات ومسوحات مستفيضة تناولت جميع القطاعات الاقتصادية واستناداً على احتمالات التطور الاقتصادي والاجتماعي للمدينة مقارنة بتطور العراق بصورة عامة والمنطقة الوسطى بصورة خاصة وأكدت الدراسة على دور بغداد المهم ونموها المتوقع خلال العشر سنوات القادمة.

---

[١٨] التصميم الحضري هو عملية تصميم وتشكيل السمات المادية للمدينة والتخطيط لتوفير الخدمات البلدية للمقيمين والزوار.

[١٩]أنشِأ مجلس القيادة الثورة العراقي بعد الانقلاب العسكري في عام ١٩٦٨، كأعلى سلطة تشريعية وتنفيذية في العراق

يستند التصميم الأساس على احتمالات التطور الاقتصادي والاجتماعي لمدينة بغداد بالنسبة لتطور العراق بصورة عامة والمنطقة الوسطى منه بصورة خاصة. ويفرض التصميم بصورة أساسية طابعاً رئيسياً لاستعمال الأرض في المدينة ضمن حدود أمانة العاصمة ويتوقع التصميم ان لا يزيد عدد سكان بغداد (ضمن حدود أمانة العاصمة) عن ٤,٥ مليون نسمة في سنة ١٩٩٠ وتبعاً لذلك فان عدد سكان مدينة بغداد وضواحيها والقصبات المحيطة بها سيصل الى حوالي ٦ ملايين نسمة وتوفير نظام منسق للغابات والحزام الأخضر الواقي في الجهة الشمالية الغربية من المدينة والبساتين والحدائق والساحات المكشوفة مع تهيئة سبل الوصول الى هذه الأماكن بسهولة وتخصيص ١٣ .٥ متر مربع للشخص الواحد لمناطق التسلية والمنتزهات وتتصل الساحات الخضراء ببعضها بشكل منسق وتتخل المناطق السكنية بحيث ترتبط بالمنتزهات المركزية والأماكن المكشوفة والمنتزهات الخارجية الأخرى.

شمل التصميم الحضري: الحزام المركزي الممتد على طول نهر دجلة متضمنا مركز المدينة و٦ قطاعات سكنية رئيسية ثلاثة منها في كل جانب من النهر. يضم كل قطاع ٣٠٠-٥٠٠ ألف نسمة مع شبكة عامة من الطرق السريعة وشبكة من الطرق الفرعية ونظام نقل سريع (حافلات، سكك قطار) مع نظام حماية المناخ (الحزام الأخضر) ونظام للترفيه (متنزهات، ملاعب).

اقترح التصميم، ولأول مرة، مناطق للسكن الكثيف والعمودي في المدينة كما تطرق إلى المؤشرات الإقليمية وتأثيرات بغداد المباشرة وغير المباشرة عليها وحدّد مدى تأثيرها تم تنفيذ بعض مقترحات التصميم المرورية لاحقا ولاسيما طرق المرور السريع المحيط بمركز المدينة القديم والتقليدي.

اقترح الاستشاري البولندي إنشاء مدن توابع قائمة حول العاصمة بغداد لتوطين الزيادة السكانية المتصاعدة بهدف الحد من توسع بغداد العمراني.

في بداية السبعينات [٢٠] وللحس الأمني للدولة ارتأت الغاء معسكر الوشاش الواقع في الكرخ ونقل قطعات الجيش الموجودة فيه الى خارج بغداد خاصة ان القطعات العسكرية المتواجدة في هذا المعسكر كان لها دور بالتغيير عام ١٩٥٨ وقتل العائلة المالكة التي كانت تسكن في قصر الرحاب قرب معسكر الوشاش.

بعد تفريغ المعسكر من القطعات العسكرية قامت أمانة بغداد ببيع عددا من الأراضي الى المواطنين كوحدات سكنية، مساحة الوحدة ٦٠٠ متر مربع، ولكن بعد فترة تم إيقاف البيع والشروع ببناء متنزه سمي متنزه الزوراء خاصة ان بغداد تفتقر لمساحات خضراء تكون متنفسا للعوائل البغدادية بعد أن بدأت أمور مدينة الألعاب القديمة التي افتتحت في منتصف الستينيات في منطقة زيونة في الرصافة تؤول إلى الإهمال والتدهور.

---

[٢٠] أهم الأحداث التي شهدها العراق في السبعينات
١١ مارس/ آذار ١٩٧٠: مجلس قيادة الثورة والملا مصطفى بارزاني زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني يوقعان اتفاق سلام. ١٩٧٢:
توقيع اتفاقية صداقة وتعاون بين العراق والاتحاد السوفيتي دامت ١٥ عاما.
١٩٧٢: تأميم شركة النفط العراقية.
١٩٧٤: العراق يمنح حكما ذاتيا محدودا للأكراد تنفيذا لاتفاق عام ١٩٧٠ لكن الحزب الديمقراطي الكردستاني يرفض ذلك.
مارس/ آذار ١٩٧٥: العراق وإيران يوقعان معاهدة لإنهاء نزاعهما الحدودي في اجتماع لمنظمة البلدان المصدرة للنفط "أوبك. ١٦"
يوليو/ تموز ١٩٧٩: الرئيس البكر يتنحى عن منصبه ويخلفه نائبه صدام حسين

أنشئ متنزه الزوراء على مساحة تقدر بـ ٧٥٠ دونماً، ويشمل مدينة ألعاب (ملاهي) وبرج مرتفع (برج الزوراء) وحديقة للحيوانات ثم اقتطعت منها خلال الثمانينيات مساحة ٣٠٠ دونم لأنشاء ساحة الاحتفالات وبرج الزوراء في بغداد.

شهدت عقود الستينيات والسبعينيات، وما بعدهما نهضة جديدة، في انتشار التماثيل والنصب، بمضامين وتوجهات جديدة، وبعناوين وأغراض متعددة، وبمواد مختلفة، شارك فيها جمهرة واسعة من الفنانين، متأثرين بالموروث الحضاري والشعبي، تستوحي التراث العراقي الذي، أصبح رمزاً من رموز الوحدة والهوية الوطنية،

تأميم النفط وإعادة تخطيط مدينة بغداد

سيطرت الدولة على عائدات النفط أثر قانون ٦٩ لسنة ١٩٧٢ لتأميم النفط العراقي، تلاها عامان من العقوبات الاقتصادية الدولية على العراق لغاية عام ١٩٧٤ بعد أزمة النفط العالمية إثر حرب أكتوبر ١٩٧٣. بعد ذلك أطلقت حكومة احمد حسن البكر رئيس الجمهورية آنذاك خطة تنمية واسعة النطاق نفذ بموجبها العديد من مشاريع البنى التحتية ومشاريع التجديد الحضري بما في ذلك عدد من المباني الثقافية مثل المسارح والسينمات والمكتبات المركزية والمتاحف في عدد من المدن والمحافظات.

شكل تأميم النفط في ١ حزيران ١٩٧٢ انعطافا جوهريا في تاريخ العراق الاقتصادي، الذي أثر على التصميم الأساس لمدينة بغداد الذي أعده الفريق البولوني، حيث طرأت تغييرات جذرية مهمة لم تكن مقدرة وباتت الفرضيات الأساسية والتوقعات المستقبلية التي استند إليها التصميم الأساس في معظمها غير واقعية وغير دقيقة.

عاد الفريق البولوني ليقدم المخطط الإنمائي الشامل ولغاية عام ٢٠٠٠، اعتبر مكملا للأعمال والجهود السابقة وروعي فيه إعادة النظر في المخطط السابق. المتغيرات الجديدة تمثلت بشكل أساسي في زيادة عدد سكان مدينة بغداد في السنوات اللاحقة بفعل عاملي الهجرة والزيادة الطبيعية والتي ترافقت مع زيادة في مستوى الدخل وبالتالي ارتفاع المستوى ألمعاشي اقتصاديا واجتماعيا الذي انعكس على زيادة الطلب على الخدمات الحضرية وكان له تأثيره في تكوين مراكز جديدة للمدينة كالمراكز التجارية والمراكز الترفيهية بما ينسجم وتطور مدينة بغداد اقتصاديا واجتماعيا، وهذا يتطلب معالجات تخطيطية مستمرة بمختلف الوجوه والأساليب. تجدر الملاحظة هنا إلى أنه للمرة لأولى في تاريخ تخطيط بغداد قدم الاستشاري البولندي مقترحا لمعالجة المشاكل الحضرية المتفاقمة لبغداد ضمن إطار إقليمي ضمن منطقة الإقليم المركزي الذي اقترحه بدائرة نصف قطرها ١١٠ كم.

تم تشييد جسر باب المعظم عام ١٩٧٧ بطول ٨٥٥ م تقريبا. يقع شمال وسط العاصمة، بين ساحة الطلائع في شارع حيفا (من جهة الكرخ)، وساحة المقاتل العراقي في شارع الرشيد (من جهة الرصافة). وتعود تسميته إلى باب الإمام الأعظم - وهو أحد أبواب بغداد في عصر الدولة العثمانية، حيث ينفذ منها إلى جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان في الأعظمية.

تم تشييد جسر الأعظمية عام ١٩٧٩ ويسمى جسر "١٤ رمضان". وهو يربط جانبي الرصافة والكرخ في بغداد. فمن الجانب الشرقي تقع منطقة الأعظمية ومن الجانب الغربي تقع منطقة العطيفية.

تم تشييد جِسْر المُثنّى أو جسر المثنى بن حارثة الشيباني هو أقصى جسر في شمال بغداد، فوق نهر دجلة، يربط منطقة صدر القناة في شرق دجلة، افتتح الجسر في ١٥ آب عام ١٩٧٩م.

أربعة أسماء لمدينة واحدة

أربعة أسماء لمدينة واحدة تقع شرق بغداد وأربعة عهود مضطربة حملت الأجيال المتوالدة مراراتها الكبيرة. وأربع شخصيات سياسية ودينية، وزمن قاسٍ امتد الى نصف قرن، تباين بين تيارات السياسة من يسارها الى يمينها. لكن المدينة بقيت واحدة.

سميت «بمدينة الثورة» التي ارتبطت بالزعيم عبد الكريم قاسم. عام ١٩٥٩ فهو مؤسسها وبانيها. وتغير اسمها الى «حي الرافدين» خلال حكم الرئيس عبد الرحمن عارف عام ١٩٦٦ في محاولة لإجبار المجتمع البغدادي المتشكل عبر هذه الجماعات على نسيان مأثرة بناء المدينة. غير أن حزب البعث أرجع الاسم القديم إليها بعد انقلاب تموز ١٩٦٨، وهو «الثورة»، لتجييره لصالح الثورة البعثية التي قضت على النظام العارفي. ثم سميت «مدينة صدام» عام ١٩٨٠، حيث ارتبطت بصدام حسين أثناء الحرب العراقية ـ الإيرانية في ثمانينيات القرن الماضي، الذي زارها لتكريم شهدائها في تلك الحرب، وما أكثرهم، حيث انتشر أبناء المدينة في الجيش، جنوداً وضباطاً. وأخيراً «مدينة الصدر» التي ارتبط اسمها بمحمد باقر، الصدر[٢١] ووالد مقتدى الصدر بعد احتلال العراق في التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣.

يرى بعض مخططي المدن والباحثين الاجتماعيين أن عدم تنفيذ المخططات الأصلية كما اقترحت من مجلس الأعمار واتساعها غير المحسوب من ناحية التخطيط الحضري كانت سببا مباشرا للتغيرات الاجتماعية والديموغرافية التي غيرت وجه العاصمة بغداد كلياً، حيث آوت الطبقات المسحوقة من الفلاحين

---

[٢١] محمد باقر الصدر (١٩٣٥ ـ ١٩٨٠ م) هو مرجع ديني شيعي ومفكر وفيلسوف إسلامي عراقي، يعد أبرز مؤسسي حزب الدعوة الإسلامية ومنظري أفكاره. مؤلف لمجموعة كتب تعد الأبرز في الفكر السياسي الإسلامي الشيعي. أُعدم في عام ١٩٨٠ أثناء حكم الرئيس الأسبق صدام حسين بتهمة العمالة والتخابر مع إيران.

والعاطلين عن العمل وأنها صارت مصدر قلق للعاصمة الموصوفة بالجمال والحياة المتطامنة، إذ نزح للمدينة مئات الألوف في هجرة ريفية غير محسوبة، مع حيواناتهم كالجواميس والأبقار والأغنام والحمير، وافترشوا أرصفتها وشوارعها وعملوا في الأعمال الكادحة كلها، وكانت أغلبيتهم الساحقة غير متعلمة، بسبب ظروف اجتماعية قهرية سادت في جنوب العراق ووسطه مع شيوع الإقطاع في خمسينيات القرن الماضي وقلة فرص العمل والتعليم. ومع استقرارهم النسبي وتكيفهم في أجواء المدينة، انتظم شبابهم ورجالهم في سلكي الشرطة والجيش، وشكلوا قاعدتهما العريضة. وهناك من اتخذ الأعمال الحرة الصغيرة في الأسواق الشعبية وسيلة عيش مباشرة. ومع افتتاح مدارس كثيرة في المدينة لكلا الجنسين، أمست القاعدة المتعلمة، مع مرور الوقت، هي التي تحرك المشهد الثقافي والأدبي والسياسي، بل وحتى الرياضي وبرزت كأحد المدن التي ترفد المشهد الثقافي بأسماء لامعة في المجالات الإبداعية كافة.

نصب الشهيد

وفي عام ١٩٧٨، أُضيف إلى قائمة المشاريع الثقافية فكرة إنشاء نصب ومقبرة للشهداء لتخليد ذكرى شهداء العراق. وعلى هذا الأساس تم تنظيم مسابقة مفتوحة لتصميم **نصب** الشهيد

حينما أعلنت مسابقة تصميم نصب الشهيد في بغداد ضمن خطط التنمية لعام ١٩٧٨ لإقامة نصب تذكاري للشهداء العراقيين، كان العراق قد مر بعدة حروب خارجية وأحداث داخلية دامية تركت بصماتها القاسية على الناس وسقط منهم الكثير شهداء، لذا جاءت فكرة نصب الشهيد لتخليد كل هؤلاء الشهداء في مكان واحد.

تُرك للمشاركين حرية صياغة مفاهيم التصميم الأساسية لنصب للشهداء مع مقبرة. كانت فكرة نصب للشهداء فكرة غير شائعة قدمت تحدياً فريداً للمصممين، إذ غالبا ما تميل الدول والحكومات الى إقامة النصب التذكارية الوطنية أو نصب للجندي المجهول لحروب ومعارك معينة والأمثلة على ذلك كثيرة مثل نصب (وايتهول) التذكاري في لندن الذي تم بناؤه بعد الحرب العالمية الأولى ليصبح النصب الرسمي لضحايا الحروب في المملكة المتحدة. هنالك أيضا نُصب تذكارية للجنود المجهولين، مثل قبر الجندي المجهول المصنوع من الرخام الأبيض في ولاية فرجينيا الأمريكية ويحتوي على رفات جنود من كل من الحرب العالمية والحرب الكورية وحرب فيتنام، أما في العراق فكان النصب الرسمي هو نصب الجندي المجهول في ساحة الفردوس الذي صممه عام ١٩٥٨ المعمار العراقي رفعة الجادرجي بتكليف من عبد الكريم قاسم رئيس وزراء العراق في حينه والذي أزيل في عام ١٩٨٢ وأقيم مكانه فيما بعد تمثال لصدام حسين رئيس الجمهورية الذي هدم عام ٢٠٠٣ عند دخول القوات الأمريكية لبغداد.

رموز العمل الفني

قدم النحات إسماعيل فتاح الترك والمعمار سامان اسعد كمال مقترح لنصب ومتحف بدلاً من نصب ومقبرة. كانت الفكرة الأساسية للتصميم هي تخليد الشهيد كنموذج حي يرتبط بالحياة كونه يحيي فكرة أو قناعة تمثل قيم البطولة والحق، وتأكيدا على ان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون حسب مفهوم الدين الإسلامي وأن استشهادهم هو سبب استمرار الحياة على أرض الوطن.

خصص المقترح التصميمي الأولي للمتحف مساحات منه لتراث الشهداء في فترات مختلفة من تأريخ العراق الحديث. فتم تخصيص ٣٥٪ من تلك المساحة لتراث شهداء الثورات والحركات والمظاهرات العراقية، مثل ثورة ١٩٢٠ وصولا الى حرب

١٩٧٣ أضافة الى جميع شهداء فترة العهد الجمهوري التي بدأت مع ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. كما خصص ٦٥% من مساحة المتحف لمعروضات عن شهداء العراق في المستقبل مع مرونة عالية في استخدام تلك الفضاءات والمساحات.

سعى المقترح المقدم لاستلهام الشكل من التراث المحلي واعتماده مرتكزا رئيسيا، ففي العراق كما في العالم العربي والإسلامي، للقبة سمة روحية وأثرية قوية، وغالبًا ما ترتبط بالأماكن المقدسة، وبناء على هذه الفكرة استخدمت القبة كعنصر معماري رمزي مع تحديث الشكل وعناصره التكميلية بعيدا عن الاستنساخ والتقليد الخالي من الإبداع والتجدد.

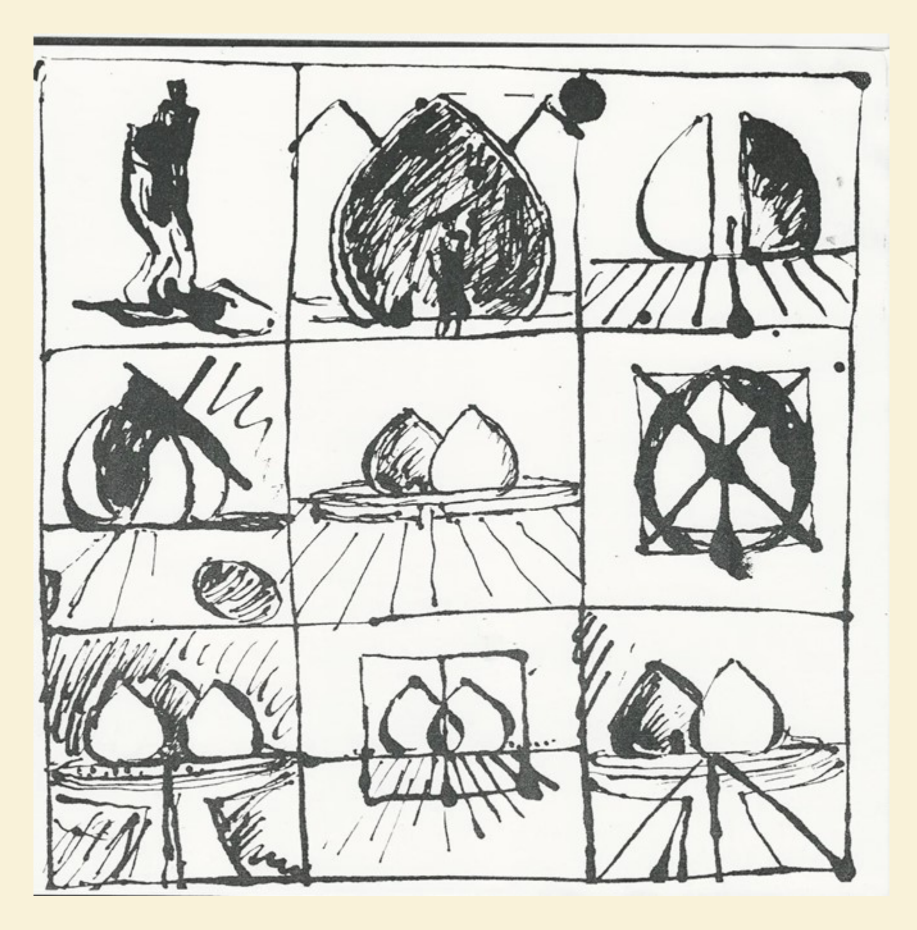


نصب الشهيد

ارتكزت الفكرة التصميمية على نصفي القبة المشطورة والمحتضنة لرمز الشهيد مغلفاً بالعلم في النصف الأول والينبوع الذي يرمز تدفق مائه الى تحت الأرض كشلال الى سخاء عطاء الشهيد في نصفها الثاني.

كان تجريد القبة المستقاة من القباب العراقية وشطرها الى نصفين يهدف إلى تجسيد العلاقة الروحانية بين القبة المفتوحة (بقوة فعل الشهادة) والسماء، فلا تمسي القبة مستقر لروح الشهيد وإنما رمزا لصعودها الى السماء.

تم تصميم نصفي القبة التي يبلغ ارتفاعها ٤٠ مترًا لتكون مغلفة استخدام بلاط السيراميك الأزرق المستخدم في قباب الجوامع العراقية لتغليف السطح الخارجي والداخلي لنصفي القبة. تكز نصفي القبة على منصة دائرية واسعة قطرها ١٩٠ متراً، لترسيخ مبدأ إقامة الشواخص على أرضيات منفتحة تفترش مساحات مترامية الأطراف متأتية من ترامي أطراف الصحراء العربية وبالفعل نجح التصميم بجعل العناصر العمودية والأفقية للنصب تبدو كمظهر المدن العربية القديمة.



الفكرة التصميمة

عمارة بغداد في الثمانينات

في ١٦ يوليو/تموز ١٩٧٩: تولى القيادة خلفا للبكر الذي استقال لأسباب صحية، ورسميا أصبح رئيس الدولة ورئيس الوزراء والأمين العام القطري لحزب البعث ورئيس مجلس قيادة الثورة والقائد الأعلى للقوات المسلحة.[٢٢]

---

[٢٢] **أهم الأحداث التي شهدها العراق في الثمانينات**

في مؤتمر قمة عدم الانحياز الذي عقد في هافانا وبرئاسة فيدل كاسترو بين ٣ إلى ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٩، وبحضور مئة زعيم يمثلون كامل الدول الأعضاء في حركة عدم الانحياز، التي مثل العراق فيها صدام حسين الذي كان قد مضى على تسلمه للسلطة كرئيس للعراق شهرين فقط، تقرر عقد مؤتمر قمة منظمة عدم الانحياز لعام ١٩٨٢ ببغداد التي تحولت منذ نهاية السبعينات إلى أكبر ورشة للبناء بعد تأميم النفط عام ١٩٧٣.

مؤتمر قمة منظمة عدم الانحياز ومشاريع تطوير بغداد

بعد اختيار بغداد عام ١٩٧٩ في قمة هافانا لتكون مقرا لعقد مؤتمر قمة منظمة عدم الانحياز لعام ١٩٨٢ تم الشروع بمشاريع تطوير بغداد وتم تشييد العديد من القصور والمجمعات الرئاسية بتصاميم مختلفة.

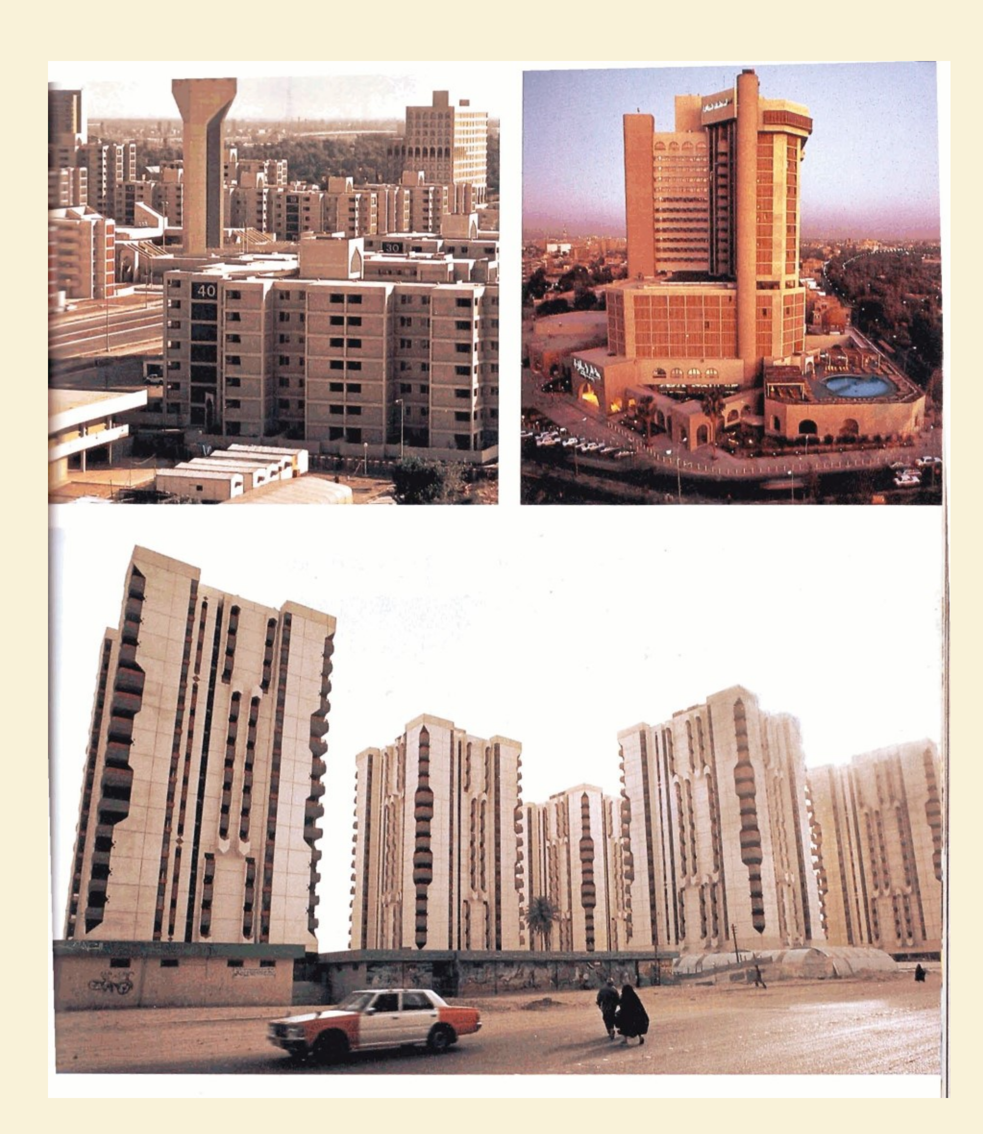
تم المباشرة بمشاريع إسكان في الكرخ والرصافة مثل مشروع إسكان السيدية، ومشروع إسكان شارع الخلفاء، ومشروع إسكان شارع حيفا ومشروع جزيرة بغداد السياحية ومشروع تطوير شارع أبي نؤاس ومشروع إسكان الدورة وإسكان أبي نؤانس ومشروع إسكان زيونة ومشاريع أخرى.

جرى تهديم أحياء بغدادية عريقة مثل حي (الشواكة) و(الشيخ عمر) وجزء كبير من حي (الربيع) في جانب الكرخ، لبناء أحياء حديثة. تم تنفيذ شارع حيفا في منطقة الكرخ من بغداد دون إجراء دراسات معمقة للحفاظ على الموروث العمراني لمنطقة الشواكة والكريمات وإيجاد ما تتطلبه المنطقة تفصيلا. لم تتم دراسة تأثير الشارع

على مجمل منطقة الكرخ ونسيجها المديني الناتج من أزقتها وفضاءات دور السكن وفسح الأبنية التي كانت متراصة وكأنها محاكة حياكة النسيج.

تم شق شارع حيفا الذي زرع جانباه بمباني مرتفعة غير معتاد عليها في بغداد (١٠-١٥ طابقا للمبنى) بكثافة سكنية عالية (٦٥٠ شخص للهكتار) والعمل على إنجاز المشروع (مشروع شارع حيفا) قبيل انعقاد المؤتمر عام ١٩٨٢.

كان تهديم محلات الكرخ القديمة التي يتجاوز عمرها الألف عام ضربة موجعة لكل مناصري التراث والمحافظة عليه من الضياع وانتصارا لتيار الحداثة. وقد حمل الكثير من المهندسين والكتّاب والمثقفين هاجس أن تفقد بغداد وجهها الحضاري وتدمر بيوتها التراثية لصالح صناديق الأسمنت المسلح.



مشروع شارع حيفا

تم تنفيذ شبكة من الطرق والجسور المعلقة والأنفاق في بغداد ومنها تشييد جسر السنك ويربط الجسر بين منطقة الصالحية في الكرخ ومنطقة السنك في الرصافة وكذلك طريق محمد القاسم للمرور السريع وهو طريق سريع في بغداد يبلغ طوله ٢٠ كيلومتر، يربط مناطق جنوب العاصمة بغداد بمناطق شمال العاصمة. وضع

حجر الأساس في ١٩٧٩ وأفتتح الطريق في عام ١٩٨٣. كما تم توسيع مطار المثنى، وهو أول مطار عراقي ببغداد، وبناء مطار صدام (بغداد حاليا)، ومجموعة من الفنادق المتطورة **كان** أبرزها فندق الرشيد الذي تم إنشاؤه قبالة قصر المؤتمرات الذي كان من المفترض أن يجتمع فيه قادة دول عدم الانحياز. شيد قصر المؤتمرات على مساحة تقدر بـ ٤٢ ألف متر مربع، وبتكلفة وصلت الى ٢٣٠ مليون دولار. ولان المبنى شيّد خصيصا لاستضافة "قمّة" لذلك بني وفقا لمواصفات قياسية خاصة، في حينه كان يعتبر المبنى الأكثر تطورا في الشرق الأوسط.

غير هذا تم بناء مجموعة من الفلل في الأحياء السكنية الراقية مثل الجادرية وحي القادسية لإقامة عدد من الملوك والرؤساء والقادة المتميزين.

تواصل العمل ليلا ونهارا في شوارع وأحياء بغداد على مدى عامين، التي غزتها مختلف الآليات الثقيلة والتقنيات المتطورة لإنجاز المشاريع بأسرع وقت، وازدانت ساحات العاصمة العراقية بأعمال فنية أعيد خلالها وضع تمثال الملك فيصل الأول في مكانه بمنطقة الصالحية.

لكن الحرب العراقية - الإيرانية التي كانت قد اشتعلت نيرانها قبل عامين من موعد عقد مؤتمر قمة عدم الانحياز غير كل المسارات، إذ جرت الرياح بما لا تشتهي سفن القيادة العراقية آنذاك فقد اعترضت إيران، وهي عضو في منظمة دول عدم الانحياز، على عقد المؤتمر في بغداد ورفضت حضور المؤتمر الذي كان سيضغط في اتجاه تحقيق المصالحة بين البلدين المتحاربين حسبما كان مثبتا بجدول أعمال قادة دول عدم الانحياز

ألغيت قمة عدم الانحياز المزمع عقدها في العراق عام ١٩٨٢، بسبب أجواء الحرب في العراق لكن تم الاستمرار في إنجاز معظم المشاريع المقررة ومد الطرق السريعة

ومنها مشاريع جزيرة بغداد السياحية ونصبي الجندي المجهول والشهداء ثم تباطأت وتيرة العمل حتى توقفت حركة الأعمار، وبدأت التخصيصات المالية للوزارات تتوقف، وكان الجميع تقريباً مشغولين في جبهات القتال.

تمت الاستفادة من هذه التحضيرات والمنشآت التي تم بناؤها في العاصمة العراقية فيما بعد، لاستضافة مؤتمر القمة العربية عام ١٩٩٠ برئاسة صدام حسين، وتحول قصر المؤتمرات اليوم ليكون مقرا لمجلس النواب (البرلمان) العراقي، بينما استولى السياسيون والمسؤولون الجدد في الحكومة العراقية من وزراء ومستشارين وأعضاء الأحزاب المتنفذة على الفلل التي كانت مخصصة لإقامة قادة دول عدم الانحياز.

البغداديون فرحوا بإعادة إعمار مدينتهم ذلك أن موضوع انعقاد مؤتمرات القمة لا تهمهم مثلما يهمهم إعادة إعمار المدينة

توسعت بغداد ليصبح عدد نفوسها عام ١٩٨٧ بحدود الثلاث ملايين وثمانمائة ألف نسمة.



محلة الكريمات في الكرخ بداية القرن العشرين

بعد ان تقلصت الموارد المالية للدولة العراقية في النصف الثاني من ثمانينات القرن الماضي نتيجة للحرب العراقية الإيرانية توقفت عملية التطوير الملحة التي أثرت بصورة بالغة على مركز المدينة التاريخي والذي كان له الأثر البالغ في اندثار وتصدع الكثير من المباني التراثية في مواقع مختلفة من بغداد.

منطقة بغداد الكبرى وإقليم مدينة بغداد.

في الثمانينات (١٩٨٢-١٩٨٧) بدأت عملية تخطيط مدينة بغداد، تأخذ مرحلة جديدة بإشراف مجموعة من الشركات الاستشارية اليابانية(JCCF) بالمشاركة مع خبراء عالميين في مجالات التخطيط والتنمية وفق المعايير المعاصرة للدخول إلى القرن الحادي والعشرين وذلك بصياغة مشاريع وخطط لمنطقة بغداد الكبرى. وهي أول دراسة تقام على مستوى إقليمي إذ أنها لا تشمل مدينة بغداد فحسب أنما تشمل

أيضا المناطق المحيطة ببغداد بما يعرف بغداد الكبرى (دائرة نصف قطرها ٥٠-٦٠ كم، والتي تتأثر تأثرا مباشرا بعملية التطور الحضري. ويمكن تصنيف منطقة بغداد الكبرى الى منطقة كثيفة مركزية في بغداد ومناطق العمران الممتدة بشكل شريطي مجاور لبغداد وفي ضواحيها والمدن والقرى والأحياء التي تقع ضمن دائرة داخلية تحيط في بغداد ضمن نصف قطر من ٢٠ الى ٥٠ كيلو متر من بغداد وتقع ضمنها عدة مدن تقدر قابليتها لإسكان ما يتراوح بين ١٠٠ الى ١٥٠ ألف نسمة.

ولم تقتصر هذه الدراسة على هذه المديات، بل امتدت لتشمل ما أطلق عليه بـ إقليم بغداد المركزي بنصف قطر ١٠٠-١٢٠ كم، حيث توجد الارتباطات الاجتماعية والاقتصادية مع بغداد. ويحتوي على بعض المدن الكبيرة والتي تقدر قابليتها لإسكان حوالي ٣٠٠ ألف نسمة ويمكن اعتبار الدائرة الداخلية بمثابة الخط الأول الذي يؤثر ويتأثر في بغداد وكذلك يعتبر جزء من منطقة بغداد الكبرى ويضم مدن المحمودية، بعقوبة، اليوسفية، العزيزية، الخالص وغيرها، ويجب ان تلعب هذه المدن دوراً له أهمية في مستقبل نمو وتطور بغداد لأنها تقع ضمن مدة سفر ساعة واحدة تقريباً.

يوصي التصميم بالتخطيط الشامل لهذه المنطقة الواسعة وينادي باعتبارها المنسجم والمتوازن بحيث تكون بغداد كمدينة مركزية متصلة اتصالاً جيداً مع مختلف المدن المهمة في هذه المنطقة ومرتبطة معها بنظام مواصلات و تم أعداد مخطط عام للنقل في مدينة بغداد يتضمن إنشاء شوارع حلقية حول مدينة بغداد وتنفيذ عدة جسور جديدة يصل مجموعها الى ١٤ جسراً عبر نهر دجلة وتنفيذ مترو بغداد وصمّمت المرحلة الأولى للمترو بطول ٣٢ كم مع ٣٦ محطة وبخطين، الخط الأول يربط منطقة الثورة بالأعظمية والثاني يربط منطقة المنصور بالمسبح وبتكلفة ١,٨ مليار دولار. كانت تصاميم المحطات مستوحاة من قصص ألف ليلة وليلة. لم

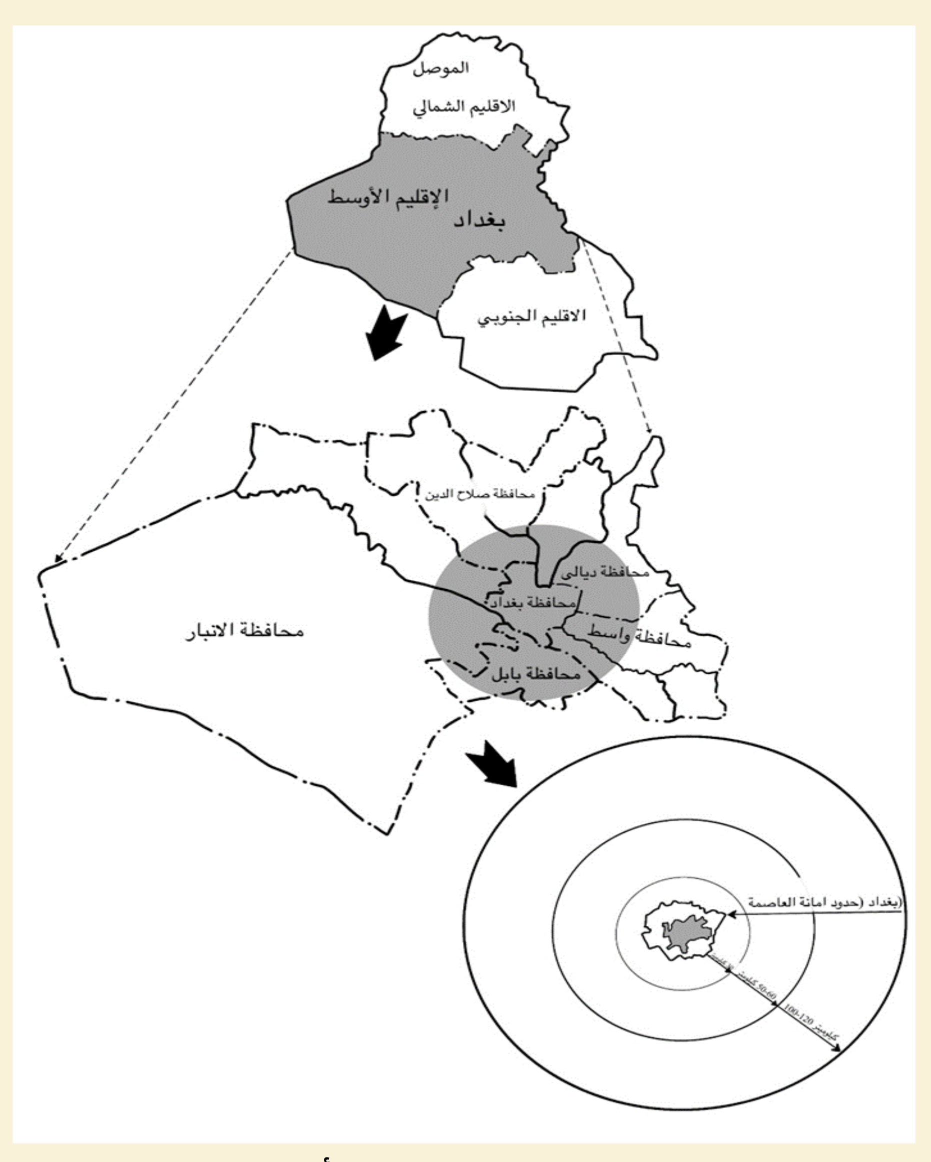
يتم تنفيذ أجزاء كبيرة من هذه الخطة جرّاء الانعكاسات السلبية التي حدثت بسبب الحرب العراقية – الإيرانية (حرب الخليج الأولى) ولاسيما ما يتعلق بالتخصيصات المالية ومن المشاريع التي توقفت بسبب قلة المارد المالية نتيجة للحرب العراقية الإيرانية مترو بغداد



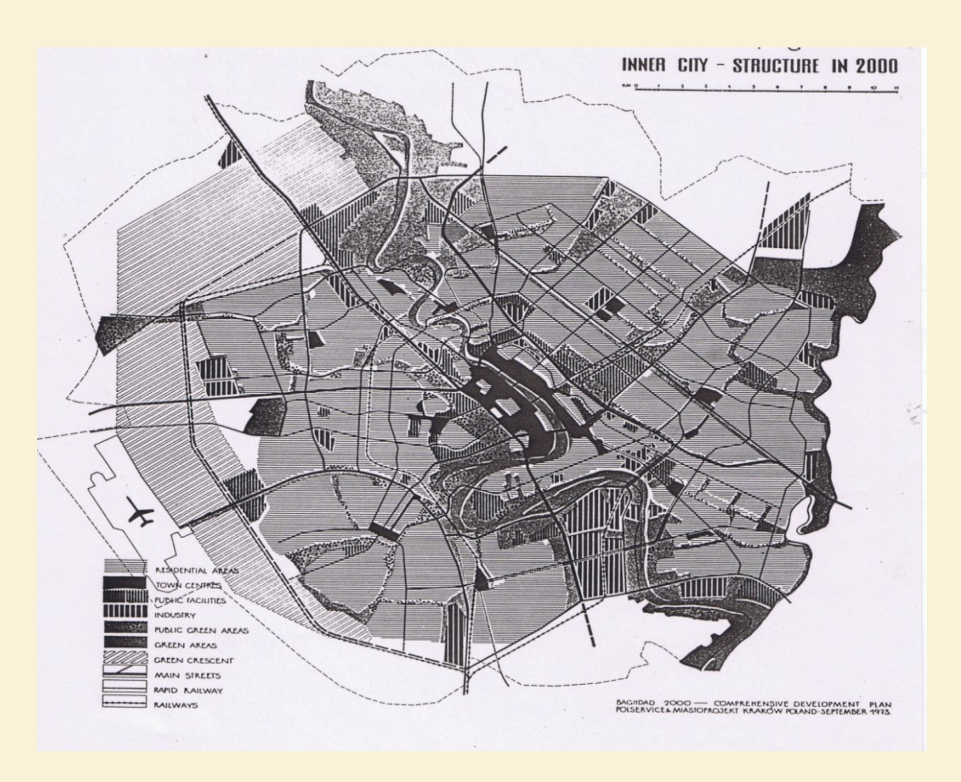
توسعات مدينة بغداد منذ القرن الثامن اغاية النصف الثاني من القرن العشرين[23]

---

[23] Al-Ashab KH. The Urban Geography of Baghdad. Newcastle, UK: University of Newcastle Upon Tyne; 1974



مخطط يوضح مناطق التخطيط الإنمائي المتكامل وأقليم بغداد المركزي



مخطط بغداد عام ٢٠٠١ وإقليم بغداد المركزي

عمارة بغداد في التسعينات[٢٤]

بعد احتلال العراق للكويت عام ١٩٩١ تم فرض الحصار على العراق من قبل الأمم المتحدة، وتلاه هجوم ائتلاف دولي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية أدى إلى تدمير الجيش العراقي.

---

[٢٤] **أهم الأحداث التي شهدها العراق في التسعينات**

٢ أغسطس/ آب ١٩٩٠: العراق يغزو الكويت وقرار للأمم المتحدة رقم ٦٦٠ يدين هذا العمل ويدعو إلى سحب كامل لقواته

٦ أغسطس/ آب ١٩٩٠: فرض عقوبات اقتصادية على العراق بمقتضى قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٦٦١.

٨ أغسطس/ آب ١٩٩٠: العراق يعلن ضم الكويت.

٢٩ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٩٠: مجلس الأمن يصدر قراراه رقم ٦٧٨ الذي يخول الدول المتعاونة مع الكويت استخدام جميع الوسائل الضرورية لتنفيذ القرار رقم ٦٦٠.

١٦-١٧ يناير/كانون الثاني ١٩٩١: بدء حرب الخليج بقصف جوي ضد العراق من قبل قوات التحالف في

استمرت العمليات العسكرية مدة ٤٢ يوما تم فيها تدمير كبير للبنى التحتية من محطات الكهرباء والمنشآت النفطية والقاعدة الصناعية للبلاد والعديد من الجسور ومشاريع الري.

نُفّذت معظم خدمات مدينة بغداد الأساسية من ماء ومجاري وطرق لتلبي حاجة مدينة لا يتجاوز حجم سكانها الأربعة ملايين نسمة، بينما يوجد الآن سبعة ملايين نسمة ومشاريع مدمرة تحتاج لصيانة مع عدم إمكانية شراء معدات جديدة بسبب الحصار مما أدى لتدهور الخدمات.

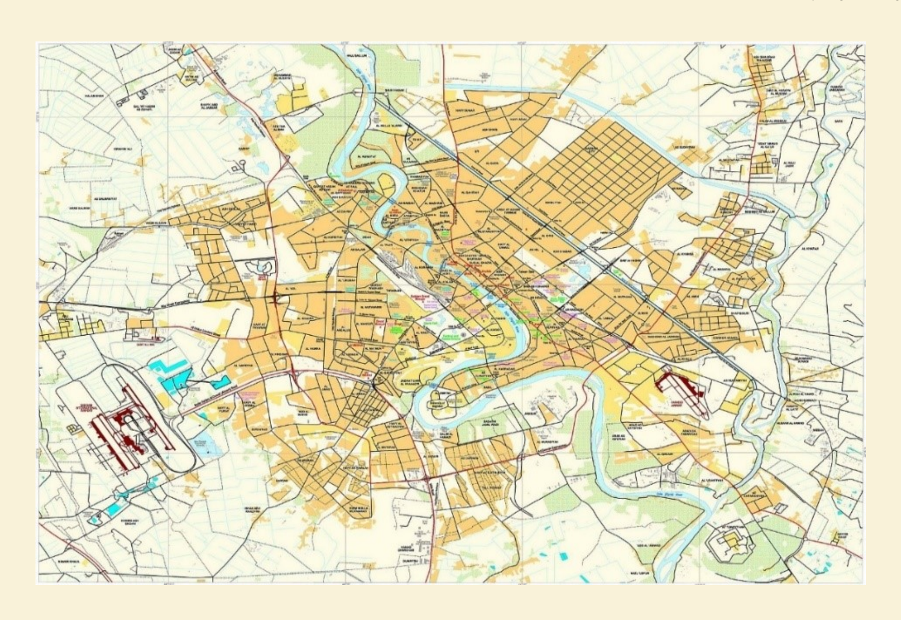
هنا تدخل العقل العراقي المبدع واستطاع العراقيين خلال عقد التسعينات عمل الكثير من البدائل مما حسن من مستوى الخدمات الأساسية خصوصا مع فرض الدولة لهيبتها في الشارع العراقي وخوف الناس من القانون.

استغلال القدرات الهندسية وجهد الدولة والمباشرة بالعديد من المشاريع في عموم العراق منها شق نهر ثالث بين دجلة والفرات بهدف امتصاص الملوحة من المناطق المزروعة على طرفي نهري دجلة والفرات، وبالتالي إنعاش النشاط الزراعي الذي ينهض به القطاعان الخاص والعام وصولا إلى هدف تطوير وتنويع الحاصلات الزراعية، بالإضافة إلى إنشاء السدود الحديثة والعملاقة على نهر دجلة.

"عملية عاصفة الصحراء." ١٣
فبراير/ شباط ١٩٩١: الطائرات الأمريكية تدمر ملجأ العامرية في بغداد، الأمر الذي أدى إلى مقتل أكثر من ٣٠٠ شخص. ٢٤
فبراير/ شباط ١٩٩١: بدء العمليات البرية التي أسفرت عن تحرير الكويت في ٢٧ فبراير.
٣ مارس/ آذار ١٩٩١: العراق يقبل بشروط وقف إطلاق النار.
منتصف مارس ١٩٩١: اندلاع انتفاضة واسعة في الجنوب والشمال ضد الحكم وتمكن الثوار من السيطرة على أجزاء واسعة من البلاد، لكن قوات الحكومة تمكنت من السيطرة على الوضع
١٣-١٩ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٩٨: الولايات المتحدة وبريطانيا تشنان حملة قصف أطلق عليها اسم "عملية ثعلب الصحراء" عقب إجلاء موظفي الأمم المتحدة من أجل تدمير برامج الأسلحة النووية والكيمياوية والبيولوجية العراقية.

قبل كوادر عراقية، وافتتح في عام ١٩٩٢ وشيد خلال فترة زمنية مقدراها ١٥ شهراً.

متقدمة.



بغداد عام ٢٠٠٣

عقدين من الحروب والحصار

كان العراق قد قطع شوطا مهما في التنمية الحضرية عندما اندلعت الحرب العراقية-الإيرانية في عام ١٩٨٠ التي دامت قرابة ثماني سنوات وكلفت الشعبين الجارين خسائر بشرية ومادية هائلة. أ

عقب انتهاء الحرب العراقية الإيرانية بسنتين و نتيجة خطأ تاريخي واستراتيجي ارتكبته القيادة العراقية في ١٩٩٠/٨/٢ بإقدامها على غزو دولة الكويت، واستباحة سيادتها، والذي مثل ضربة لمنظومة العمل العربي، وأوجد فرصة سانحة لتدخل قوى أجنبية بالمنطقة مما اتخذ حجة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية للتعبئة الدولية والعسكرية ولخوض حرب الخليج الثانية وإخراج العراق بالقوة من الكويت

في بداية عام ١٩٩١ وتدمير البنية التحتية من محطات اتصالات، وكهرباء، ومصانع، ومعامل، ومنشآت نفطية، ومخازن للحبوب، ومواد تموينية، وأسواق مركزية، ومحطات ضخ المياه، وحتى الملاجئ التي احتمى فيها المواطنون لم تكن ملاذاً آمناً لهم أمام القصف الصاروخي البري والجوي والبحري المركز على مدى ٤٢ يوماً.

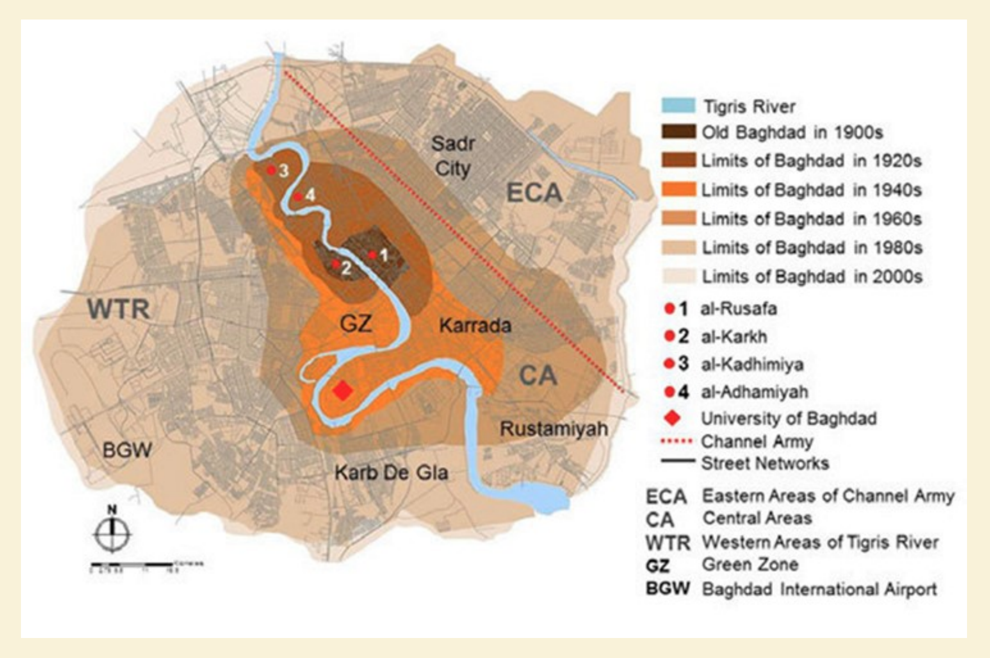
بعد وقف إطلاق النار صدر القرار الرقم ٦٨٧ يوم ٣/ ٤/ ١٩٩١، تحت الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة العراق لتدمير أسلحة الدمار الشامل وأن يجري هذا التدمير تحت إشراف لجنة تفتيش خاصة شكلها مجلس الأمن وربطها به وأعطاها صلاحيات مطلقة تتجاوز على سيادة العراق واستقلاله.

وتضمن هذا القرار جعل رفع الحصار أو تخفيفه والسماح للعراق بتصدير نفطه رهنا بموافقة المفتشين أولا ومجلس الأمن ثانيا بإجراءات العراق للتخلص من الأسلحة أو المواد المحظورة.

رغم أن الحصار كان شاملا وقاسيا والخراب والتدمير واسعين ومنتشرين في كل مكان، إلا أن العراقيون أعادوا بناء كل ما تهدم في حرب ١٩٩١ من منشآت ومرافق حيوية أساسية، مثل الكهرباء ومصافي المياه والنفط ومراكز الاتصالات وطرق المواصلات والجسور بعملية واسعة لإعادة بناء ما هدمته القوات المعتدية في الحرب، وكانت العملية عراقية خالصة خبرة وكوادرَ وأجهزة.

عانى العراقيون الأمرّين من هذه العقوبات التي حرمتهم من الغذاء والدواء، فضلاً عن كل وسائل التقدم والتكنولوجيا التي وصل اليها العالم في حقبة التسعينات من القرن الماضي، مما أدى إلى وفاة مليون ونصف مليون طفل نتيجة الجوع ونقص الدواء الحاد وافتقادهم إلى ابسط وسائل الحياة ومشاكل سوء التغذية، بالإضافة إلى ندرة الموارد الناجمة عن التدهور الكبير في البنية التحتية الأساسية،

وخاصة في أنظمة تزويد المياه والتخلص من النفايات الذي انعكس على تدهور الخدمات الأساسية في كل مدن العراق ومنها بغداد العاصمة تحول العراق في هذه السنوات العشر العجاف من بلد غني ومرفه نسبياً إلى بلد يعاني شظف العيش اضطرت بالكثير من العراقيين بسبب هذه العقوبات للهجرة إلى دول الجوار والمهجر بحثاً عن الأمان والحياة والتطور لتساهم هذه الظروف الصعبة بعد سنوات من الحصار فيما بعد لاحتلال العراق، وهو ما حصل، فكان أن احتلت بغداد في نيسان/أبرايل ٢٠٠٣.



توسعات مدينة بغداد ١٩٠٠-٢٠٠٠

أن ما تأسس منذ خمسينيات القرن الماضي، تعرض لأولى محاولات الاجتياح والتخريب والسرقة، بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ إن الجرأة في النقد والصراحة في المواجهة، ونبل المقصد، تدعونا إلى إدانة هذه الممارسات ورفضها،

فالشعوب المتحضرة تحرص على تراثها الفني والحضاري وتحميه، وعلينا أن نتعلم الدرس من تجارب دول أخرى، وإن تغيرت أنظمتها وحكوماتها.

الفصل الخامس

غزو العراق واحتلال بغداد

(٢٠٠٣-٢٠١١)



دخلت القوات البريطانية مدينة بغداد صباح يوم ١١ أذار/مارس١٩١٧ ورفع العلم البريطاني في بغداد وخاطب الجنرال البريطاني ستانلي مود أهالي بغداد في اليوم التاسع عشر من الشهر نفسه بأن "جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم في منزلة قاهرين أو أعداء، بل في منزلة محررين!". ويعود التاريخ بعد ٨٦ سنة ليكرر نفسه لكن هذه المرة يحتل الجيش الأمريكي بغداد تحت ستار عملية تحرير العراق كما سماها الرئيس الأمريكي بوش وهو يعلن بدأ الحرب من واشنطن في ٢٠ مارس ٢٠٠٣م، من قبل قوات الائتلاف بقياده الولايات المتحدة الأمريكية.

السياسة الأميركية تجاه العراق منذ عام ١٩٩١

بعد هزيمة العراق في حرب الخليج الثانية تم إخضاعه عبر قرارات صادرة عن مجلس الأمن الدولي وحسب الفصل السابع الذي يسمح باستخدام القوة لتطبيق القرارات عبر تدخل عسكري أميركي بريطاني في شماله وجنوبه، وإعلانهما مناطق محظورة على الطيران في العراق .وحين قامت انتفاضة شعبية عفوية ضد النظام في مناطق الجنوب والشمال، سُمِح للنظام باستخدام طائرات الهليكوبتر لقمع الانتفاضة في مناطق الجنوب من أجل نقل الضباط والجنود.

في القرار الصادر عن مجلس الامن رقم ٦٦١ عام ١٩٩٠ وضع العراق تحت عقوبات كانت الأقسى في تاريخ الأمم المتحدة، رداً على غزوه واحتلاله الكويت. وخلال السنوات الأولى لتطبيق هذه العقوبات التي أغلقت العراق عملياً وأبعدته عن العالم، بدأت ملامح الكارثة تظهر في التدمير المنهجي لقطاعات العراق الاقتصادية وبنيته التحتية وأجياله الطالعة في صورة تزايد وفيات الأطفال وغياب الأدوية والحليب ونقص النمو فضلاً عن التشوّهات والأمراض الناتجة عن الحرب والتلوّث. تحت هذا الضغط، وافق العراق عام ١٩٩٦على صيغة النفط مقابل الغذاء التي تسمح له ببيع النفط عبر الموانئ التركية مقابل الدفع لحساب تتحكم به الأمم

المتحدة. لكن أثر العقوبات على الشعب العراقي والأطفال لم يتراجع، وازداد احتجاج العالم والرأي العام العربي والدولي وتقارير المنظمات المختصة في الأمم المتحدة, كاليونيسيف وغيرها على هذه السياسات التي أدّت الى وفاة نصف مليون طفل عراقي خلال هذه السنوات, ولم تُضعف النظام على الاطلاق, بل انه استغلّها لمصلحته .حمت الأمم المتحدة المناطق الكردية في الشمال بموجب نظام خاص ودعمتها بالأموال اللازمة عبر إعطائها حصة ١٣٪ من مداخيل بيع النفط في صفقة "النفط مقابل الغذاء" التي بوشر العمل فيها عام ١٩٩٦.

اذا كانت قرارات مجلس الأمن ٦٦١ و ٦٦٥ و ٦٦٦ و ٦٧٨ قد فرضت عقوبات اقتصادية وتجارية على العراق لإرغامه على الانسحاب من الكويت، فأن القرار رقم ٦٨٧ في نيسان عام ١٩٩١ يعتبر القرار الاساسي لعقوبات ما بعد الانسحاب من الكويت، والذي ينصّ على تدمير أسلحة الدمار الشامل من أجل رفع العقوبات الاقتصادية والتجارية. ولتحقيق هذا الهدف قامت لجنة مختصة من الأمم المتحدة بإرسال خبراء تفتيش عن أسلحة الدمار الشامل هي لجنة UNSCOM وقامت هذه اللجنة بعملها حتى نهاية عام ١٩٩٨. وبعد ما تبيّن للعراق أن تعاونه مع اللجنة لا أفق له، وليس هناك نية بإغلاق هذا الملف وإنهاء العقوبات, إضافة الى كشفه لمحاولات تجسس وتعاون مع استخبارات أميركية وبريطانية واسرائيلية من قبل أعضاء في هذه اللجنة, بدأ بعدم التعاون مع اللجنة التي لم تلبث أن انسحبت في كانون الأول ١٩٩٨ ليتبع ذلك غارات جوية قامت بها القوات الاميركية والبريطانية على مواقع عراقية.

استمرّت الولايات المتحدة في تصعيد الموقف، فقامت بتوسيع منطقة حظر الطيران واستمرت بغاراتها على العراق وقامت بإصدار قانون تحرير العراق عام

١٩٩٨ لدعم المعارضة العراقية المقيمة في واشنطن بمبلغ ٩٧ مليون دولار من أجل الإعداد لإسقاط النظام، واستمرت بتصريحاتها الرافضة لإزالة العقوبات عن العراق.

خسائر العراق التي تجاوزت المئة ألف انسان جرّاء حرب الخليج الثانية، وسياسة العقوبات و التفتيش عن أسلحة الدمار الشامل، والتطورات الداخلية العراقية التي قسّمت العراق عملياً، وانخفاض حجم الجيش العراقي الى أكثر من النصف, وضعف تجهيزاته وقدراته, كلها بدّلت النظرة الى العراق, فلم يعد مقنعاً او مبرراً القول أن العراق يهدّد جيرانه والسلم الاقليمي, ناهيك عن السلم العالمي فقد وصلت سياسات الاحتواء والردع الى نهاياتها ولم يعد مقبولاً الاستمرار فيها، لذلك ارتفعت الأصوات المطالبة بتغيير هذه السياسات. أمام هذا الواقع تبنّت الولايات المتحدة سياسة إسقاط صدام حسين، أي تغيير النظام وإحلال نظام صديق وحليف للولايات المتحدة مكانه.

حين كان الحصار المفروض على الشعب العراقي في ذروته من تردي الأوضاع المعيشية والغذائية والصحية، أعلن الرئيس كلينتون عن بدء عملية «ثعلب الصحراء» يوم ١٦ ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٩٨ حيث قصفت طائرات أميركية وبريطانية مواقع حساسة في مختلف أرجاء العراق خاصة حول العاصمة بغداد وبدئت ملامح الاحتلال الاستباقي للعراق تصاغ داخل أروقة الكونجرس الأمريكي في العام ١٩٩٨ تحت مسمى «قانون تحرير العراق»، لكن هذا القانون ظلَّ حبيس أروقة الكونجرس الأمريكي حتى جاءت لحظة خروجه للنور بعد حدوث هجمات ١١ سبتمبر. فقد وجدت الإدارة الأمريكية المسوغ لوضع العراق على قائمة الدولة التي سيتم «تحريرها.

التخطيط لاحتلال العراق

مع انتخاب جورج دبليو بوش رئيساً في عام ٢٠٠٠، انتقلت الولايات المتحدة نحو سياسة أكثر عدوانية تجاه العراق، حيث دعا الرئيس بوش الابن إلى التنفيذ الكامل لقانون تحرير العراق من أجل عزل الرئيس العراقي صدام حسين من السلطة وتقدمت فكرة غزو العراق لتحتل قمة الأولويات الأمريكية، وأتاحت أحداث ١١سبتمبر الفرصة لذلك.

بدلت الإدارة الأميركية بقيادة جورج بوش الأبن تركيزها من أفغانستان إلى العراق؛ وكثفت جهودها لإقناع قادة الكونجرس والرأي العام الأميركي والعالمي بخططها لغزوه، وصرح بوش بأن العراق "حليف لتنظيم القاعدة"، وقال إنه "ليس خيارا بالنسبة لنا ألا نفعل شيئا إزاء التهديد الخطير الذي يشكله البرنامج العراقي لإنتاج أسلحة إستراتيجية." ولكي يتم إخراج المشهد بإتقان، وتبريرًا لاحتلال العراق المحاصر لثلاثة عشر عامًا وضعت الولايات المتحدة الأمريكية مجموعة من الأسباب لتبرير الحرب على العراق، منها وجود علاقة سرية بين الرئيس العراقي صدام حسين والقاعدة بين عامي ١٩٩٢- ٢٠٠٣م ووجود أسلحة دمار شامل لم يتم تدميرها في العراق.

لم تجد لجان التفتيش الدولية عن هذه الأسلحة شيئا منها رغم عملها لعدة سنوات في العراق مما حدا بالإدارة الأمريكية والبريطانية إلى الكف عن ترديد هذه الأكذوبة والاستعانة بأسباب أخرى منها ضرورة تغيير النظام السياسي في العراق وعزل صدام حسين من السلطة، لأنه يقمع المواطنين وإقامة حكومة ديمقراطية في العراق تكون مثال ُيحتذى به للمنطقة.

في ٢٩ كانون الثاني ٢٠٠٢، أعلن جورج بوش الابن في خطابه أن العراق يعد أحد أضلاع محور الشر بجانب كل من كوريا الشمالية وإيران.

أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية في ٩ أبريل/نيسان ٢٠٠٢م، بالاشتراك مع كل من جهاز المخابرات (CIA) والبنتاجون مشروع مستقبل العراق، وفي ٩ أغسطس/ آب ٢٠٠٢ عقدت الإدارة الأمريكية اجتماعًا مع ممثلي «المعارضة العراقية»، في واشنطن بدعوة من ديك تشيني، نائب الرئيس الأمريكي بمشاركة، كوندوليزا رايس، مستشارة الأمن القومي لدراسة سبل تنفيذ قانون تحرير العراق ثم أصدر بوش أمرًا رئاسيًا في ٢٠ كانون الثاني ٢٠٠٣م قبل شهرين من بداية الحرب على العراق بتأسيس مكتب إعادة الإعمار والمساعدة الإنسانية [25] *ORHA* برئاسة الفريق أول (المتقاعد) جاي غارنر *Jay Garner*.

كان من أولى المشاريع التي خطط لها البنتاغون تأسيس هيكل من الخبراء الذين يمكن أن يساعدوا في إعادة إيقاف الدولة العراقية على قدميها بعد الاحتلال وهو المجلس العراقي لإعادة الإعمار والتنمية[26] *IRDC* يضم ١٤٠ مغترب عراقي معظمهم من المواطنين الأمريكيين – تعاقدت معهم وزارة الدفاع الأمريكية البنتاجون لمساعده قوات التحالف في التخطيط لأعاده الأعمار بعد احتلال بغداد.

الاحتلال تحت ستار التحرير

بنيت الخطة الإستراتيجية الأمريكية لغزو العراق في إطار إستراتيجية هجومية تحمل اسم الهيمنة السريعة وتحقيق نصر عسكري حاسم ضمن نظرية (الصدمة والرعب) حيث تتعدد الضربات الجوية والصاروخية والمدفعية في وقت متزامن مع هجمات برية قوية من اتجاهات متعددة ،مع تخصيص دور رئيس ومؤثر للقوات

---

[25] Office of Reconstruction and Humanitarian Affairs

[26] *Iraq Reconstruction and Development Council*

الخاصة في عمليات الاقتحام وعمليات خلف الخطوط بهدف سرعة انهيار الدفاع العراق واحتلال بغداد ،كما خطط لإدارة حرب نفسية منظمة تهدف إلى إفقاد النظام العراقي السيطرة على أركان الدولة مما يؤدي إلى انهيار السلطة وانتهاء المقاومة العسكرية في وقت محدود وبأقل خسائر ممكنة.

في الساعة السابعة وعشرين دقيقة بتوقيت واشنطن من يوم الأربعاء التاسع عشر من مارس/أذار عام ٢٠٠٣، وبعد ساعة ونصف الساعة من انتهاء مهلة أل ٤٨ ساعة التي حددها الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش للرئيس العراقي صدام حسين؛ للتنحي عن السلطة وترك البلاد، بدأت حرب الخليج الثالثة_ بضربات صاروخية وجوية عرفت بعملية" حرية العراق" ودقت صفارة الإنذار في بغداد معلنة بدء غزو العراق في فجر *20* مارس/أذار بما سميت بصدمة الترويع حيث استهدفت مقرات الرئاسة العراقية بـ ٤٠ صاروخ كروز من سفن وغواصات أمريكية وفي اليوم التالي بدأ الاجتياح البري وخلال ١٧ يوم وفي ٦ أبريل/نيسان وصلت القوات الأمريكية إلى الضواحي الشرقية للعاصمة وانهار النظام العراقي في ٩ أبريل/نيسان .

استقبلت القوات الأمريكية في وسط بغداد في ساحة الفردوس [٢٧] بهتافات جموع قليلة محتشدة وعلى مرأى العالم عبر الشاشات التلفزيونية صعد جندي أميركي وغطّى رأس صدام حسين بعلَم بلاده، لكنّ قادته أمروه بإزالة العلم فوراً فلا بد للحدث أن يظهر عراقياً ليسقط العراقيون بمساعدة من القوات الأمريكية تمثال صدام حسين في ساحة بغداد المركزية وهكذا أعلن نهاية حكم صدام.

عندما دخلت قوات الجيش الأميركي العراق تحت مسمى"عملية تحرير العراق" في آذار/مارس ٢٠٠٣ كانت الخطة هي قيام الجيش بعد انتهاء العمليات القتالية

---

[٢٧] تمثال ضخم لصدام محاط ب ٣٧ عمودا كدلالة على تاريخ ميلاده في عام ١٩٣٧ م

بمساعدة الحكومة الجديدة في العراق في إحلال الاستقرار. تم عقد مؤتمرين الأول في مدينة الناصرية في ٥ أبريل والثاني في بغداد في 24أبريل/٢٠٠٣ لمناقشة تشكيل حكومة مؤقتة يمكن أن تتألف من جماعات المعارضة في الداخل وتلك الموجودة في المنفى.

عمليات النهب والتدمير

يبقى دخول القوات الأمريكية الغازية إلى بغداد بشكل سريع ودون مقاومة يطرح حوله العديد من التساؤلات، فهذا الأمر لم يتوقعه أحد فبعد٢١ يوما من بدء الحرب سقطت بغداد دون قتال وطويت صفحة من تاريخ العراق لتبدأ صفحة أخرى جديدة. دخلت الدبابات الأمريكية بغداد فقبع الكثير من أهالي بغداد في دورهم حائرين خائفين خاصة بعد ان توارى أي أثر للشرطة والجيش العراقي والمجاميع المسلحة من تنظيمات حزب البعث فلم يعد ثمة نظام سوى نظام فوضوي وما هي إلا ساعات حتى تحولت بغداد إلى مدينة أشباح. ثم بدأت موجة السرقات والنهب لمؤسسات الدولة ومعاملها ومتاحفها من قيل اللصوص وموجة أخرى متخصصة لسرقة المصارف إذ تقوم عصابات مسلحة بتفجير أبواب المصارف والخزانات المحصنة وسرقة النقود. تم تقدير خسائر حوادث النهب في الأسابيع الأولى بـ١٢ مليار دولار وتدمير البنية التحتية والتجهيزات المفقودة، لقد كانت التجربة كارثية، لقد اختفت الدولة.

في أعقاب احتلال بغداد تفسخت تركيبات القوى القديمة وقذفت البلاد إلى حالة من التشويش الكامل، إذ توقفت الخدمات الأساسية التي كانت تتمركز في يد الحكومة، وانتشر النهب في البنوك والمستشفيات والمكاتب الحكومية، وتفشت أشكال أخرى من العنف وأصاب الشلل الأنشطـة الاجتماعية والاقتصادية ولم يكن ثمّة تحرّك جماعي يُذكر. حيث الخدر والذهول يلفّان الشارع. لا تجد تظاهرات

معارضة للاحتلال، ولا جماهير تحيّيه، ولا داعين إلى استعادة السيادة وإقامة نظام حكم ديمقراطي جديد. لقد أصاب مدينة بغداد قدراً كبيراً من الضرر نتيجة لعمليات النهب التي جرت بعد دخول القوات الأمريكية والانفلات الأمني الذي أعقب سقوط النظام السابق. ولقد برزت أصناف مختلفة من المخربين، منهم اللصوص العشوائيين ومنهم المتخصصون الذين وصلوا في ساعة الفوضى وهم يحملون مخططاتهم معهم، ويعرفون بدقة ما سيأخذون وكيف يحملون وماذا يحطمون ما لم يستطيعوا حمله من نفائس التاريخ الإنساني، مثلما حدث للمتحف العراقي.

من أخطر الأمور التي واكبت عمليات النهب والتدمير التي رافقت احتلال القوات الأمريكية للعراق هو تخريب وتشويه الكثير من المباني التراثية وفقدانها للعديد من معالمها وخصائصها كما نال المتبقي من تلك المباني نصيبه أيضا من عمليات الإرهاب فتهدم جزء لا يستهان به منها واحترق وتهدم البعض الأخر واختفى من الوجود.

من ناحية أخرى زاد سوء الأوضاع الأمنية وضعف الرقابة من تفاقم نوع وعدد التجاوزات على النسيج العمراني والتراثي للمدينة مما تسبب في فقدان العديد من المباني التراثية في بغداد عموما وشارع الرشيد خصوصا.



الجيش الأمريكي في شوارع بغداد

وقف الجنود الأمريكيون دون اكتراث براقبون أعمال النهب والسرقة وتخريب البنى التحتية علما انهم وفروا قوة حماية خاصة لوازرة النفط فور دخول القوات الأمريكية لبغداد وحمايتها من أعمال النهب والسرقة والتدمير، بيد أنها لم توفر الحماية للمتحف العراقي. ان عمليات النهب التي تعرض لها المتحف العراقي خلال الأيام التي تلت احتلال بغداد هي عمليات منظمة نفذها أشخاص محترفون. قال عالم آثار عراقي) محسن كاظم (في مقابلة معه نشرتها صحيفة لوفيغارو كان شاهدا عندما بدأت عمليات نهب المتحف العراقي انه اتصل بالقوات الأمريكية التي كانت على خطوات من بناية المتحف طالبا منها المساعدة في وقف عمليات النهب لكن هذه القوات رفضت التدخل بالقول إن ليس لديهم تعليمات بذلك وليس من مهمتها حماية المتاحف.

ان عمليات نهب المتحف كان يشرف عليها أفراد محترفون كانوا يعرفون ما يريدون سرقته والمجموعات التي هاجمت المتحف الوطني ونهبته كانت مكونة في

معظمها من أناس فقراء غير متعلمين كانوا ينهبون بطريقة عشوائية كل ما يقع تحت أيديهم، ولكن كان بينهم مجموعة من الأشخاص تبدو عليهم مظاهر النعمة وهؤلاء هم الذين كانوا يصدرون الأوامر وكانوا يعرفون بالضبط ما المقتنيات التي يريدون نهبها وأماكن وجودها كما لو انهم قد تهيأوا، على ما يبدو، منذ فترة لعمليات النهب هذه. ان هؤلاء الأفراد المحترفين الذين كانوا يشرفون ويوجهون عمليات النهب داخل المتحف كانوا قد زودوا بعض النهابين بآلات مخصصة لفتح الخزانات وساعدوهم ليس فقط على نهب صالات المتحف، ولكن على كسر الجدران الموصلة الى الكهوف التي تحتوي على كنوز اثريه عديدة.

غرق العراق في الفوضى بعد سقوط نظام الرئيس صدام حسين حيث اختفى موظفو الدولة وحزب البعث بعد احتلال بغداد، كما تم مطاردة خمسين من كبار قادة النظام السابق[٢٨]، ولم يكن هناك جهد لاستدعاء موظفي الدولة العسكريين والمدنيين لقواعدهم العسكرية ومكاتبهم لإجراء اختبار لهم قبل التخلص منهم على أساس الانتماء الحزبي.

وبعد أسبوعين فقط في١ مايس/مايو ٢٠٠٣م وفي خطاب النصر على متن السفينة الحربية الأمريكية (أبراهام لينكولن) قبالة ساحل كاليفورنيا أعلن بوش نهاية الغزو (انتهت العمليات القتالية الكبرى في العراق فتحققت الغلبة للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها.

---

[٢٨] **خلال عملية غزو واحتلال العراق في عام ٢٠٠٣ أعدت القيادة العسكرية الأمريكية قائمة، وضعتها في شكل ورق لعب مكونة من ٥٥ ورقة تحمل كل ورقة شخصية قيادية من نظام حكم الرئيس العراقي السابق صدام حسين، واعتبرتهم المطلوبين الأكثر خطورة والاهم في الحكومة والنظام السياسي العراقي.**





عمليات نهب المتحف العراقي والجيش الأمريكي قرب بوابة المتحف

مكتب إعادة الإعمار والمساعدة لإنسانية،*ORHA*

وصل رئيس إدارة مكتب إعادة الإعمار والمساعدة لإنسانية، *ORHA* الفريق المتقاعد جي كارنر في ٢٠٠٣/٤/١٨ حيث جلب معه عدداً من العراقيين لمساعدته في تلك المهمة. أقام مكتب إعادة الإعمار والمساعدة الإنسانية في أحد قصور صدام المهجورة، لكنّه وجد نفسه من دون اتصالات كافية، ويفتقر إلى ما يكفي من

الناطقين بالعربية، وتنقصه الصلات مع الشعب العراقي وكان يتولّى المسؤولية من دون سلطة، وتحوّل الموقف السيئ إلى أسوأ على الفور.

أعلن كارنر فور وصوله أن أهم أولوياته هي إعادة الخدمات الأساسية مثل المياه والكهرباء بأسرع ما يمكن حيث زار في اليوم الأول لوصوله مستشفى اليرموك ببغداد حيث أطلعه الأطباء على الصعوبات التي تواجهها والآثار المدمرة لعمليات السلب والنهب التي تعرضت لها قبل توجهه لتفقد إحدى محطات الكهرباء والمياه وأشار الجنرال الأميركي إلى ضرورة تضافر الجهود لإيجاد نظام حاكم جديد في العراق. تبيّن بسرعة أنّ المهمّة التي يتعيّن على كارنر الاضطلاع بها هائلة الحجم، وأنّ التخطيط المسبق للاحتلال كان غير كافٍ بصورة يرثى لها.

بدأ جي كارنر، بمساعدة مدير مجلس الأمن القومي زلماي خليل زاد[٢٩]، عملية عقد مؤتمرات في مناطق العراق على أمل الاعتراف بالسلطة الجديدة. كان خليل زاد يعتقد بأنّ من الضروري أن يضفي العراقيون الشرعية على أنفسهم وكان من الضروري لاستقرار البلد في المستقبل أن يرى العراقيون أنّ الأشخاص الذين أقرّوا بأنّهم يشكّلون مراكز ثقل يشاركون في العملية السياسية.

بعد سقوط النظام السابق عاد القياديون وكوادر أحزاب المعارضة العراقية بانتهاز فرصة الفراغ الذي نشأ بعد الحرب، قام العديد من الأحزاب والفصائل السياسية الجديدة بالاستيلاء على المباني العامة وسكنوا في قصور فاخرة كانت الدوائر الداخلية ومسؤولي النظام السابق قد أخلتها. أصدر الجنرال جي كارنر الحاكم الأمريكي الأول للعراق قرار تخصيص عدد من القصور والفلل في المنطقة لإسكان رؤساء وكوادر الأحزاب المعارضة.

---

[٢٩] زلماي خليل زاد دبلوماسي من أصول أفغانيه وكان سفير الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة في عهد الرئيس جورج دبليو بوش..

كان كارنر من الداعين إلى تسليم السلطة للعراقيين في أسرع وقت ممكن ولم يكن هذا موقف وزارة الدفاع مما أدى لتغييره بالسفير بول بريمر وسط استمرار الإحباط بشأن جهود إعادة الخدمات العامة الأساسية والاستقرار للبلاد.

سلطة الائتلاف المؤقّتة *Coalition Provisional Authority*

بعد صدور قرار مجلس الأمن رقم ١٤٨٣ في ٢٢ مايس ٢٠٠٣ والذي عرّف الولايات المتحدة والمملكة المتحدة كقوات احتلال للعراق، وأن يدير التحالف الدولي العراق عبر سلطة مؤقتة لحين تشكيل حكومة وطنية وشرعية ممثلة للشعب العراقي وهو اعتراف ضمني أن الولايات المتحدة ركزت على الجانب العسكري وفشلت في التخطيط السياسي لما بعد الاحتلال.

أعتبر مجلس الأمن الدولي في قراره رقم ١٤٨٣ ان السلطة المؤقتة هي "سلطة احتلال" لكن المجتمع الدولي عهدا اليها القيام بعدة مهمات من بينها إدارة العراق، إصلاح الإدارات الحكومية في البلاد، إدارة الشؤون الأمنية والاقتصادية، إصلاح البنية التحتية وتثبيت الأساس الديمقراطي لحكومة دستورية تمثل كافة سكان البلد.

عين الرئيس الأميركي بوش السفير بول بريمر[٣٠] الذي لم يسبق له العمل في أي دولة عربية كمدير لسلطة الائتلاف لقيادة مسعى إعادة بناء البنية التحتية العراقية والمساعدة في إنشاء حكومة جديدة. ووزير الدفاع الأمريكي سيكون المسؤول المباشر عنه. وأعطيت هيئته اسم "سلطة الائتلاف الموقّتة". *Coalition Provisional Authority*

---

[٣٠] خدم في سفارات بلاده في أفغانستان وملاوي والنرويج وتولى منصب المساعد التنفيذي والمساعد الخاص لستة من وزراء الخارجية الأميركيين،

تولت سلطة الائتلاف المؤقتة إدارة الحكومة العراقية في الفترة منذ أبريل/نيسان ٢٠٠٣ ولحد حزيران/جون ٢٠٠٤. فقامت بتشريع القوانين، طبع العملة، فرض وجمع الضرائب، توجيه الشرطة وصرف مدخولات النفط. بلغ عدد العاملين لدى سلطة الائتلاف أكثر من ١٥٠٠ شخص، أكثرهم من الأمريكيين.

اختار بريمر القصر الجمهوري مقرّاً له كان بوسع الأمريكان، إنشاء منطقتهم «الخضراء» أينما أرادوا، فقصور صدّام الفخمة تملأ بغداد، لكنّهم اختاروا القصر الجمهوري رمز سيادة الدولة العراقية.

قال بريمر في إنه سيعمل على مساعدة العراقيين على بلوغ الديمقراطية. وأشاد بالعمل الذي قام به رئيس مكتب إعادة الإعمار والمساعدة الإنسانية جي كارنر ومعاونوه خلال الأسبوعين الماضيين. ومن جانبه أكد رئيس أركان الجيوش الأميركية الجنرال ريتشارد مايرز الذي رافق بريمر تصميم القوات الأميركية والبريطانية على استئصال حزب البعث وإقرار الأمن في العراق.

بدأ الحاكم المدني للعراق بول بريمر فترة حكمه بإصدار سلسلة من القرارات لتفكيك دولة النظام السابق فألغى ووزارة الدفاع والجيش النظامي والحرس الجمهوري ووزارة الداخلية والشرطة وخدمات الأمن وحرس الحدود، كما ألغى وزارة الإعلام. عدلت أوامر سلطة الائتلاف المؤقتة قوانين المصارف، قانون العقوبات، رواتب موظفي الدولة وأنظمة السير وفتحت البلاد أمام الاستثمارات الأجنبية وأقامت سوقاً للأوراق المالية (البورصة). حاولت سلطة الائتلاف المؤقتة في تشكيل عملية تطوير عراق ديمقراطي، ولكنها لم تملك أبداً القدرة التنظيمية لتحقيق العديد من أهدافها وأجبرت على الارتجال والدخول في الفوضى.

خاطب بريمر العراقيين في رسالة وجهها إليهم وأعلن حل حزب البعث الذي كان يتزعمه الرئيس صدام حسين وطلب منهم تسليم كل ممتلكاته وطلب من كبار الموظفين بالوزارات المختلفة توقيع وثيقة يتبرؤون فيها من الحزب الذي حكم العراق منذ عام ١٩٦٨ وقال إن الأجهزة الأمنية لحكومة صدام لم يعد لها أي سلطة، ولكنه شدد على أن الأحزاب السياسية التي لم تحض على العنف سيسمح لها بالمساهمة في الحياة السياسية في عهد ما بعد صدام.

التزمت سلطة الائتلاف المؤقتة في بيان لها" بإعادة بناء جميع البنى التحتية وذلك لكي يضمنوا عند تحويل السلطة لأول حكومة عراقية ديمقراطية منتخبة في تاريخ العراق فإنها ستمارس سلطتها في بلد مؤهل اقتصادياً، داخلياً وخارجياً، ويوفر الخدمات الأساسية لمواطنيه ويستطيع حماية نفسه ويؤدي دوراً مسؤولا ضمن المجتمع الدولي."

مجلس الحكم في العراق

شكل مجلس الحكم لمؤقت في ١٢ تموز/يوليو ٢٠٠٣م، بقرار من سلطة الائتلاف ومنح صلاحيات جزئية في إدارة شؤون العراق، لكن الصلاحيات الأساسية تبقى في يد بول بريمر وامتدت فترة الصلاحيات المحدودة لمجلس الحكم من ١٢ تموز/يوليو ٢٠٠٣م ولغاية ١ حزيران/يونيو ٢٠٠٤م، حيث تم حل المجلس ليحل محله الحكومة العراقية المؤقتة. كان مجلس الحكم المؤقت المكون من ٢٥ عراقيا يرأسون الهيئة دوريا لمدة شهر وضم ممثلين عن أحزاب وتكتلات عراقية مختلفة كانت في السابق معارضة للرئيس العراقي السابق صدام حسين وروعي في تمثيل الشيعة والسنة والأكراد والمسيحيين بصورة تتناسب مع نسبتهم في المجتمع العراقي وهكذا تم بذر نبتة الطائفية التي خربت المجتمع العراقي.

منطقة القصور الرئاسية

تشتمل على القصور الرئاسية، ومجمعات سكنية ومرافق ودور استراحة، طوّقت بشبكة كاملة من الجدران الكونكريتية، ومحمية بشكل كامل. تقدر مساحتها نحو ١٠ كيلومترات مربعة. كانت هذه المنطقة تضم حتى أوائل الثمانينيات من القرن الماضي مقرات دائرة المخابرات العامة ووزارة الخارجية، ومعسكر قوات الحرس الجمهوري، ومكاتب شركة النفط العراقي، وكذلك مكاتب وزارة الداخلية ومكتب الثقافة والإعلام لحزب البعث، وعددا من السفارات العربية والأجنبية.

مع بداية الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٠ واتساع الإجراءات الأمنية لحماية الرئيس السابق صدام حسين، جرى نقل كثير من المؤسسات والوزارات والمقرات الحزبية والأمنية والعسكرية إلى خارج المنطقة أو على حدودها وجوارها، وقام النظام السابق باستملاك آلاف الأبنية والمنازل والبيوت، واحتلت المنطقة آنذاك مساحة كبيرة على شكل نصف دائرة قطرها يمتد من جسر الجمهورية إلى الجسر المعلق.

توسعت منطقة القصر الجمهوري وزحفت باتجاه أحياء سكنية مجاورة ولاسيما عندما بدأت الحكومة العراقية استعدادها لاستضافة مؤتمر قمة دول عدم الانحياز عام ١٩٨٢، إذ تحولت إلى منطقة عمل مدة ٢٤ ساعة، واستقدمت العشرات من شركات البناء العالمية، وتم بناء قصر المؤتمرات وفندق الرشيد وسائر المجمعات السكنية من ضمنها ١٠٠ قصر مطل على نهر دجلة خصصت لرؤساء الدول الذين كانوا مدعوين للمشاركة في مؤتمر عدم الانحياز. كل هذا جرى في فترة قياسية، بيد أن القصور لم تستخدم لإسكان الملوك والرؤساء بسبب اندلاع الحرب العراقية الإيرانية، وانتقال عقد المؤتمر إلى الهند.

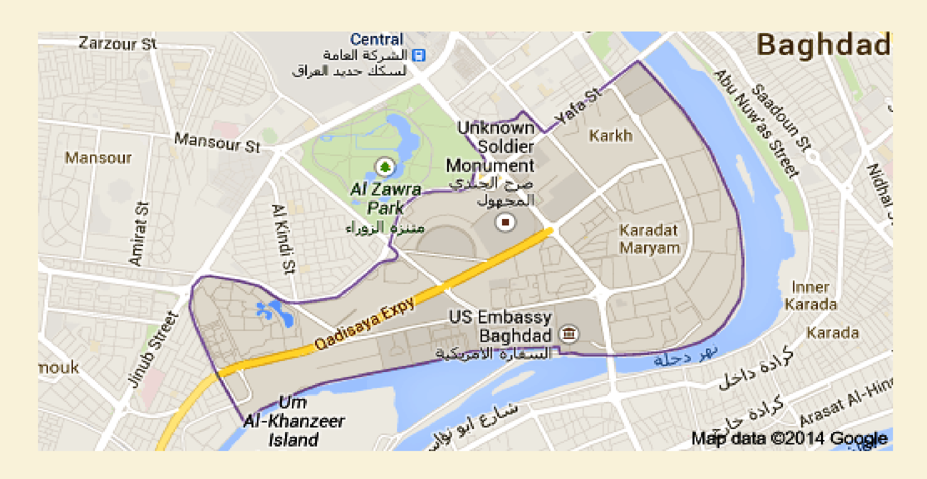
وزع نظام صدام حسين عام ١٩٨٢ المجمعات السكنية على نحو ١٨٠ من الوزراء وكبار المسؤولين المدنيين والعسكريين والأمنيين يشغلونها خلال خدمتهم

الرسمية. أما القصور المطلة على نهر دجلة فبقيت تابعة لديوان رئيس الجمهورية وشغلها عدد من المسؤولين في القصر الجمهوري وقيادات الحرس الجمهوري والأجهزة الأمنية.

المنطقة الخضراء

بينما كانت بغداد تعاني الفوضى التي نجمت من الغزو، في نيسان/ أبريل عام ٢٠٠٣ قام الأمريكان باستغلال منطقة القصور الرئاسية في قلب العاصمة والمتوفر فيها ما يلزم من خدمات لوجود قيادة القوات الأمريكية وسلطة الائتلاف المؤقتة (CPA) وجرى إطلاق اسم المنطقة الخضراء على منطقة القصور الرئاسية من قبل الجيش الأمريكي بعد احتلال بغداد. ألحقت قوات الاحتلال بالمنطقة الخضراء متنزه الزوراء، وشارع الزيتون الواصل إليها من حي المنصور، وأجزاء من حي الحارثية وحي القادسية.

كانت المنطقة الخضراء بمثابة حي أمريكي صغير في بغداد، خصص للتنقل فيه سيارات نقل (حافلات) تعمل وفق جدول زمني، كل عشرين دقيقة، لها مواقف لتنقل من ليست لديهم سيارات والذين لا يودون المشي. المولدات الكهربائية تعمل على نحو مستمر. لا يسمح للعراقيين بالدخول، والوحيدون المسموح لهم ذلك هم المشتغلون مع سلطة الائتلاف المؤقتة والقادرون على إثبات سكنهم. لقد كانت بغداد الحقيقية بما فيها من نقاط تفتيش، وبنايات مهدمة وشلل في المواصلات وانقطاع الكهرباء، عالم بعيد جدا بالنسبة لساكني المنطقة الخضراء.



المنطقة الخضراء في بغداد

أكمل بول بريمر عملية توزيع المساكن والشقق الموجودة في المنطقة الخضراء التي بدئها الجنرال جي كارنر الحاكم الأمريكي الأول للعراق وأصدر قرارات لتخصيص عدد من القصور والفلل في المنطقة الخضراء لإسكان لمستشارين والموظفين العاملين مع سلطة الائتلاف المؤقتة.

مشاعر العراقيين

معظم العراقيين اعتبروا الاحتلال الأمريكي في البداية تحريراً لهم من حكم مستبد، إذ أطبق النظام السابق على أحلامهم، ومارس عليهم عنفاً بدائياً، ما اضطر العديد من المواطنين إلى الهجرة، ومغادرة وطنهم، ولاسيما بعد أن تدهور الوضع الاقتصادي، وتردَّت الأحوال المعيشية، وبلغت من السوء والعناء درجة لا يمكن أن تحتمل. بيد أن الاحتلال الأمريكي لم يبرر معنى التحرير، وبدلاً من السيطرة على الفوضى راحت الاوضاع تزداد سوءاً.

حاولت الإدارة الأمريكية في البداية القيام بإصلاحات للاقتصاد العراقي، فخصصوا بلايين الدولارات ضمن صندوق إعادة الأعمار لإنعاش الوضع الاقتصادي

والمساعدة على تأسيس النظام الجديد، وتشجيع إعادة الأعمار وإيجاد حكومة صالحة لحكم العراقيين بعد ثلاثة عقود من حكم دكتاتوري، كما أعلن مجلس الحكم بتشجيع من سلطة الائتلاف المؤقتة قانون الاستثمار الأجنبي. لكن هذه التحركات لم تؤد إلى تغيير الواقع الاقتصادي وخفض البطالة.

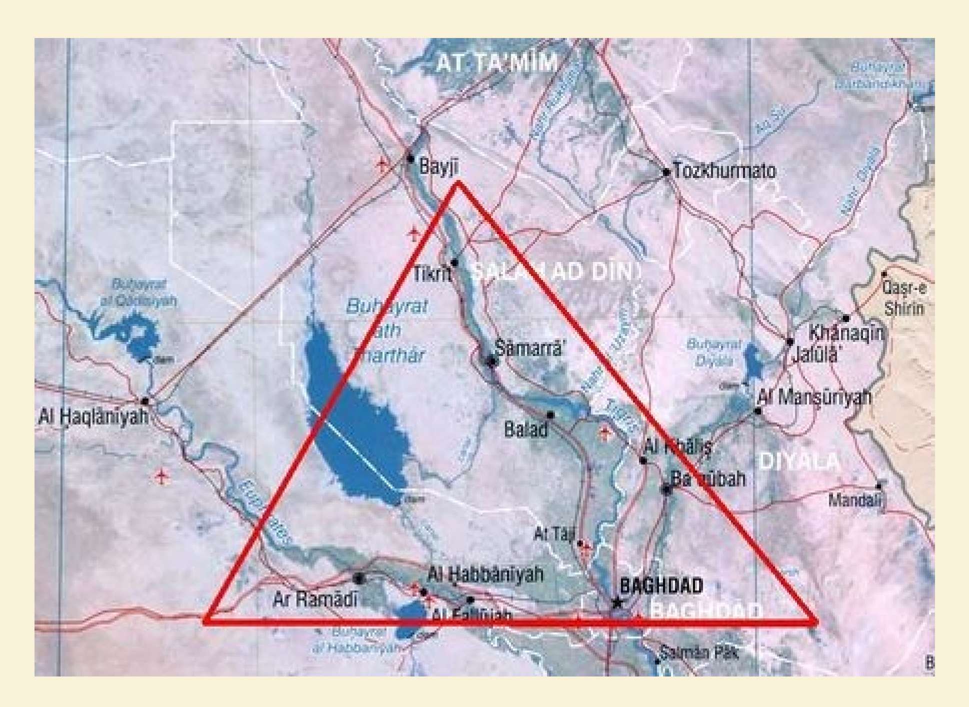
حتى أواخر عام ٢٠٠٣ كان الأمريكان يذهبون إلى وسط بغداد لتناول العشاء أو للتسوق بصورة اعتيادية دون خوف على سلامتهم، وبمرور الوقت تعقَّد الوضع، وصارت مرونة الحركة داخل المدينة دون مواكب وحراسات أمنية أصعب من ذي قبل، ثم تدهورت الأمور إلى المرحلة التي لا تمكن الشخص من مغادرة المنطقة الخضراء من دون حماية أمنية كبيرة.

العجز عن توفير الأمن واسترجاع الخدمات الأساسية الحيوية للسكان خاصة الماء والكهرباء، ادى إلى إحساس العراقيين بالإحباط من الوجود الأمريكي، وبات وجودهم في الشارع ثقيلاً على المواطنين

شهدت بغداد بعد فترة قصيرة من الاحتلال سوء الخدمات العامة، وتراكم القمامة والمباني المهدمة، إضافة إلى الانقطاع في التيار الكهربائي، ومشاكل شبكة الصرف الصحي البدائية، وكذلك من اختناقات مرورية كبيرة بسبب غلق الكثير من الطرق الفرعية والرئيسية بكتل كونكريتية.

أدت القرارات الخاطئة التي اتخذها بريمر إلى زيادة عدد العاطلين، وانتشار الفساد، وتفكك المنظومة الأمنية والضبط الاجتماعي التقليدي حيث تم تسريح ٤٠٠٠٠٠ من منتسبي الجيش العراقي من الضباط والمجندين (أسقط الجيش الأمريكي منشورات أثناء الحرب وعد فيها بحماية الجيش العراقي)، واجتثاث الآلاف من أعضاء حزب البعث السابقين،

انفجرت بعد ذلك المظاهرات السياسية في الشوارع لعدم استعاده الخدمات الأساسية مثل الماء والكهرباء إلى مستوياتها قبل الحرب ساهمت في زيادة السخط الشعبي وبدأت تؤدي إلى خيبه أمل الشعب العراقي ولوحظ بعد أشهر من احتلال بغداد موجه متزايدة تدريجيا من الهجمات على القوات الأمريكية في مختلف مناطق ما يسمي "المثلث السني"، وهي تسمية أطلقها الجيش الأمريكي على منطقة تقع شمالي غرب العاصمة بغداد وأكثر ساكني هذه المنطقة هم من العرب السنة. يتكون أطراف المثلث من محافظة بغداد شرقا ومحافظة الأنبار غربا ومحافظة صلاح الدين من الشمال حيث تكون المدن الرئيسية في هذه المحافظات النقاط الثلاثة في هذا المثلث وهي على التوالي بغداد والرمادي وتكريت ومن الجدير بالذكر ان المثلث يتضمن مدينتي سامراء والفلوجة أيضا. المهاجمون يشكلون مجموعات صغيره يطلقون البنادق الهجومية والقنابل الصاروخية، على الدوريات والقوافل الأمريكية. اتهم الجيش الأمريكي فلول حزب البعث مسؤولية هذه الهجمات وغالبها كانت من الأفراد السابقين الساخطين في الجيش العراقي الذي حله بريمر .في 19 أغسطس/آب دمر تفجير انتحاري مقر بعثة الأمم المتحدة في بغداد، ويقتل ٢٤ شخصا بينهم المبعوث الأممي سيرجيو فييرا دي ميلو.



المثلث السني

التقسيم الإداري الجديد في العراق

قسّمت سلطة الائتلاف المؤقتة العراق إلى أربع مناطق هي: المنطقة الشمالية (CPA North)، المنطقة الجنوبية (CPA South)، منطقة جنوب الوسط (CPA South Central)، والمنطقة الوسطى (CPA Baghdad Central).



التقسيم الإداري للعراق كما حددتها سلطة الائتلاف المؤقتة عام ٢٠٠٣

كل منطقة من هذه المناطق تضم عدداً من المحافظات، وحدها المنطقة الوسطى تشتمل على محافظة بغداد فقط، ويقطنها نحو سبعة ملايين نسمة، أي نحو ٢٥ في المئة من سكان العراق.

قسّمت سلطة الائتلاف المؤقتة مدينة بغداد إدارياً إلى ٩ مناطق و٨٩ قطاعاً معتبرة نهر دجلة الذي يمر من شمال المدينة لجنوبها محددا للتقسيم: خمس مناطق (٤٦ حياً) شرق نهر دجلة في جانب الرصافة، وأربع مناطق (٤٣ حياً) غرب نهر دجلة في جانب الكرخ وقد تجاوز عدد سكان مدينة بغداد ٥,٢٥٨,٠٠٠ عام ٢٠٠٤.



قطاعات بغداد التسعة كما حددها الجيش الأمريكي عام ٢٠٠٣

الانتخابات البلدية في بغداد

العملية الانتخابية لمحافظة بغداد (تشمل مدينة بغداد و ٦ اقضيه محيطة بمدينة بغداد) شملت انتخاب ١٢٧ مجلس محلي وهو عدد قد يبدو كبيرا لكن علينا ان لا يغيب عن بالنا ان هذه المجالس تمثل ما يقارب سبعة ملايين نسمة.

أجريت الانتخابات البلدية نهاية عام ٢٠٠٣ في مرحلة لم تكن فيها الأحزاب الإسلامية قد وصلت الى البرلمان وتشكيل الحكومة مما جعلها انتخابات نزيهة.

جرى انتخاب مجلس استشاري لمدينة بغداد (Baghdad City Council) يتكون من ٣٧ عضوا كذلك جرى انتخاب مجالس الأقضية الست خارج الحدود الإدارية لمدينة بغداد وهي (التاجي، أبو غريب، المدائن، الاستقلال، الطارمية، المحمودية ثم لانتخاب المجلس الإقليمي (Baghdad Regional Council) الذي يمثل ستة أقضية خارج حدود أمانة بغداد يتكون من ٣٥ عضوا.

بعد ذلك اجتمع المجلسان (مجلس المدينة والمجلس الإقليمي) في شهر شباط ٢٠٠٤، لانتخاب مجلس المحافظة (Baghdad Provincial Council) المتكون من ٤١ عضوا. انتخب المجلس الإقليمي وكيل محافظ بغداد ثم اختار أعضاء مجلس محافظة بغداد(Baghdad Provincial Council) بانتخابات سرية في ٥/٠٣/ ٢٠٠٤ محافظ بغداد الجديد.

قام مجلس مدينة بغداد Baghdad City Council) بنشر إعلانات في الصحف المحلية تناشد من يجد في نفسه الكفاءة للترشح لمنصب أمين العاصمة. الحقيقة ترددت من ترشيح نفسي لأوضاع العراق كبلد محتل، ولكني بعد تفكير عميق استقر رأي على المشاركة وعدم ترك مدينتي بغداد في مهب الريح في ظل الأوضاع التي كانت سائدة وقررت المساهمة بخبرتي من جديد في بلدي العراق وتسريع فترة البناء وكان هذا خيارا معقولا بشرط ان لا يكون موقعي سياسيا. تقدمت مع ٩٣ شخصية عراقية للمنصب. قام مجلس المدينة باستدعاء ٢٨ من المتقدمين للمقابلة الشخصية، حيث تم اختيار أفضل ٨ مرشحين، ثمانية من المتقدمين ورفعت أسماءهم إلى مجلس مدينة بغداد بكامل أعضائه.، وطلب منهم التحدث أمام مجلس مدينة بغداد.

اجتمع أعضاء مجلس المدينة بالإضافة إلى رؤساء ونواب رؤساء مجالس أقضية بغداد خارج حدود أمانة بغداد الإدارية في قاعة الاجتماعات بأمانة بغداد والتي تقع بنايتها وسط العاصمة في قاطع الرصافة عند الساعة العاشرة من صباح يوم الأحد ١٨ نيسان ٢٠٠٤ للشروع بعملية الاختيار (بلغ عدد أعضاء المجلسين المشاركين في التصويت ٤٩ عضوا). منح كل واحد من المرشحين الثمانية (٢٠) دقيقة لعرض مؤهلاته أمام المجلس وبعد ذلك أعطي الوقت الكافي للإجابة عن الأسئلة. كنت ثالث المتكلمين، وكان عليَّ أن أقدِّم تصوّري للعمل المطلوب في الارتقاء بمدينة

بغداد خلال المدة التي خصِّصت لكل متحدث منا نحن الثمانية، فبينت لأعضاء مجلس المدينة أن الوضع البيئي والخدمي في مدينة بغداد متردٍ، وأن عمل الأمين يواجه تحدياً صعباً يحتاج إلى حنكة وحكمة لتجاوزه نحو الأفضل، من خلال جهد جماعي لا فردي. بعد ذلك أجريت انتخابات سرية في ٢٠٠٤/٠٤/٢١ انتهت بانتخاب أمين بغداد .لقد كانت المنافسة قوية، فمن جرى اختيارهم كانوا جميعا من حملة المؤهلات العليا في الهندسة أو في الاختصاصات المقاربة لها، ومشهود لهم بالخبرة الإدارية والكفاءة المهنية.

اجتمع مجلس مدينة بغداد لمدة تزيد عن ساعتين أعلن بعدها رئيس مجلس مدينة بغداد السيد خضير عباس ناصر حصول الدكتور علاء محمود التميمي على ٣٤ صوتاً من أصل ٤٩ صوتاً هم عدد الأعضاء الحاضرين في مجلس مدينة بغداد.

اختيار أمين بغداد بالانتخاب حدث أول مرة في تاريخ بغداد، فلم توجد أية تجربة سابقة لتشكيل مجالس تمثيلية حرة للناس تنتخب مسؤوليها التنفيذيين بدون تدخل الحكومة سابقاً.

خطة الحكومة الأمريكية للأعمار

قدرت الأمم المتحدة في نهاية ٢٠٠٣ أن المبالغ المطلوبة لإعادة بناء الخدمات الأساسية في العراق هي بحدود ٦٠ مليار دولار، وفي العام نفسه قررت الحكومة الأمريكية تخصيص ١٨,٧بليون دولار لإعادة النشاط الاقتصادي لإصلاح البنى التحتية والخدمات الأساسية في العراق [٢].

جرى تخصيص هذه المبالغ لمشاريع كبيرة مثل مشاريع الطمر الصحي، والمجاري، ومحطات المياه، ومحطات الكهرباء ومشاريع ضخمة أخرى، من بينها خمسة مشاريع قيمتها ٥ مليارات دولار لإصلاح شبكات الكهرباء، وأربعة مشاريع

أخرى قيمتها ٤ مليارات للأشغال العامة ومشاريع المياه والصرف الصحي، ومشروعان بقيمة مليار دولار لبناء مراكز شرطة وسجون، ومشروع قيمته مليار دولار لبناء تسهيلات صحية ومستشفيات، ومشروعان قيمتهما مليار دولار لشبكات النقل والمواصلات، بالإضافة إلى مشروعين قيمتهما مليار دولار لشبكة توزيع الوقود وإصلاح البنية الأساسية في قطاع النفط.

ثم عاد الكونجرس الأمريكي ووافق على منحة إضافية تبلغ ١٨ر٦ مليار دولار أميركي في إطار إعادة البنى التحتية الرئيسية في العراق وتوفير الخدمات الأساسية، وتوفير العمل لآلاف العراقيين من الرجال والنساء من خلال العديد من المشاريع

المواطن العراقي لم ير أي أثر واضح لهذه الأموال الطائلة التي تبدد معظمها بمشاريع فاشلة، وبأسعار عالية جدا، ولم ينجز منها إلا مشاريع قليلة وبمواصفات فنية رديئة. الافتقار إلى "خارطة الطريق" وغياب خطة شاملة اهم أعراض فشل سلطة الائتلاف المؤقتة والجيش الأمريكي وكانت النتيجة الرئيسية لأوجه القصور هذه أن الوحدات العسكرية اضطرت إلى إنشاء خطط خاصة بها لإعادة الإعمار.

الوكالات الأمريكية لم تستطع أن تنجز شيئاً محسوساً لبغداد، برغم الأموال الكبيرة والعقود الموقعة وكانت بعضها دعائية، كمشروع تجميل مدينة بغداد. إذ أعلن السفير بريمر في مقابلة تلفزيونية أنه سيكون من الجميل لو أمكن تسليم بغداد في حالة جميلة للشعب العراقي عند نقل السيادة للعراقيين في ٢٠٠٤/٦/٣٠، فقد خصص ١٠ ملايين دولار استخدمت لرفع القمامة وإعادة تأهيل بعض المناطق المفتوحة في المدينة، وطلاء الأسوار.

لم يشعر الناس بأي تحسن في حياتهم اليومية، وكانت هناك مشاكل صحية خطيرة جدا نتيجة لعدم تشغيل خطوط المياه، وتداخل خطوط المجاري بخطوط المياه

وحصول تسرب بينهما مسبباً التلوث، وظهور بعض حالات الكوليرا في المدينة، والتهاب الكبد وأنواع أخرى من الأمراض.

تجفيف منابع المقاومة

وحدات الجيش الأمريكي المختصة بمهمات إعادة البناء (Civil Affairs) كانت قليلة العدد، وليس لديها القدرة للقيام بإعادة الإعمار على النطاق المطلوب في العراق. لملأ الفجوة الكبيرة بين القدرة والحاجة، كلف الجنود من مجموعة متنوعة واسعة من الوحدات العسكرية بمشاريع تتراوح بين إزالة القمامة من الشوارع الى مشاريع لإعادة تأهيل مصانع كبيرة بدون أي توجيهات واضحة أو خطة تحدد الأولويات القصيرة والمتوسطة، والأهداف طويلة الأجل.

بنهاية عام ٢٠٠٣ أصبحت جميع وحدات الجيش الأمريكي تقريبا تشارك مباشرة في عمليات إعادة الإعمار على الرغم من أن هذه الوحدات لم تكن متدربة أو مجهزة للتعامل مع مشاريع المجتمعات المحلية العراقية الملحة. الفترة من أيار/مايس ٢٠٠٣ م لغاية نهاية عام ٢٠٠٤م أنجزت الوحدات العسكرية الأميركية مشاريع لترميم المدارس، وإصلاح محطات معالجة المياه، وإنشاء نظم التخلص من النفايات، وإصلاح وتحسين الشبكة الكهربائية، وقامت بتهيئة الفرص الاقتصادية من خلال المنح للمشاريع الصغيرة.

لم تعبّر المناطق الفقيرة في مدينة بغداد الستة أشهر الأولى من الاحتلال عن عدم ترحيبها بوجود الجيش الأمريكي بشكل واضح، أما في نهاية عام ٢٠٠٣ فقد أصبحت تشهد الكثير من أعمال المقاومة للاحتلال.

اعترض جنرالات الجيش الأمريكي الميدانيين على خطط الوكالات الأمريكية لتنفيذ المشاريع الاستراتيجية والكبرى، مشيرين إلى أن هناك حاجة إلى أن يرى المواطن

العراقي تقدماً محسوساً وسريعا للخدمات في منطقته من رفع الأزبال وتبليط الشارع أمام بيته ورفع القمامة من محلته، وتوفر الماء الصافي والكهرباء لمدينته. أن تخصيص مبالغ لمشاريع كبيرة لا يؤدي إلى نتائج ملموسة خلال وقت قصير على المستوى المحلي وسيحتاج الى وقت طويل لإنجازها، بينما الجيش الأمريكي يخوض معارك شوارع.

ازداد الوضع الأمني سوءا في عام ٢٠٠٤م، وقلت مظاهر تأييد الشعب العراقي، للجنود أمريكيين وأصبح معروفا لمعظم الوحدات الأمريكية أن إعادة إعمار البلاد وتحسين حياة العراقيين وتوفير الخدمات الأساسية (الكهرباء والمياه النظيفة) بدون توفير حياة أمنة للمواطنين العراقيين، سيبعدها كثيرا من مساندة الشعب العراقي. باختصار لم تكن هناك خارطة طريق لإعادة الإعمار في العراق.

لم يؤد تخصيص ملايين الدولارات من الوكالات الأمريكية للمشاريع الكبرى (الماء الكهرباء، المجاري) إلى إحساس المواطنين في بغداد بالقليل من التغيير الملحوظ لأن إنجاز هذه المشاريع يحتاج الى وقت طويل. تم تبديل الاستراتيجية وركز الأمريكان على مشاريع صغيرة لخلق الوظائف، مثل تنظيم الشوارع وجمع النفايات وإصلاح أنظمة المجاري وإصلاح الطرق الجانبية المحلية. لقد اعتبر الجيش الأمريكي أن كسب المواطن يتم بالعائد المادي الذي يمكن أن يراه في بيته أولا ثم في شارعه وفي محلته وفي مدينته.

حسب هذه الأفكار والخطط فُهم أن المشاريع السريعة تؤدي إلى تقليل البطالة، وسوف يعمل المواطنون في شوارعهم وأحيائهم ومدنهم على نحو يشعرون فيه أنهم يعملون لأنفسهم. عدا أنهم يستطيعون تأمين حاجات عوائلهم، فإن كون شوارعهم باتت أنظف، وحيّهم السكني صار أحسن، فإن هذا سينعكس على المدينة بوجه عام وعلى مستوى الابتعاد عن التمرد والمقاومة.

فكرة الأعمار تبدلت بالكامل من مشاريع كبرى لمشاريع سريعة. كان هذا بسبب الحاجة لإحداث تغيير في الشارع. وفعلا قام الجيش الأمريكي خلال العطلة الصيفية عام ٢٠٠٤ بضخ أموال كبيرة لتنظيف الشوارع باستخدام العمال والطلاب ومنحهم مبالغ وأجور يومية. في تلك الفترة قلّ بشكل كبير عدد الإصابات التي يتعرض لها الجيش الأمريكي في مدينة بغداد.

الوضع الاقتصادي كان صعباً في بغداد، إضافة إلى الوضع الأمني الذي راح يتدهور بشكل سريع. وصلت نسبة البطالة ٣٩٪ في بغداد بوجه عام، أما في مناطق مدينة الصدر فوصلت إلى ٦١٪. هذا الرقم يعني الكثير. عندما تكون البطون جائعة وفي الشارع جيش محتل، فإن الناس الباحثين عن أي عمل يسد الرمق، قد يصل بهم اليأس وفروغ الصبر إلى تجنيد أنفسهم في أعمال العنف المنظمة. يجب ألا ننسى أن الأمريكان ألغوا الجيش والشرطة العراقية فبات مئات الألوف من العراقيين بدون معيل. في الشهر العاشر ٢٠٠٤، قام الجيش الأمريكي بمساعدة السفارة الأمريكية ووكالة التنمية الأمريكية USAD بتوفير أكثر من ٢٢٠٠٠ فرصة عمل خصصت لأعمال تجفيف مدينة الصدر من المياه والبرك الناتجة من المجاري ورفع النفايات. كان واضحا حسب تقييم الأمريكان في هذه الفترة أن عمل هؤلاء الناس سيجفف كذلك المصادر لمقاتلة الأمريكان خاصة أن المواطن الاعتيادي شعر ببعض التحسن في منطقته.

مشاريع الجيش الأمريكي خلقت عدداً من المشاريع الصغيرة السريعة مثل صيانة بسيطة لشبكات المجاري، وجمع النفايات، وتجديد مراكز الشباب والمساجد وهي مشاريع اعتمدت بصورة رئيسة على العمالة المحلية وصممت "لكسب عقول وقلوب" العراقيين العاديين والتي انعكست على التحسن الأمني في المناطق الفقيرة. تم تشغيل الألف من الشباب عام ٢٠٠٤ بموجب مفهوم الجيش الأمريكي

لتجفيف منابع المقاومة. كان هناك مقاومة مشروعة وهي المقاومة العراقية السلمية التي لا ترغب بوجود جيش محتل وهم عموم العراقيين من مختلف الطوائف والقوميات، حتى لو كانوا مختلفين مع النظام السابق وقد انخرطوا بالعملية السياسية كسبيل لأنهاء الاحتلال وهناك إرهاب باسم المقاومة يستهدف الأنسان العراقي البريء. أعلنت الولايات المتحدة أنها صرفت ٣٠ مليار من دافع الضرائب الأمريكي بحلول ربيع ٢٠٠٦ في إعادة أعمار العراق عدا المبالغ التي صرفت من الأموال العراقية.

في إبريل ٢٠٠٤، أثارت صور سجناء عراقيين يتعرضون للإذلال على أيدي جنود أميركيين في سجن أبو غريب الواقع غرب بغداد استياء عالميا. وفي بداية نيسان ٢٠٠٤ اندلعت مقاومة مسلحة في مدينة الصدر.

أدى تغيير الاستراتيجية الأمريكية والإسراع بنقل السيادة للعراقيين أجبر المسؤولين في سلطة التحالف المؤقتة على تعديل خططهم على نحو مفاجئ بسبب التحديات الهائلة التي شكلتها المشاكل الأمنية بوجه جهود إعادة البناء إلى تغذية عدم الثقة والارتياب بين العراقيين والتساؤل عن الأسباب الحقيقية للاحتلال الأمريكي و في ١٥ تشرين ثاني/نوفمبر ٢٠٠٣ أعلن بريمر أنه سيتم حلّ سلطة التحالف المؤقت في موعد لا يتجاوز ٣٠ حزيران/يونيو ٢٠٠٤ وفي ١٢ يناير/كانون الثاني٢٠٠٥ يعلن البيت الأبيض رسميا أن عمليات التفتيش في العراق قد انتهت دون العثور على أسلحة الدمار الشامل و إن كل المعلومات الاستخبارية عن أسلحة الدمار الشامل كانت "جميعها تقريبا مغلوطة " حيث قرر الأمريكان خفض القوات الأمريكية مع حلول نهاية العام ٢٠٠٦.

معاناة مدينة بغداد

لم تكن بغداد مدينة مشوهة من آثار الحروب والحصار فقط، بل من جراء النمو العشوائي أيضا-مدينة يعاني ساكنيها في حياتهم اليومية بزحمة السير والتلوث والضجيج والمعاناة للحصول على ماء للشرب وصرف صحي والكهرباء، مدينة لا يتوافر لها الحد الأدنى من المعطيات الخاصة ببيئة صالحة للعيش، فلا شوارع صالحة لسير المركبات، ولا ممرات للمشاة وللدراجات الهوائية، ولا معايير للفسحة العامة ونقاوة الهواء، ولا إجراءات قابلة للتطبيق لمنع الضجيج ولا تعاون مع شرطة المرور إضافة الى الحواجز الكونكريتية والأسلاك الشائكة التي بالغت القوات الأمريكية بإقامتها في أكثر شوارع العاصمة وطرق المرور السريع.

غياب التخطيط والإدارة الحضرية المناسبة لعقود، وعدم مواكبة مشاريع البنية التحتية لزيادة السكان الطبيعية لمدينة بحدود سبعة ملايين شخص أدت الى تردي الوضع البيئي للمدينة وتلوث الهواء، وعدم توفر مياه الشرب بشكل كافي، وعدم توفر أنظمة لمعالجة المخلفات وإعادة تدويرها، فضلاً عن تأثير هذه الظاهرة على العديد من السمات الأخرى للبيئة الحضرية التي تساهم في تحقيق الرفاهية للفرد والمجتمع.

بعد احتلال القوات الأميركية لبغداد في نيسان / إبريل عام ٢٠٠٣، تجلّت أزمة السكن التي كان يعاني منها العراق وبغداد على وجه الخصوص، الذي سيطر عليه في النظام السابق بقبضة حديدية على المجتمع وفرض ضوابط صارمة عليه. إذ يعاني العراق عجزاً كبيراً في المساكن يقدّر بنحو ٢ مليون ونصف وحدة سكنية. وبغداد على رأس المدن التي تعاني نقصاً كبيراً في المساكن، ولاسيما في ظل التضخّم السكاني واستمرار الهجرة إليها من المحافظات. ولم تقتصر شهوة الحصول على سكن منذ العام ٢٠٠٣ على فئة اجتماعية دون غيرها - حيث اقتسمت الأحزاب

والمعدمون، في صفقة صامتة أنقاض دولة البعث - إذ سرعان ما توجّهت العائلات المعدمة إلى استيطان بيوت ودوائر وأراضٍ تابعة للدولة، واقتسمت بعض العائلات فيما بينها بنايات كانت مؤسسات حكومية في السابق وحوّلتها إلى شقق سكنية. بينما سارعت الأحزاب وأفرادها القادمون من الشتات إلى الاستيلاء على قصور ومنازل وأراضي أركان نظام صدّام حسين.

شهدت المناطق العشوائية في بغداد منذ عام ٢٠٠٣ ولغاية اليوم اتساعاً متزايداً، وقد بدت العشوائيات جنّة للمحتاجين إلى السكن، وأخذت تتطوّر وتنمو بسرعة كبيرة. ولا تخلو أيٌّ من البلديات أل ١٦ في بغداد منها. ويقدّر عدد سكّان المناطق العشوائية في بغداد لوحدها بحوالي مليوني شخص، فيما يبلغ عدد المساكن العشوائية ١٣٦٦٨٩ وهي تشكّل نحو ٢٦ بالمئة (٨) من عدد جميع هذه المساكن في عموم العراق، الأمر الذي يجعل بغداد تتربع على المرتبة الأولى بامتياز مقارنة بسائر المحافظات العراقية الأخرى.

إزالة النصب والتماثيل في بغداد

إن الآثار والنصب التذكارية لها دلالة تاريخية تخص حقبة تاريخية معينة وأصبحت من الماضي، ولا شأن لها أبدا بالسياسة أو الدين. في العديد من الدول الاشتراكية سابقا وإيطاليا وفرنسا ومصر وغيرها من البلدان لا تزال نصب الفنانين خلال عهود قياصرة روسيا وملوك فرنسا وحكام مصر السابقين شاخصة في الشوارع والساحات برغم تبدل الحكام. علينا ألا ننظر لهذه النصب والتماثيل كتخليد للحاكمين وجود هذه النصب شواهد شاخصة للأجيال القادمة لها مردود تاريخي وحضاري.



تمثال أبو جعفر المنصور باني بغداد

بعد انفلات الوضع الأمني في بغداد طالت أعمال التصفية نصبين فنيين لأبرز رواد الحركة الفنية المعاصرة في العراق وهو النحات العراقي المعروف خالد الرحال. فقد قامت جماعة مجهولة تحت جنح الظلام بتفجير تمثال لباني مدينة بغداد ثاني خلفاء بني العباس أبو جعفر المنصور[٣١] في حي المنصور بجانب الكرخ، وهدم نصب المسيرة في علاوي الحلة للفنان نفسه، كما نسفت نصب أخرى في بغداد والبصرة والموصل، وسبق أن تعرض تمثال السعدون في بغداد إلى عملية سرقة. وبعد عامين تقريباً من تفجيره بدأت أعمال ترميم التمثال بالكامل لسابق عهده من قبل أمانة بغداد، وفقا للتصاميم الاصلية وبشكل جديد وقد تم افتتاحه في حزيران ٢٠٠٨.

---

[٣١] تم إنشاؤه في سبعينيات القرن العشرين، وبات واحداً من أبرز معالم المدينة، وقام بنحت هذا التمثال النحات العراقي خالد الرحال، الذي يعد أحد أبرز رواد الحركة الفنية الحديثة في العراق.

التحول الديمقراطي في العراق بعد ٢٠٠٣

اعتقد الكثير من العراقيين ان غزو القوات الأمريكية كان يوم انعطافه تاريخية ومرحلة تحول في مسيرة العراق والعراقيين حيث انتقل العراقيون من مرحلة حكم الفرد الواحد و الحزب الواحد والعائلة الواحدة الى حكم الشعب و حكم والمؤسسات الدستورية، والقانونية.

كانت الحملة الأمريكية قد رفعت شعار تحرير العراق وكان من المتوقع ان تقوم القوات الأمريكية بتشكيل حكومة عراقية من المعارضين العراقيين وكذلك إحالة كبار الضباط البعثيين للتقاعد والطلب من قطعات الجيش العراقي للعودة لمعسكراتها الدائمة والطلب من ضباط الشرطة وقوى الأمن الداخلي فتح مراكز الشرطة ومراكز الأمن وهكذا كان يمكن للعراق ان يستقبل العهد الجديد بشكل طبيعي وكان من الممكن حسب قناعتي ان يعود العراق مستقرا خلال فترة لا تتجاوز العام الواحد.

شعرت الولايات المتحدة بصعوبة المهمة وخططت لنقل السلطة للعراقيين عبر أنشاء مجلس الحكم والبدء بسرعة لإجراءات التحول الديمقراطي وفق المبادئ المتعارف عليها في الأليات الديمقراطية لحفظ الهوية الوطنية العراقية إلاّ ان واقع التطبيق العملي عرض مفهوم المواطنة العراقية لغموض كبير وتشويه وتحريف عن معانيه ومدلولاته.تم التحول الديمقراطي في العراق بفعل إرادة خارجية وتعاون أحزاب سياسية عراقية معارضة لنظام صدام حسين كانت تعيش في الخارج عادت للعراق مع احتلال الجيش الأمريكي للعراق مما يدفعنا للقول ان النظام الديمقراطي الذي فرضته الولايات المتحدة وحلفاؤها على البلاد لم يؤدي إلى نتائج ديمقراطية على النمط الغربي.

تم اجراء انتخابات الجمعية التأسيسية في منتصف عام ٢٠٠٤ والتي كانت مهمتها كتابة الدستور و في ديسمبر/كانون الأول عام ٢٠٠٥ نظمت أول انتخابات برلمانية التي لم يكن الشعب العراقي متهيئا لها والغالبية العظمى من العراقيين البسطاء لا يعرفون معنى الانتخابات.

أصبح بإمكان العراقيون التصويت بحرية لاختيار ممثليهم سواء في مجلس النواب او في المجالس البلدية. كما لا ينكر العراقيون وجود تعددية حزبية اضافة الى العشرات من الصحف اليومية السياسية وغير السياسية ومثلها من القنوات التلفزيونية والاذاعات ومنظمات المجتمع المدني التي تعمل بحرية سياسية لم يكن يألفها العراقيون قبل عام ٢٠٠٣.

لكن شدة الخلافات والصراعات السياسية التي طغت على مشهد الحياة اليومية في العراق وما سببته من انقسامات طائفية واستمرار شبه يومي لحوادث وانتهاكات امنية من جانب ميليشيات مسلحة سنية وشيعية تجعل كثيرا من العراقيين يشككون بماهية المشروع الأمريكي للديمقراطية.

الآمال والتوقعات التي بثتها الدعاية الأمريكية الرسمية في الفترة الأولى لغزو العراق في نفوس محبي ومؤيدي السياسة الأمريكية حول تطبيق الديمقراطية في كل منطقة الشرق الأوسط الكبير كانت مجرد سحابة صيف سرعان ما انقشعت من السماء لتعود الحقيقة الأصلية ساطعة تغشي الأعين، وهي أن كل تلك الأموال الأمريكية التي أنفقت في العراق والدماء التي سالت فيه ومعظمها من العراقيين لم يكن الهدف منها سوى تحقيق المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية في حين تعود الديمقراطية التي طرحت في البداية كهدف "نبيل" للاحتلال إلى مكانها الحقيقي في مؤخرة الأهداف.

الفتنة الطائفية (٢٠٠٦-٢٠٠٨)

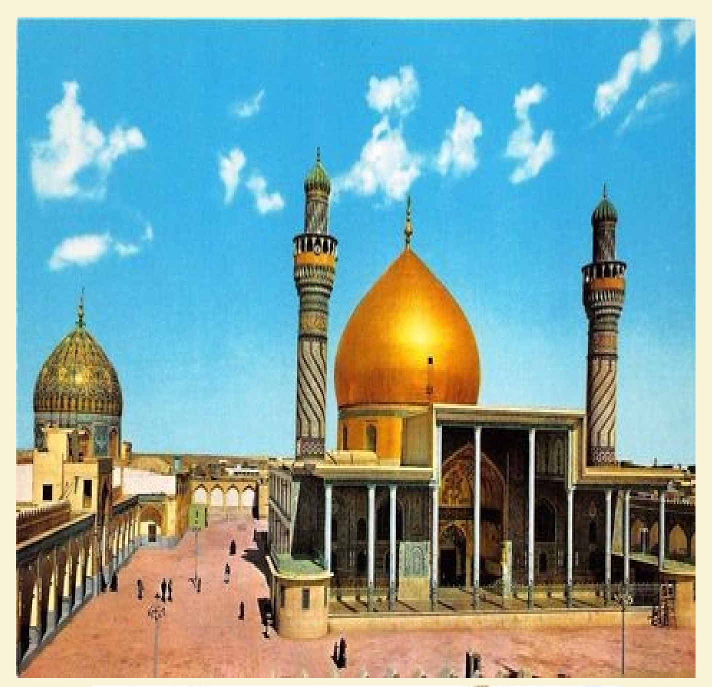
اندلعت الفتنة الطائفية في ٢٢ فبراير عام ٢٠٠٦ عندما استهدف تدمير القبة الذهبية وجزء كبير من مرقد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري[٣٢] في سامراء وهو واحد من اهم المواقع الدينية للمسلمين الشيعة. تسبب التفجير الى حدوث هجمات طائفية قتل فيها المئات خلال بضعة أيام حيث كانت بغداد مسرحاً لأعمال التصفية الطائفية من قبل جهات وميلشيات مجهولة.

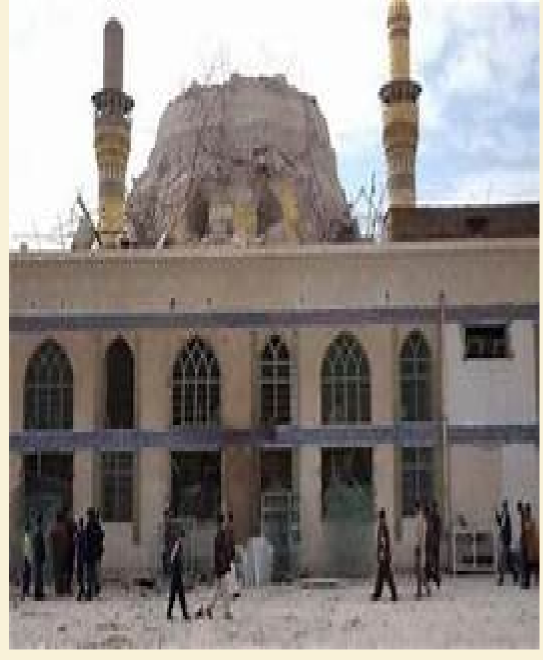
عمت مظاهر الغضب مدن جنوب ووسط العراق وخرج الآلاف في تظاهرات احتجاجية على تفجير الضريح الشيعي المقدس في سامراء و خرج المسلحون الشيعة بعشرات الآلاف تحت اسم "جيش المهدي" في مدينة الصدر إلى الشوارع وهم يرتدون الملابس السوداء ويحملون الأعلام والرايات ويرددون هتافات مندِدة بمن وصفوهم بالبعثيين والوهابية وكذلك بالاحتلال الأمريكي وكان مقتدى الصدر قد دعا إلى ضبط النفس، وعدم الاعتداء على أي شخص كان، وعدم التعرض لمقدسات الآخرين فيما قامت جماعات مسلحة مجهولة بمهاجمة المدنيين السنة وأماكن عبادتهم ومنازلهم وأعمالهم بشكل منهجي ومستمر و أحراق مساجد سنية وهدمها وحدثت أعمال قتل عشوائي في العاصمة بغداد والمناطق المجاورة لها حيث تم العثور على رفات ٤٧ مدنياً في حفرة بالقرب من بغداد وأفاد ديوان الوقف السني في العراق ان ما يقرب من ١٦٨ مسجداً سنياً تعرض للهجوم وتم قتل ١٠ أئمة في المساجد وخطف ١٥ آخرين في بغداد في ١٠ مايو٢٠٠٦ تحدث رئيس الجمهورية جلال طالباني عن ألف قتيل سقطوا في بغداد وحدها خلال شهر أبريل /

---

[٣٢] ضريح الإمامين علي الهادي المتوفي سنة ٨٦٨ م (وابنه الحسن العسكري المتوفي سنة ٨٧٤ م. يلقب بضريح العسكريين أو بضريح القبة الذهبية التي يبلغ اتساعها نحو ٢٠ مترا ومحيطها ٦٨ مترا لتصبح واحدة من أكبر القباب في العالم الإسلامي. وتغطيها ٧٢ ألف قطعة ذهبية. ويبلغ ارتفاع كل من مئذنتي الضريح ٣٦ مترا]

نيسان. وصرح مسؤول في وزارة الصحة العراقية عن مذبحة بغداد ووجود نحو ٣٥٠٠ مدني قتلوا في يوليو /تموز. ثم توسعت الهجمات لتشمل معظم أنحاء العراق واستمرت طوال العامين ٢٠٠٦ و٢٠٠٧ وبدايات ٢٠٠٨ وأدت الى مقتل عشرات الألوف من المدنيين.





المرقد الديني قبل وبعد التفجير

أصدر مكتب المرجع الديني الشيعي آية الله العظمى السيد علي السيستاني [٣٣] بياناً استنكارياً للفاجعة معلناً فيه الحداد العام لسبعة أيام ودعا فيه إلى ضبط النفس وعدم اتخاذ أي إجراءات تؤدي إلى وقوع الفتنة الطائفية التي يريدها من نفذ التفجير وأضاف ان الحكومة ان كانت غير قادرة على وقف استهداف الأماكن المقدسة فلتتركها للمؤمنين على حد وصفه.

بعد أكثر من ثلاث سنوات من احتلال العراق، تتحدث الإدارة الأمريكية عن الحرب الأهلية في العراق، بعد أن كانت تبَشر الشرق الأوسط بديمقراطية فريدة في العراق الجديد، وبات الواقع، الذي يُقّر به قائد القيادة الأمريكية الوسطى، الجنرال جون أبي زيد التي تُشرف قواته على العمليات الأمريكية في العراق، عن خطر اندلاع حرب أهلية في العراق في حال استمرار أعمال العِنف الطائفية، ما دفع بالرئيس الأمريكي إلى تبنّي الاعتراف بخطَر اندلاع هذه الحرب والتفكير بكيفية التعامل معها، لا منع حدوثها. واتخذ قرار إرسال تعزيزات إلى بغداد، بعد أن كان أعلن عزمَه على خفض القوات الأمريكية مع حلول نهاية العام ٢٠٠٦.

هل كانت الإدارة الأمريكية تعلم أن احتلال العراق سيُفضي إلى تفتيت العراق واندلاع حرب طائفية وأهلية، ستكون بالتأكيد حربا مفتوحة على أكثر من إقليم في المنطقة والعالم؟

---

[٣٣] المرجع الديني للمسلمين الشيعة منذ ١٩٩٢، ويقيم في مدينة النجف في العراق. وهو من أكثر الشخصيات تأثيرا في العراق نظراً لامتداد مرجعيته الدينية فكان له دور كبير في كثير من التحولات السياسية بعد تغيير النظام عام ٢٠٠٣، وأطلقت عليه الصحافة الأوربية لقب «دالاي لاما الشيعة» لمكانته. وقد أدرج في جميع طبعات «أكثر ٥٠٠ مسلم تأثيرا» في المراكز العشرة الأولى منذ عام ٢٠٠٩. في عام ٢٠٠٥، أدرج اسمه ضمن أفضل ١٠٠ مفكر عالمي من قبل فورين بوليسي. وفي عامي ٢٠٠٥ و٢٠١٤، رشح أيضًا لجائزة نوبل لجهوده في إرساء السلام.

النسيج الحضري في بغداد يقطع بالحواجز الخرسانية

كانت بغداد قبل الاحتلال في ٢٠٠٣ مدينة جيدة التخطيط ومزدهرة نسبيا، وموطنا لساكنيها من الجماعات العرقية الدينية المتشابكة. ونتيجة للغزو الذي قادته الولايات المتحدة، و الفتنة الطائفية في الأعوام ٢٠٠٦-٢٠٠٨ التي تلت ذلك، تم فصل احياء المدينة على أسس مذهبية. وقد غيرت آثار بناء الحواجز الخرسانية نسيج المدينة الحضري المتشابك لمئات السنين وتقاسمت بغداد المعاصرة الكثير مع مدن مثل بلفاست التي انقسمت ماديا بسبب الاضطرابات المدنية.

عملية تطويق الدوائر الرسمية بالحواجز الكونكريتية بدأت عام ٢٠٠٤ من قبل القوات الأميركية، التي كانت تتمركز دباباتها وبعض أرتالها قرب تلك الدوائر. وكان الهدف منها حماية الجنود الأميركيين من الاستهداف بالسيارات المفخخة. وضع الأميركيون حينها مواصفات محددة لبعض الحواجز لتقليل الخسائر أثناء التفجيرات والسيارات المفخخة.

في وقت مبكر من عام2005 ، كانت قوات التحالف تبني بعض جدران الانفجار على طول الطرق السريعة الرئيسية تلك التي تستخدمها قواتها في بغداد .وحتى عام 2006 وبداية الحرب الأهلية الشاملة، كانت هذه الجدران جدران انفجار دفاعية بسيطة، مبنية من الكتل الخرسانية لمنع" القنابل المزروعة على جانب الطريق.

مع ارتفاع وتيرة العمليات المسلحة ضد مؤسسات الدولة ومراكز الشرطة وغيرها من المدارس والمستشفيات ومواقع القوات الأجنبية تبنت الحكومة العراقية تطويق المقرات الحكومية المهمة بالحواجز الكونكريتية وحول المنطقة الخضراء التي تضم مقرات معظم سفارات الدول الغربية في العراق وخاصة الأميركية والبريطانية إضافة الى مقرات الحكومة والبرلمان العراقيين.

التنبؤات بأن الجدران والحواجز الكونكريتية من شأنها أن تفصل أحياء المدينة عن بعضها البعض، وتدمير النسيج العضوي للمدينة، ومن ثم تصبح دائمة جاء بحلول منتصف عام2006 ، بدأت جدران الانفجار تكملها جدران تكون سورا للحي السكني . وقد بنيت السوار لتطويق حي بالكامل أو في الغالب لحمايته من الإبادة المفترضة في أيدي الميليشيات الأهلية المحلية أو الإرهابيين الأجانب. الأحياء في العديد من أقسام بغداد، مثل الأعظمية، العامرية، الدورة، الحرية – على سبيل المثال لا الحصر – كانت مغلقة تماما ب" كتل "T طويلة من الأسمنت.



الجدران والحواجز الكونكريتية في شوارع بغداد

مع تصاعد العنف والقتل الطائفي عامي ٢٠٠٦ و٢٠٠٧ تصاعدت عملية وضع هذه الحواجز في أحياء بغداد المختلفة بشكل كبير وبلغت في بغداد أكثر من ٧٠ ألف

حاجز حيث تم عزل الغالبية العظمى لأحياء وأسواق وشوارع وحتى الأزقة في مدينة بغداد حيث وجود هذه الحواجز حال في كثير من الأحيان دون سقوط المزيد من الضحايا والخسائر البشرية في الهجمات الإرهابية المسلحة.

تشعر هذه الحواجز الناس بأنهم يعيشون في سجن إسمنتي كبير وليس في مدينة فهي تسبب الألم والاحتقان والشعور بالعزلة. وهنالك بعد آخر يتمثل في تخريب الوجه الجمالي والحضاري المدني لبغداد من خلال أقامه الجدران العازلة تلك، فالشخص الذي يشاهد المنظر يشعر بأن أحياء العاصمة قد تحولت الى معسكرات مطوقة بالكتل الخرسانية العالية ويتولد لديه لا شعوريا أحساس التوجس والخوف من المجهول والترقب ناهيك عن إفرازات ما أنتجته العمليات الإرهابية وتفخيخ السيارات والخطف على الهوية الطائفية أصلا من تردي الحالة النفسية للمواطن في بغداد والتي تحتاج الى الكثير من الجهد والوقت للتخلص من آثارها السلبية ومن بينها الشروخ والصدمات النفسية التي سببها الإرهاب للكثير من شرائح المجتمع البغدادي.

وعلى سبيل المثال، عُزل عدد من المناطق عن بعضها وجرى إغلاقها على السكان إبان شيوع القتل الطائفي في العامين المذكورين، وباتت إحدى أهم وسائل الحماية للسكان الذي كانوا يرتابون بكل من يدخل الحي السكني من خارجه، حتى باتت نقاط التفتيش لا تسمح بدخول الغرباء إلى الأحياء السكنية إلا عند إبراز السكان لبطاقة السكن، التي تثبت أنهم يقطنون في المكان.

في ذلك الوقت، بات السكان يستقبلون ضيوفهم من الأقارب والأصدقاء عند نقاط التفتيش وليس عند باب الدار، لأن تلك النقاط لا تسمح لهم بالمرور، وتطلب من ساكن الحي الحضور لإبراز أوراقه الرسمية ليقوم بكفالة ضيفه قبل دخوله إلى

المنطقة، ثم الخروج معه إلى نقطة التفتيش عند انتهاء الزيارة، ليتمكن من استلام بطاقته التعريفية التي أودعها هناك.

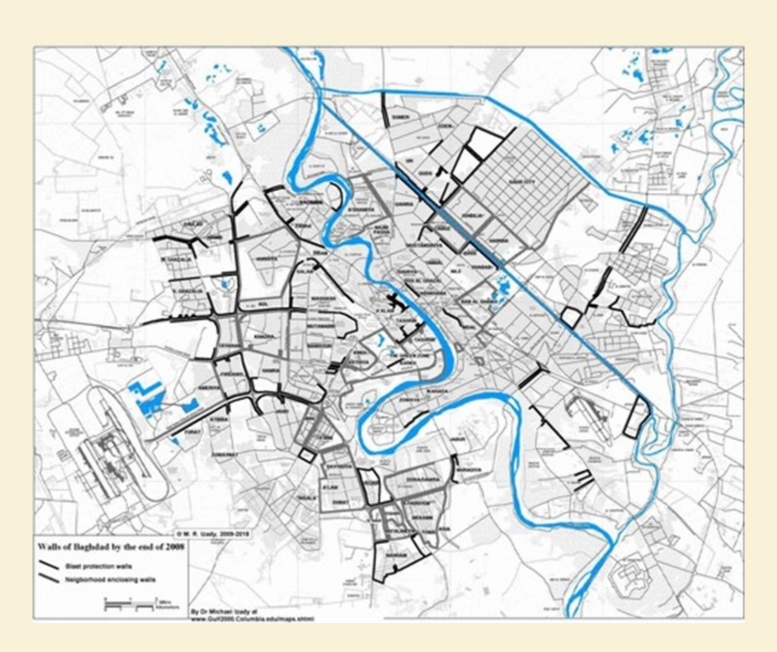
رفض الشارع البغدادي هذه الجدران التي أقحمت في حياة الفرد والمجتمع البغدادي والذي تعود أن ينتقل من حي الى آخر في بغداد دون أية عوائق أو عراقيل ودون أن يسأل في أي منطقة يذهب أليها عن انتمائه المذهبي أو العرقي ألا من باب التعارف من قبل البغداديين من جميع طوائفهم وانتماءاتهم العرقية والمذهبية.

تمكنت الجدران بالتأكيد من إنقاذ السكان من العديد من الهجمات القاتلة، إلا أنها لم تتمكن من توفير الأمن الكامل. أمطرت قذائف الهاون من الأحياء المحيطة من وقت لآخر، وحلقت فوق الجدران المغلقة الجديدة. تعرضت الأحياء الشيعية المسورة مثل الزعفرانية (جنوب شرق بغداد) وأبو دشير (جنوب غرب المدينة) ومدينة الصدر في الشرق لهجمات مكثفة بقذائف الهاون من أحياء الدورة والمهدية و الميكانيك ذات الغالبية السنية. وكان ذلك بعد أن غادر الشيعة من تلك الأحياء السنية نفسها إلى الأحياء الحصرية الشيعية خلف الجدران "الواقية.

المتمردون السنة من المدن والقرى حول بغداد، مثل هور رجب، وعرب الجبور، استخدموا قربهم لإطلاق قذائف الهاون والصواريخ على الأحياء الشيعية في المدينة بينما استمر الإرهابيين الدوليين من تنظيم القاعدة في استكمال تلك الهجمات المدمرة بقذائف الهاون بالتفجيرات الانتحارية.

أفرغ العنف الطائفي أجزاء من المدينة تقريبا بحلول نهاية الحرب الأهلية التي دامت قرابة عامين (بدءا من أوائل عام ٢٠٠٦ وانتهاء في نهاية عام ٢٠٠٧). وينطبق هذا بشكل خاص على احياء الكرخ ذات الأغلبية السنية في الجانب الغربي من المدينة غرب نهر دجلة. وبحلول نهاية عام ٢٠٠٩، حولت أعمال العنف والخوف

أجزاء من أحياء بغداد إلى مدن أشباح. وكانت الأسر التي عادت في بعض الأحيان تواجه تهديدات بما في ذلك الكتابة على جدران بيوتهم.



الجدران والحواجز الأمنية في بغداد في أقصى حد لها عام ٢٠٠٨[34]

على الرغم من السياسة الحكومية المعلنة لإعادة البغداديين الذين تم تطهيرهم عرقيا إلى ديارهم وأحيائهم الأصلية، لم تفعل الحكومة العراقية الكثير لتحقيق هذه المهمة. في الواقع شهدت المدينة زيادة إضافية ومطردة في عنصرها الشيعي. وفي الوقت نفسه، تم تشيع العديد من المدن التابعة لبغداد وإعادة تسميتها على اسم المقدسات الشيعة. مثل مدينة الجوادين (صبا البور سابقا) والحسينية (الرشيدية سابقا)، وكلاهما في شمال بغداد.

---

[34] Mustafa Obaid, Behind the Blast Wall: Walls of Post-occupational Baghdad (Weimar, Germany: Bauhaus-Universität, 2014); Izady,

ووفقا لتقديرات الجيش الأمريكي، بحلول مارس/آذار2009 ، لم تعد إلى منازلها السابقة أو مناطقها في بغداد سوى نحو 50 ألف أسرة نازحة – أو 16 بالمئة يعتقد أن معظمهم من السنة .على سبيل المثال، في منطقة الحرية الشيعية، لم تعد سوى حوالي 650 عائلة سنية – أو 17 بالمئة من الذين فروا .بالإضافة إلى ذلك، باع 400-350 من العائلات النازحة منازلهم في مدينة الحرية، مما يشير إلى أنهم يعتزمون البقاء بعيدا إلى الأبد .في منطقة العامرية ذلت الأغلبية السنية لم يعود إلا بضع مئات من العائلات الشيعية التي فرت. خلال العنف الطائفي .

أسفرت الحرب الأهلية في بغداد عن هيمنة قوية على حياة المدينة والسياسة من قبل الشيعة بسبب انخفاض نسبة السكان السنة في المدينة.

بعد عام ٢٠٠٩، ازيلت العديد من نقاط التفتيش إلى جانب الجدران والحواجز الأمنية، لا سيما عند التقاطعات، لتعودوا في عام ٢٠١٤ مع ظهور جولة جديدة من الإرهاب والتفجيرات الانتحارية والهجمات عبر مركبات محملة بالقنابل. واعترف المسؤولون بأن تفكيك الجدران ونقاط التفتيش، دون حل الانقسامات الطائفية الأساسية، يشجع الإرهاب. ولتيسير حركة المرور والتجارة، بدأ المسؤولون في بناء طرق جديدة وتوسيع طرق أخرى لخدمة أحياء محددة فقط: فالمدينة تقسم نفسها بشكل أساسي إلى قسمين، يخدم كل منهما مجموعة عرقية دينية مختلفة. في غضون سنوات قليلة، أصبحت مدينة بغداد الكبيرة في الواقع مدينتين عرقيتين بشكل رئيسي، مع اتصالات قليلة ومتناقصة بين الاثنين .عادت جدران الانفجار القديمة كبيرة / بعد عام2014 ، في حين أن جدران الحي لم تذهب بعيدا .تم إعادة توجيه الطرق وخطوط حافلات المدينة لخدمة أقسام عرقية معينة من الخصوصية المدينة .ومنذ عام 2015 فصاعدا، شرع في تطويق المدينة بأكملها بجدار على أمل منع تسلل الإرهابيين وهجماتهم على السكان.

في هذا السياق من الفصل والانقسام في المناطق الحضرية، فقط المسيحيين بقوا إلى حد كبير في أحيائهم القديمة التي تمتد عبر كنائسهم التاريخية .لكنهم أيضا رأوا عمليات طرد في أحلك أيام الحرب الأهلية .لا تزال أحياء المسيحيين في حي الدورة جنوب بغداد. ومع ذلك، يبدو أن المسيحيين في بغداد يهاجر المزيد والمزيد منهم من بغداد والعراق إلى أراض أكثر أمانا في الغرب بسبب العنف والاضطرابات التي هي رفيقة المدينة منذ الاحتلال عام ٢٠٠٣.

انسحاب القوات الأمريكية

عند الغزو الأمريكي-البريطاني للعراق، في أبريل/ نيسان ٢٠٠٣، كان توصيف القوات الأمريكية في العراق سهلًا وواضحًا بأنها "قوات احتلال"، حتى قرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٤٨٣، الصادر في ٢٢ مايو/ أيار ٢٠٠٣ بإجماع الأعضاء، وصف القوات الأمريكية والبريطانية في العراق بأنها "قوات احتلال".

نص قرار مجلس الأمن الدولي رقم ١٤٨٣ قيام قوات الاحتلال بمهمات إصلاح الإدارات الحكومية في البلاد، إدارة الشؤون الأمنية والاقتصادية، إصلاح البنية التحتية وتثبيت الأساس الديمقراطي لحكومة دستورية تمثل كافة سكان البلد وليس هناك مجال للنقاش ان انسحاب الأمريكان دون إنجاز هذه المهمات كان في مصلحة المحتل وليس العراقيين.

ان المطالبة بخروج القوات الأمريكية من العراق هو حق مشروع كفلته القوانين والأعراف الدولية، ومن المؤكد أن خلو العراق من كل أنواع الوجود الأجنبي والتدخلات الخارجية يعد مكسبًا استراتيجيًا. لكن هذا الحق يجب أن ينطلق من تفاهمات وحوارات بين كل مكونات الشعب العراقي السياسية والمجتمعية، مع مباحثات رصينة مع الجانب الأمريكي، وأن تتم كل هذه الخطوات في إطار مصلحة

الشعب العراقي ومتطلبات أمنه واستقراره. من الطبيعي أن أي شخص لديه الحد الأدنى من الانتماء لوطنه سيرفض أي وجود لقوات أجنبية على أراضي بلده، لكن قضية الوجود العسكري الأمريكي مختلفة ومعقدة وتنطوي على تساؤلات عديدة حول طبيعته.

من هذه التساؤلات

-هل القوات الأمريكية في العراق بعد تسليم السلطة للعراقيين عام ٢٠٠٥ هي قوات احتلال أم قوات حليفة؟

-هل الانسحاب دون إكمال الجيش الأمريكي مهمته كان يصب في مصلحة العراق؟

-هل انسحاب الأمريكان بمثل رأي جميع مكونات الشعب العراقي؟

هناك جانب مهم يجب تسليط الأضواء عليه، وهو مواقف مكونات الشعب العراقي المختلفة والناس العاديين (غير المرتبطين بالجهات المسلحة والسياسية) تجاه هذه القضية.

الكثير من العراقيين الشيعة العرب خارج إطار الأحزاب السياسية يرون أن القوات الأمنية العراقية ما زالت بحاجة لدعم القوات الأمريكية *لمواجهة خطر الإرهاب*

موقف معظم الجماهير الكردية من الوجود العسكري الأمريكي فهو متطابق تمامًا مع موقف القوى السياسية الكردية، فهم يرفضون أي انسحاب أمريكي من العراق.

أما العرب السُنة فكان أكثر مكونات الشعب العراقي رفضًا للوجود الأمريكي، وشهدت مدن ومناطق العرب السُنة الجزء الأكبر من العمليات المسلحة التي استهدفت القوات الأمريكية حيث يسود الاعتقاد ان الأمريكان سلموا السلطة للشيعة.

في أكتوبر/ تشرين أول ٢٠٠٨ توصلت الحكومتان العراقية والأمريكية إلى اتفاقية تعاون أمني استراتيجي تنص على إكمال انسحاب القوات الأمريكية من العراق نهاية ٢٠١١، وإبقاء عدد "محدود" من الجنود الأمريكيين في قواعد عسكرية "محدودة"، لأغراض تدريب القوات العراقية وتقديم الدعم اللوجستي لها.

بدأ انسحاب القوات الأمريكية من العراق في عام ٢٠٠٩، واستمر لعامين، وانتهى الاحتلال الأمريكي للعراق رسميا في ١٥ ديسمبر ٢٠١١م، بإنزال العلم الأمريكي في بغداد وغادر آخر جندي أمريكي البلاد في ١٨ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١١. وقد أتى هذا الانسحاب بعد ضغوط داخلية وخارجية على الإدارة الأمريكية.

استشهد أكثر من مئة ألف مدني عراقي بين ٢٠٠٣ و٢٠١١ وخسرت الولايات المتحدة خلال احتلالها للعراق ٤٤٧٤ قتيلاً و٣٣ ألف جريح حسب الأرقام الرسمية، كما أنفقت حوالي تريليون دولار.

من جهة أخرى، عانى العراق من تبعات هذا الانسحاب سياسيًا وأمنيًا حيث شهدت بغداد عددًا كبيرًا من التفجيرات التي تلت هذا الانسحاب، نتيجة الخروقات الأمنية.

التغيير الديمغرافي في بغداد

شهدت بغداد أكثر من عملية واسعة للتغيير الديمغرافي فرضتها جملة من التحولات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فمن يراجع الدراسات المتعلقة بالتغيير الديمغرافي في مدينة/ محافظة بغداد في سنوات الأربعينيات والخمسينيات سيجد تحليلا لطبيعة التغيير الديمغرافي الذي شهدته بغداد بسبب الهجرات الكثيفة إليها من المدن والمحافظات الأخرى؛ فقد بلغ عدد الوافدين من محافظة العمارة/ ميسان وحدها ما يقرب من ٦,٥٪ من مجموع سكان محافظة بغداد البالغ عددهم ٨١٧٢٠٥ نسمة وفقا للتعداد السكاني العام ١٩٤٧، لتصل

النسبة إلى ٨,٧٤٪ في التعداد السكاني لعام ١٩٥٧، فيما شكل الوافدون من محافظة لواء الدليم/ الأنبار ما نسبته ١,٦٨٪ في العام ١٩٧٤ و١,٥٧٪ في العام ١٩٥٧.

لكن بغداد شهدت أيضا محاولات تغيير ديمغرافي قسرية، على أساس الدين منذ الأربعينات من القرن الماضي ضد اليهود العراقيين، الذين عاشوا في وادي الرافدين منذ القدم وهم جزء لا يتجزأ من الشعب العراقي تشاركوا مع إخوانهم العراقيين كل هموم الوطن ومشاكله.

اليهود

كان للطائفة اليهودية دور في تأسيس الدولة العراقية الحديثة لأنهم كانوا من الطبقات المتعلمة والمثقفة في العراق وتضمنت المادة السادسة من القانون الأساسي العراقي الذي صدر عام ١٩٢٣ ان لا فرق بين العراقيين في الحقوق أمام القانون وان اختلفوا في القومية والدين واللغة. حيث خصص لتمثيل الطائفة اليهودية أربعة مقاعد اثنان لبغداد وواحد لكل من البصرة والموصل فيما كان لها ممثل واحد في مجلس الأعيان واختير ساسون حسقيل في أول حكومة عراقية لتسلّم منصب وزارة المالية واستمر لمدة خمس سنوات وكان لساسون دور كبير في التفاوض مع شركات البترول البريطانية من خلال إصراره على أن يكون الدفع بالبون الذهب بدلاً من الأوراق المالية.

كان اليهود يشكلون ٢,٦ % من مجموع سكان العراق في عام ١٩٤٧ وانخفضت نسبتهم إلى حوالي ٠,١ % من سكان العراق عام ١٩٥١(تعداد الطائفة اليهودية في العراق يتجاوز مئة ألف نسمة في نهاية الثلاثينات).. وكان لليهود في بغداد لوحدها (٥٠) معبدا ومدرسة عليا لتخريج الحاخامات لحد سنة ١٩٥٠.

تعرض اليهود العراقيون في بداية الأربعينيات إلى عملية قتل ونهب للممتلكات، وعرفت هذه العمليات باسم الفرهود حيث قتل فيها العديد من اليهود ونهبت ممتلكاتهم. بعد قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ زادت الحكومة العراقية ضغوطها باتجاه اليهود العراقيين. في البداية لم تكن الهجرة خياراً واضحاً في عموم يهود العراق حيث كان التيار السائد بينهم هو تيار لا يوافق الصهيونية. وتعرضت عدة دور عبادة يهودية في بغداد للتفجير مما أثار حالة من الهلع بين أبناء الطائفة والتي اتهم بها لاحقاً ناشطون صهاينة لتشجيع الهجرة من العراق. في البداية لم تسمح الحكومة العراقية لليهود بالسفر، لكن لاحقاً أصدرت آنذاك قراراً يسمح لليهود بالسفر بشرط إسقاط الجنسية العراقية عن المهاجرين منهم. وقد هاجرت غالبية الطائفة اليهودية من العراق خلال عامي ١٩٤٩ و١٩٥٠.

بقي حوالي ١٥ آلاف يهودي في العراق وعند وصول عبد الكريم قاسم للسلطة عام ١٩٥٨ رفع القيود عن اليهود المتبقين في العراق وقد بدأت وضعيتهم تتحسن وأخذت الأمور تعود إلى طبيعتها. لكن انقلاب حزب البعث واستلامه للسلطة عام ١٩٦٣ أعاد الاضطهاد والقيود عليهم وفي عام ١٩٦٩ أعدم عددا من التجار معظمهم من اليهود بتهمة التجسس لإسرائيل مما أدى إلى تسارع حملة الهجرة في البقية الباقية من يهود العراق والتي شهدت ذروتها في بداية السبعينيات.

من أعلام اليهود العراقيين المطربة سليمة مراد ورينيه دنكور أول ملكة جمال في تاريخ العراق عام ١٩٤٧و الأستاذ في علوم الاقتصاد مير بصري مؤلف كتاب مباحث في الاقتصاد والمجتمع العراقي والكاتب المعادي للصهيونية نعيم جلعادي و نعيم دنكور رجل أعمال عراقي منحته الملكة إليزابيث لقب "سير" لأنشطته الخيرية والثقافة وأنور شاؤول أديب وشاعر ومحامي و سامي ميخائيل شيوعي عراقي، كاتب ومترجم.

مازال الناس ممن عايشوا عقد الأربعينيات وقبلها يكنون ليهود العراق أطيب الذكرى فهم جزء لا يتجزأ من أهلنا الذين شردهم زمن الضياع والصراعات السياسية.

المسيحيون

كانت الأقليات العراقية، على اختلاف أطيافها، الأكثر استهدافا في عمليات التغيير الديمغرافي القسري، وإذا كان البعد الأيديولوجي للجماعات المسلحة عاملا رئيسيا في تسويغ هذا الاستهداف، فإن العوامل السياسية، والصراع القائم على الأرض – بوصفه جزءا من الصراع على السلطة والثروة في عراق اليوم – لم تكن غائبة عن عمليات الاستهداف هذه. فقد اضطُر المسيحيون واليزيديون والصابئة إلى نزوح واسع النطاق بعد نيسان ٢٠٠٣، سواء بسبب استهدافهم المباشر كأقليات دينية، أو إثنية، أو كليهما، أو كنتيجة لاستخدامهم أوراقا في إطار الصراع الأكبر بين الجماعات العراقية الرئيسية.

بالرغم من غياب إحصاءات دقيقة عن عدد المسيحيين في العراق بسبب عدم إجراء تعداد سكاني منذ سنوات لكن من المؤكد، إن هناك حاليا بحدود ٤٠٠ ألف مسيحي في العراق مقابل مليون ونصف المليون قبل الغزو الأميركي العام ٢٠٠٣.

تزايدت الهجرة أثناء الحرب العراقية الإيرانية، واشتدت أيام الحصار الاقتصادي الغاشم على شعب العراق وليس على حكومته، والذي فرضتهُ الأمم المتحدة لمدة (١٥) عاماً مات خلالها الأطفال والكبار من العراقيين الأبرياء، ولم يُرفع ذلك الحصار اللئيم إلا بعد الاحتلال الأميركي للعراق عام (٢٠٠٣).

بلغت هجرة المسيحيين العراقيين أوجها بعد الاحتلال الأميركي للعراق، ووصلت إلى أخطر مراحلها بعد انفلات المليشيات الفوضوية في قتل وسلب العراقيين

بصورة عامة والمسيحيين بصورة خاصة في بغداد، مع استعمالهم كرهائن لابتزاز المبالغ الكبيرة من الأموال من أهاليهم وعوائلهم والإصرار على قتلهم في أغلب الحالات، حتى القسس والكهنة والمطارين والمصلين لم يسلموا من القتل والاستهداف المخطط له وما حادثة مذبحة كنيسة سيدة النجاة[٣٥] إلا شاهد على ذلك.

خطوط تماس مذهبية في بغداد

كانت الحرب الطائفية التي أعقبت استهداف مرقد الإمامين العسكريين في شباط ٢٠٠٦، وتركزت في بغداد تحديدا، حاسمة في إحداث تغيير ديمغرافي داخل المدينة/ المحافظة، لكن ذلك لا يعني أن عمليات التغيير الديمغرافي القسرية لم تكن حاضرة قبل ذلك! فقد شهدت منطقة المدائن وامتدادها وصولا إلى مناطق شرق القناة عمليات تغيير ديمغرافي قسري ذات طابع طائفي قبل ذلك التاريخ، في سياق ما سمي حينها بمشكلة «حزام بغداد السني» الذي رافقه خطاب سياسي حول «هوية بغداد».

كما كانت مناطق الكرخ التي تنفتح على حزام بغداد أمام تصنيع خطوط تماس مضادة، فمناطق الدورة والغزالية والعامرية التي تنفتح على مناطق هور رجب وأبو غريب كانت تشهد أيضاً عمليات تغيير ديمغرافي قسري ذات طابع طائفي.

أما بعد حادثة سامراء فإن سياسات التغيير الديمغرافي القسري، تحديدا في مدينة بغداد، أخذت بعدا استراتيجيا واضحا، حيث المحاولات الواضحة، منذ اللحظة الأولى، لخلق مناطق صافية طائفيا وبشكل منهجي. سواء عبر التهديدات المباشرة التي

---

[٣٥] مجزرة سيدة النجاة، في عصر ٣١ تشرين الأول، ٢٠١٠ اقتحم مسلحون كنيسة سيدة النجاة للسريان الكاثوليك بالكرادة في بغداد أثناء أداء مراسيم القداس. انتهت الحادثة بتفجير المسلحين لأنفسهم وقتل وجرح المئات ممن كانوا بداخل الكنيسة

تطال سكانها، وتدفعهم الى الهجرة القسرية المباشرة بسبب الخوف من الاعتقال العشوائي أو التصفية، وقد بلغ عدد النازحين والمهاجرين عن المدينة/ المحافظة ما بين ١٢ % إلى ١٥ % من سكانها على أقل تقدير. وبرغم من تراجع حدة العنف في مرحلة لاحقة، لكن الوقائع المتعلقة بالمناطق الصافية طائفيا، وخطوط التماس ظلت قائمة على الأرض!

الحنين الى مدينة بغداد

تعيش بغداد بعد عام ٢٠٠٣ سبرة اختفاء رمزي مدينة تتولد فيها المفارقات بالثورات والانقلابات المتعاقبة بالنظام الشمولي الدكتاتوري الذي رزحت تحت وطأته، بالحروب التي ذهبت إليها طواعية او كرها ، بالمحتل الأنجلو- أميركي ، بحرقها، ، بأسباب الانتقام منها ونهبها من الحاقدين .

على مدى تاريخها، منذ أن أنشأها الخليفة أبو جعفر المنصور (٧١٤ - ٧٧٥ (في العقد السادس من القرن الثامن الميلادي)، عاشت بغداد زمنا مدينيا طويل الأمد. لقد سّورها وأحاطها ببوابات أربع: خراسان، الكوفة، الشام، البصرة، عبرها خرجت إلى العالم والتأريخ. خلال دهورها تبوأت مكانة مهمة في العلم والفكر والأدب والسياسة والحضارة، كما تعدد مصيرها بين السلام والنكبات. لطالما أفل نجمها لتعود مرة أخرى تنبض بالحياة. زمنها الملتبس هذا، سوف يعتّق جوهرها ويجلو أجساد البشر وأرواحهم من ساكنيها، هؤلاء الذين سيعاودون بدورهم التأثير عليها على ضوء آمالهم وقدراتهم وأحلامهم.

سماها الخليفة المنصور عام ٧٦٢ "مدينة السلام" لأن دجلة كان يقال له وادي السلام. كأن اسمها جاء أشبه بالتحذير. إذ استباحها هولاكو عام ١٢٥٨، فكفّت بعدها عن ان تكون عاصمة الخلافة العباسية بعدما دامت لها خمسة قرون. غزاها التتار

عام ١٣٤٠. سيطر عليها الصفويون عام ١٥٠٩ .عاد إليها الأتراك عام ١٦٣٨ ،لتبقى تحت الحكم العثماني لمدة أربعة قرون، حتى مجيء البريطانيين ودخولهم إليها عام ١٩١٧ ،لتتعرض للدمار خلال حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ .فيما ُحرقت ونُهبت بعدما احتلّها الأمريكيون عام ٢٠٠٣.

شغلت هذه المدينة حيزا في الذاكرة البشرية، عندما ُو ّظف مكانها كبعد مركزي متخيل للحكاية والسرد في قصص "ألف ليلة وليلة"، حيث لم يرغب راوي الحكايات مغادرتها، فكانت الأحداث تبدأ منها و تنتهي إليها. قصص ساحرة، عجائبية وآسرة، جعلت من المدينة فضاء مشرعا مليئا بالمسرات والغرائب واللذائذ والسحر، بعد تحصلها على أسباب الترف والنعيم والرفاهية. تتوقف الحكاية عند قصورها وأسواقها بالأخبار العجيبة للسلاطين، الملوك، التجار، المتصوفة، وببساتينها وأزقتها، بوصف الشعراء، للجواري الجميلات، والغلمان والمحتالين وحتى الجن والعفاريت. حكايات عن العشق، الجنس، المغامرة، الدسائس، المكائد، الحيل، الجاه، السلطة، الثروة والانتقام. حلم بها الجميع مكانا رافل بلذة العيش وملاذاً بدد ثقل مأساتهم، غربتهم، حزنهم وفقرهم.

ما زالت تلك الحكايات لا تكتفي لكي تدل على بغداد المتخيلة، بل تحولت لتكون مرجعها الخالد.

في شهر أيار من عام ١٩٥٧، ألقى المعماري الأميركي فرانك لويد رابت (١٨٦٩ - ١٩٥٩) محاضرة في جمعية المهندسين العراقيين، بعدما استقدمته الحكومة العراقية في ذلك الوقت لتصميم دار أوبرا في بغداد. ذكر رايت "أود أن اعترف أنني، بصفتي قارئا متحمسا لكتاب "ألف ليلة وليلة"، منذ طفولتي، أشعر بنفسي أنني من رعايا هارون الرشيد". في كلمته هذه أوصى المعماريين العراقيين: "كونوا حذرين من أبنية طاغية ومهولة تشوه مدنتكم". ودعاهم إلى أن يجعلوا الخصوصية

الحضارية والإحساس الداخلي بالحياة أساساً لبناء العمارة، باعتبارهما الخاصتين اللتين يجب تطويرهما والحفاظ عليهما في كل ما يشيّد في المستقبل، وإلا فالعمارة دونهما ستتحطم في سنين قليلة مقبلة .تخلّى رايت عن طموحه في بناء أوبرا بغداد ولم ينجح المعماري فالتر غروبيوس، الذي زار بغداد أيضا في ذلك العقد، إلا في انشاء احدى الوحدات التصميمة لمشروعه المتمثل في تصميم جامعة بغداد. فيما أكمل المعماري لوكوربوزيه تشييد القاعة الرياضية المغلقة في سبعينات القرن الماضي. لكن وحده مخطط المدن اليوناني دوكسيادس استطاع أن يكمل مشروعه العمراني فيها. تذكر المؤرخة والمعمارية ميشيل بروفيست في مقالتها "تخطيط المدن والصراع على العالم الثالث" ، في مجلة "فكر وفن "،ان "الولايات المتحدة الأميركية كانت تنظم باستمرار تدفق مخططي المدن والمعماريين نحو المناطق المهمة استراتيجيا، وتنظر الى ذلك بوصفه أداة فعالة في الحرب الباردة، فوضعت تصدير هندسة البناء وتخطيط المدن في خدمة الاستعمار الثقافي". صمم مكتب دوكسيادس مشروع إسكان شرق بغداد قبل ثورة ١٩٥٨، التي سماها عبد الكريم قاسم بعد نجاح انقلابه ب "مدينة الثورة" ثم لاحقا "مدينة صدام" وتسمى الآن "مدينة الصدر"، .كان النموذج العمراني تمثل في تصاميم جاهزة لمساكن وأحياء لاستيعاب النمو المتزايد من النازحين من الفقراء والفلاحين إلى بغداد، والذين كانوا قد شكلوا حولا طوقا أشبه بحزام فقر. لم يكن التحديث الذي مارسه وفق الذخيرة التاريخية للمدينة والهوية الثقافية لها، بل جاء عبر تطويق مركزها التاريخي بوحدات سكنية نمطية، مكررة، مؤلفة من طابق واحد أو طابقين، خالية من الذوق المعماري إلا بوجود لمسات محلية متواضعة، وقد شكلت لاحقا مناطق عازلة باتت أشبه بالغيتوات المزدحمة، تحت منظومة طرق وشوارع ضيقة ومغلقة وملحقة بمرافق عامة شديدة التواضع.

ارتبط التوسع العمراني في بغداد بامتدادها الأفقي وليس العمودي، حيث شهدت منذ خمسينات القرن المنصرم توسعا يلتهم ما يحيطها من ارض خضراء وأمكنة لتجمعات صغيرة. تحوّل انطوى على إحداث علاقات مختلفة ومربكة في بعدها الاجتماعي بعد تواصل هجرة سكان الريف إليها، بسبب الثورات والفقر والعوز. بغداد أصبحت هي كل شيء، من المؤسسة إلى التجارة، ومن التعليم إلى فرص العمل، فيما كانت المدن العراقية الأخرى ترزح تحت ظل الاهمال .تحولات سواء كانت لينة أو حادة حينا، هادئة أو صاخبة حينا آخر، دمغت واقع المدينة بأحداثها الصادمة.

بغداد من تلك المدن التي تتيح التنقل، في المكان الواحد، بين حقب تاريخية عديدة، اذ تندرج فيها اختلاف لافت للزمن. لكن منذ تحديثها أثناء العقود الماضية، وجدت نفسها أمام حلول معمارية إلزامية مع غباب التوافق بين مظهرها التاريخي ورغبتها في التطلع إلى الحداثة. لطالما خضع مشهدها العمراني لخيار القرار السياسي كسلطة وقوة، وليس لخيار القرار المدني بوصفه اجتماعاً وتحضراً، في العقد الثمانيني امتد عمرانها إلى جميع الجهات، فيما كان قلبها التاريخي منعزلا وبعدا عن كل محاولة احيائية. لقد ظلت كيانا اتسع مداه بين نموها وتقدمها المادي وبين محدودبة تطورها الاجتماعي والحضري.

ما عادت بغداد بعد عام ٢٠٠٣ مكانا متعدد الأغراض، يثير بألفته خيال الحكاية وتعبيرية الفن أو حتى تفاؤل العمارة. لقد باتت أشبه بموضوع محيّر وعنيف يثير الريبة، تتمثلها الصورة عبر وسائل الاعلام المرئي كمشهد اكتفى بعدد القتلى الجدد ومظاهر الخراب الكالحة. فالكثير من مبانيها لا يزال مدمراً، بل يمكن مشاهدة آثار الرصاص على وجهات البيوت والعمارات التي شهدت مناطقها عنفا مسلحا. لقد غادرت هذه المدينة الحرب، لكن لم تغادر هولها. فهي ما عادت تطل على أحد، الا

على نفسها، ضلت محتجبةً خلف اسوار من دعامات كونكريتية ونقاط تفتيش واسلاك شائكة .هذا هو ملمحها المعاصر.

حاضر لم يتوقعه الجميع، لا ذكريات الماضي القريب، لا حوارات البغداديين فيما بينهم، لا أحداث تجاربهم اليومية السابقة، لا نبوءات الجدات في حكاياتهن، لا دعاء الضحايا للخلاص من العذاب، لا أمنيات القصائد في تخيل شكل الحرية المقبلة. ما حدث كان أمراً غامضاً وخفياً، مثل أي مصير غير متوقع

لم يلحظ قدومه أحد .مدينة صامتة لا تقوم بأي شيء، بل تكاد تشبه حريتها الغريبة، الخاوية من شرط الامتلاء الانساني، والتي لا تكفل البقاء لأحد. وهي منسية تسكنها الذكريات البعيدة، فيما تحاور الآخرين من خلال حالتها الغائبة. مدينة ليس لها إلا أن تسّوغ وجودها هذا بكونها مرئية في صور تد ّل دائما على واقع فاجع وحضور حزين. نبوءة هي ذاتها شهادة عن قدر لا يرد.

في عشرينات القرن الماضى، اقتحمت جاموسة هائجة أثناء استعراض كشافة المدارس الابتدائية بحضور الملك فيصل الأول وبعض من وزرائه، ساحة القلعة فى أول شارع الرشيد. قامت ّقوات الشرطة حينها بإطلاق النار على الجاموسة، وحبس صاحبها، بسبب مخالفة مالكها القوانين بعدم وضع عصا كبيرة فى قدمها كى تعيق حركتها، كما كان ً متعارفا عليه.

بعد عشرة عقود من تلك الحادثة، عادت جاموسة الخراب لتلطم بأرجلها لتخرّب كل شيء، لفارق هو أن هذه الجاموسة توالدت وتكاثرت، وأصبحت قطيعا يسرح ويمرح من دون أن تجرؤ قوات الشرطة على إطلاق النار عليه، ومن دون أن يجرؤ أحد على محاسبة مالكيه، لأن هؤلاء ببساطة هم من يحكم من أحزاب السلطة، وبقدر ما هم مسؤولون عن الخراب، فهم فوق القانون.

الملحق

بغداد خلال العهود المختلفة

الدولة العباسية

العصر الأول(الذهبي)

هو عصر تأسيس الدولة العباسية وكان عصر قوة ونفوذ للخلافة العباسية وكان الخلفاء العباسيين في العصر العباسي الأول أقوياء وعدد خلفاء العصر العباسي الأول تسعة

١. أبو العباس السفاح (٧٥٠-٧٥٤)
٢. أبو جعفر بن محمد المنصور (٧٥٤-٧٧٥)
٣. محمد المهدي (٧٧٥-٧٨٥)
٤. الهادي (٧٨٥-٧٨٦)
٥. هارون الرشيد (٧٨٦-٨٠٩)
٦. الأمين (٨٠٩-٨١٣)
٧. المأمون (٨١٣-٨٣٣)
٨. المعتصم (٨٣٣-٨٤٢)
٩. الواثق (٨٤٢-٨٤٧)

العصر العباسي الثاني

الذي أطلق عليه عصر نفوذ الترك حيث كان يتحكم الجنود الترك الذين جلبهم المعتصم بالله في زمام الأمور وكان معظم خلفاء بني عباس في العصر العباسي الثاني يحكمون بالاسم فقط.

١٠. المتوكل (٨٤٧-٨٦١)
١١. المنتصر (٨٦١-٨٦٢)

١٢. المستعين (٨٦٢-٨٦٦)

١٣. المعتز (٨٦٦-٨٦٩)

١٤. المهتدي (٨٦٩-٨٧٠)

١٥. المعتمد (٨٧٠-٨٩٠)

١٦. المعتضد (٨٩٢-٩٠٢)

١٧. المقتفي (٩٠٢-٩٠٨)

١٨. المقتدر (٩٠٨-٩٣٢)

١٩. القاهر (٩٣٢-٩٣٤)

٢٠. الراضي (٩٣٤-٩٤٠)

٢١. المتقي (٩٤٠-٩٤٣)

٢٢. المستكفي (٩٤٣-٩٤٦)

العصر العباسي الثالث

يعد عصر ضعف في تاريخ خلفاء الدولة العباسية حيث كان البويهيون يسيطروا على زمام الحكم بعد سيطرة الترك في العصر الثاني.

٢٣. المطيع (٩٤٦-٩٧٤)

٢٤. الطائع (٩٧٤-٩٩١)

٢٥. القادر (٩٩١-١٠٣١)

٢٦. القائم (١٠٣١-١٠٧٥)

العصر العباسي الرابع

كانت السيطرة للسلاجقة الذي استعان بهم القائم بأمر الله اخر خلفاء الدولة العباسية في العصر العباسي الثالث للتخلص من خطر البويهيون.

٢٧. المقتدي (١٠٧٥-١٠٩٤)

٢٨. المستظهر (١٠٩٤-١١١٨)

٢٩. المسترشد (١١١٨-١١٣٥)

٣٠. الرشيد (١١٣٥-١١٣٦)

٣١. المقتفي (١١٣٦-١١٦٠)

٣٢. المستنجد (١١٦٠-١١٧٠)

٣٣. المستضىء (١١٧٠-١١٨٠)

٣٤. الناصر (١١٨٠-١٢٢٥)

٣٥. الظاهر (١٢٢٥-١٢٢٦)

٣٦. المستنصر (١٢٢٦-١٢٤٢)

٣٧. المستعصم (١٢٤٢-١٢٥٨)

الدولة العثمانية

الولاة العثمانيون (١٦٣٨–١٧٠٤)

١. كاشيك حسن باشا (١٦٣٨–١٦٣٩)

٢. درويش باشا (١٦٣٩–١٦٤٢)

٣. كاشيك حسن (١٦٤٢–١٦٤٤)

٤. دالي حسين (١٦٤٤–١٦٤٤)

٥. محمد باشا (١٦٤٤–١٦٤٥)

٦. موسى باشا (١٦٤٥–١٦٤٦)

٧. إبراهيم باشا (١٦٤٦–١٦٤٦)

٨. موسى سميز (١٥٤٦–١٦٤٧)

٩. مالك أحمد (١٦٤٧–١٦٤٧)

١٠. أرسلان نجدي زاده (١٦٤٧–١٦٤٩)

١١. كابلان مصطفى مرزلي فقط (١٦٤٩–١٦٤٩)

١٢. حسين باشا (١٦٤٩–١٦٥٠)

١٣. قره مصطفى (١٦٥١–١٦٥٢)

١٤. مرتضى (١٦٥٣–١٦٥٤)

١٥. آق محمد (١٦٥٤–١٦٥٦)

١٦. خاسيكي محمد (١٦٥٧–١٦٥٩)

١٧. مصطفى باشا (١٦٥٩–١٦٥٩)

١٨. خاسيكي محمد (١٦٥٩–١٦٦١)

١٩. كانبور مصطفى (١٦٦١–١٦٦٣)

٢٠. بامبيج مصطفى (١٦٦٣–١٦٦٤)

٢١. قره مصطفى (١٦٦٤–١٦٦٤)

٢٢. أوزون إبراهيم (١٦٦٤–١٦٦٦)

٢٣. قره مصطفى (١٦٦٦–١٦٧١)

٢٤. سليحدار حسين (١٦٧١–١٦٧٤)

٢٥. عبد الرحمن باشا (١٦٧٤–١٦٧٦)

٢٦. كابلان مصطفى مرزلي (١٦٧٦–١٦٧٧)

٢٧. عمر باشا (١٦٧٧–١٦٨١)

٢٨. إبراهيم باشا (١٦٨١–١٦٨٤)

٢٩. عمر باشا (١٦٨٤–١٦٨٦)

٣٠. شوكوه أحمد كتكوتة (١٦٨٦–١٦٨٦)

٣١. عمر باشا (١٦٨٦–١٦٨٧)

٣٢. حسن باشا (١٦٨٨–١٦٩٠)

٣٣. أحمد بازرقان (١٦٩٠–١٦٩٠)

٣٤. أحمد باشا (١٦٩١–١٦٩٣)

٣٥. حاجي أحمد قليلي (١٦٩٣–١٦٩٥)

٣٦. علي باشا (١٦٩٥–١٦٩٥)

٣٧. حسن باشا (١٦٩٦–١٦٩٨)

٣٨. إسماعيل باشا (١٦٩٨–١٧٠٠)

٣٩. علي باشا (١٧٠٠–١٧٠٢)

٤٠. يوسف باشا (١٧٠٣–١٧٠٤)

الولاة المماليك (١٧٠٤ـ١٨٣١) خلال ضعف السلطة المركزية للحكومة العثمانية

٤١. حسن باشا (١٧٠٤–١٧٢٣)
٤٢. أحمد باشا (١٧٢٣-١٧٤٧) ابن حسن
٤٣. سليمان أبو ليلى باشا (١٧٤٩–١٧٦٢)
٤٤. عمر باشا (١٧٦٢–١٧٧٦)
٤٥. عبد الله باشا (١٧٧٦–١٧٧٧)
٤٦. سليمان باشا الكبير (١٧٨٠-١٨٠٢)
٤٧. علي باشا (١٨٠٢–١٨٠٧)
٤٨. سليمان باشا الصغير (١٨٠٧-١٨١٠)
٤٩. سعيد باشا (١٨١٣-١٨١٦)
٥٠. داود باشا (١٨١٦–١٨٣١)

الولاة العثمانيون (١٨٣١ـ١٩١٧)

٥١. علي رضا باشا (١٨٣١–١٨٤٢)
٥٢. نجيب باشا (١٨٤٢–١٨٤٩)
٥٣. عبد الكريم باشا (١٨٤٩–١٨٥٠)
٥٤. محمد واجه باشا (١٨٥٠–١٨٥١)
٥٥. محمد نامق باشا (١٨٥١–١٨٥٢)
٥٦. رشيد باشا (١٨٥٢–١٨٥٧)
٥٧. عمر باشا (١٨٥٨–١٨٥٩)
٥٨. مصطفى نوري باشا (١٨٥٩–١٨٦١)
٥٩. أحمد توفيق باشا (١٨٦١-؟)

٦٠. محمد نامق باشا (١٨٦٢–١٨٦٧)

٦١. تقيالدن باشا (١٨٦٧–١٨٦٩)

٦٢. مدحت باشا (١٨٦٩–١٨٧٢)

٦٣. محمد رؤوف باشا (١٨٧٢–١٨٧٣)

٦٤. رديف باشا (١٨٧٣–١٨٧٥)

٦٥. عبد الرحمن باشا (١٨٧٥–١٨٧٧)

٦٦. عاكف باشا (١٨٧٧–١٨٧٨)

٦٧. قادري باشا (١٨٧٨- غير معروف)

٦٨. عبد الرحمن باشا (١٨٧٩–١٨٨٠)

٦٩. تقيالدن باشا (١٨٨٠–١٨٨٧)

٧٠. مصطفى عاصم باشا (١٨٨٧–١٨٨٩)

٧١. سري باشا (١٨٩٠–١٨٩١)

٧٢. حسن باشا (١٨٩١–١٨٩٦)

٧٣. عطية الله باشا كواكبي (١٨٩٦–١٨٩٩)

٧٤. نامق باشا (١٨٩٩–١٩٠٢)

٧٥. أحمد فايزي باشا (١٩٠٢–١٩٠٤)

٧٦. عبد الوهاب باشا (١٩٠٤–١٩٠٥)

٧٧. عبد المجيد باشا (١٩٠٥–١٩٠٦)

٧٨. أبو بكير حازم باشا (١٩٠٧–١٩٠٨)

٧٩. نديم الأول باشا (١٩٠٨ - غير معروف)

٨٠. نجم الدين بك (١٩٠٨–١٩٠٩)

٨١. محمد فاضل باشا (١٩٠٩- غير معروف)

٨٢. شوكت باشا (١٩٠٩–١٩١٠)

٨٣. حسين نديم باشا (١٩١٠–١٩١١)

٨٤. يوسف آغا باشا (١٩١١- ؟)

٨٥. جمال باشا (١٩١١–١٩١٢)

٨٦. علي رضا باشا (١٩١٢-؟)

٨٧. محمد زكي باشا (١٩١٢–١٩١٣)

٨٨. محمد فاضل باشا (١٩١٣–١٩١٤)

٨٩. سليمان نظيف باشا (١٩١٤–١٩١٥)

٩٠. نور الدين باشا (١٩١٥- غير معروف)

٩١. خليل باشا (١٩١٦–١٩١٧)

الدولة العراقية (١٩٥٨-٢٠٠٥)

امناء بغداد خلال الحكم الملكي (١٩٢٣-١٩٥٨)

- صبيح نشآت ١٩٢٣ - ١٩٢٤
- رشيد الخوجة ١٩٢٤ - ١٩٢٥
- نشآت السنوي ١٩٢٥ - ١٩٣٠
- محمود صبحي الدفتري ١٩٣٠-١٩٣١
- ارشد العمري ١٩٣١ - ١٩٣٢
- حسام الدين جمعة ١٩٤٤ - ١٩٤٦
- فائق شاكر ١٩٤٦- ١٩٤٨
- عبد الهادي الباججي ١٩٤٨- ١٩٤٩
- مظفر احمد ١٩٤٩- ١٩٥١
- عبدالله القصاب ١٩٥١- ١٩٥٣
- فخري الطبقجلي ١٩٥٣- ١٩٥٤
- فخري الفخري ١٩٥٤- ١٩٥٨

امناء بغداد خلال الحكم الجمهوري (١٩٥٨-٢٠٠٥)

- عبد المجيد حسن ١٩٥٨ - ١٩٦٣
- رجب عبد المجيد ١٩٦٣ - ١٩٦٣
- إسماعيل مصطفى ١٩٦٣ - ١٩٦٤
- إسماعيل فيضي ١٩٦٤- ١٩٦٥
- مدحت الحاج سري ١٩٦٦ - ١٩٦٨
- إبراهيم محمد اسماعيل ١٩٦٨ - ١٩٧٨

• سمير محمد عبد الوهاب	١٩٧٨- ١٩٨٢
• عبد الحسن الشيخ علي	١٩٨٢- ١٩٨٣
• عبد الوهاب المفتي	١٩٨٤- ١٩٨٦
• خالد عبد المنعم رشيد	١٩٨٦- ١٩٩٢
• سهيل محمد صالح	١٩٩٢- ١٩٩٣
• نزار جمعة القصير	/ 993 - ١٩٩٣
• طاهر محمد الحسون	١٩٩٣ - ١٩٩٧
• نوري فيصل الشاهر	١٩٩٧ - ١٩٩٨
• قاسم عواد جاسم	١٩٩٨ - ١٩٩٩
• عدنان عبد الحميد	١٩٩٩ - ٢٠٠٣
• علاء محمود التميمي	٢٠٠٤ - ٢٠٠٥

المصادر

[1] Fernea RA. Land reform and ecology in Postrevolutionary Iraq. Economic Development and Cultural Change

[2] Nooraddin H. Globalization and the search for modern local architecture: Learning from Baghdad.Elshishatawi Y, editor. Planning Middle Eastern Cities: An Urban Kaleidoscope In a Globalizing World. London: Routledge; 2004.

[3] Fathi I. The Architectural Heritage of Baghdad. Exhibition Catalogue.London: Iraqi Cultural Centre Gallery;1979

[4] Le Strange G. Baghdad during the Abbasid caliphate. A topographical summary, with a notice of the contemporary Arabic and Persian authorities. The Journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain and Ireland.

[5] Gilli-elewy H. Al-awādi al-ğāmia: A contemporary account of the Mongol conquest of Baghdad, 656/1258.Arabica. 2011

[6] Makiya M. Baghdad. London, UK: Al-Warrak; 2005

[7] Makiya K. Post-Islamic Classicism: A Visual Essay on the Architecture of
Mohamed Makiya. London, UK: Al Saqi; 1990

[8] Al Waily TAH. Baghdad 21st Century-the Historical City.Amman, Jordan: Adib Books; 2017

[9] Fethi I. Urban Conservation in Iraq: The Case for Protecting Iraq's Cultural Heritage with Special Reference to

Baghdad Including a Comprehensive Inventory of its Areas and Buildings of Historic or Architectural Interest. Sheffield, UK: University of Sheffield; 1977
[10] Al-Ashab KH. The Urban Geography of Baghdad. Newcastle, U.K.: University of Newcastle Upon Tyne;1974
[11] Theodosis L. "containing" Baghdad: Constantinos Doxiadis'program for a
developing nation. DC PAPERS, revista de critica y teoria de la arquitectura.2008;
[12] Pyla P. Back to the future: Doxiadis's plans for Baghdad. Journal of Planning
History. 2008;
[13] Alobaydi DM. A Study of the Urban Morphological Process of
Baghdad: Implications and Guidelines for Urban Design and Planning in
Middle Eastern Cities. Kansas, U.S.: Faculty of the University of Kansas;2017
[14] Alousi M. Al Karkh Development.Baghdad, Iraq: Mayoralty of Baghdad;
1982
[15] Fethi I. Contemporary Architecture in Baghdad: Its Roots and Transition.Baghdad: Process: Architecture, Medinat al-Salaam; 1979; 1983.
[16] Voisey H, Beuermann C,Sverdrup LA, O'Riordan T. The political

significance of local agenda 21: The early stages of some European experience.The International Journal of Justice and Sustainability. 1996;1(1)
[17] Pieri C, editor. Baghdad 1921-1958. Reflections on History as a "strategy
of vigilance." In: World Congress for Middle-Eastern Studies; 2005-06.Amman, Jordan: Al-Nashra; 2005
[18] Lessons from Baghdad City Conformation and Essence, *Haider J.E. Al-Saaidy*
[19] The architecture of the British Mandate in Iraq: nation-building and state creation Iain Jackson,
The Journal of Architecture, May 2016.
[20] Jewish schools and Synagogue of Baghdad, Iraq virtual Jewish history tour
[21] When Baghdad ruled the Muslim world, Hugh Kennedy 2004
[22] Baghdad city of peace, city of blood, Justin Marozzi, Allen Lane-Penguin Book London 2014
[23] The last Jews in Baghdad: Remembering a lost homeland. Nassim Rajwan ,Canada 2016
[24] A History of the British Cavalry, 1816-1918, Mesopotamia, 1914-1918
London 1995
[25]The New Iraq: Memory and National Identity, Alaa Al Tamimi,March 2005, Library of Congress
[26]Hammadi IA, Mesbah S, Mahar K, editors. Transportation Network Design Using GIS-Based DSS: Baghdad Metro Case

Study. Recent Advances in Systems Engineering and Applied Mathematics, Selected Papers from the WSEAS Conferences in Istanbul, Turkey, May 27-30; 2008
[27]Anderson, Jon Lee, The Fall of Baghdad (London, 2005; reprint of 2004 original
Antonius, George, The Arab Awakening: The Story of the Arab National Movement {London, 1938).
[28]The Arabian Nights: Tales of 1001 Nights, translated by Malcolm Lyons, three vols(London 2008)
[29]Bayat, Fadhil, Baghdad: Khalil Wathaik al Arsheef al Othmani (Baghdad in the Light of Ottoman Archive Documents) (Istanbul, 2008).
[30]Baig, Sulaiman Faiq, The History of Baghdad, 1962
[31]Hiam, Sylvia, 'Aspects of Jewish Life in Baghdad under the Monarchy,' Middle Eastern Studies, 12, 2 (1976)
[32]Bremer; Paul, My Year in Iraq: The Struggle to Build a Future of Hope (New York, 2006).
[33]Bevan, Edwyn Robert, The Land of The Two Rivers (London, 1917).
[34]Black, Edwin, Banking on Baghdad: Inside Iraq's 7,000-Year History of war, profit and conflict(Hoboken, N.J,2004)
[35]Blankinship, Khalid Yahya, 'The Tribal Factor in the Abbasid Revolution: 'The Betrayal of the Imam Ibrahim B. Muhammad,' Journal of the American Oriental Society, 108, 4 (October-December 1988).
[36]Bleaney, C.H., and Roper, G. J., Iraq: A Bibliographical Guide (Leiden, 2004)

[37]Bogdanos, Matthew, 'The Casualties of War: The Truth about the Iraqi Museum, American Journal of Archaeology, 109, 3 (July 2005).
[38]Boyle, John Andrew, 'The Death of the Last Abbasid Caliph,' Journal of Semitic Studies,6,2(1961)
[39]The Cambridge History of Iran, vol. V: The Seljuq and Mongol Periods(Cambridge,1968)
[40]Buckingham, James Silk, Travels in Mesopotamia, including a Journey from [41]Aleppo to Bagdad, by the Route of Beer, Orfah, Diarbekr, Mardin, & Mosul with Researches on the Ruins of Nineveh, Babylon, and Other Ancient Cities 2 vols. (London, 1827) .
[42]Clot, Andre, Harun al Rashid and the World of the Thousand and one night by John Howe (London, 2005).
[43]Suleiman the Magnificent, Matthc London, 2005).

[44]Crewell, K. A. C., Early Muslim Architecture, two vols. (Oxford, 1932.,Dam luji, Sadiq, Midhat Pasha (Baghdad, 1953).

[45]Tamerlane: Sword of Islam, Conqueror of the World (London, 2004).

[46]Marr, Phebe, The Modern History of Iraq (Boulder, Colo., 1985)

[47]Muir, William, The Caliphate: Its Rise, Decline and Fall (London, 1891)

[48]Munro, John M. and Love, Martin, 'The Nairn Way,' Saudi Aramco world.July -august 1981

٤٩ عباس بغدادي، بغداد في العشرينات ١٩٩٨

٥٠ عبد الكريم العلاف، بغداد القديمة ١٩٩٩

٥١ ناجي جواد، بغداد سيرة ومدينة ٢٠٠٠

٥٢ محمد مكية بغداد ٢٠٠٥

٥٣ علاء التميمي، كنت أمينا على بغداد ٢٠١١

٥٤ معاذ الألوسي حكاية شارع في بغداد ٢٠١٢

٥٥ خالد السلطاني عمارة الحداثة في بغداد سنوات التأسيس ٢٠١٤

٥٦ تغلب تقي عبد الهادي الوائلي، بغداد ٢٠١٧

يتناول هذا الكتاب استعراض لتاريخ التطور الحضري لبغداد مدينة السلام وعاصمة الخلافة العباسية التي امتدت حدودها من الصين الى جبال المغرب على المحيط الأطلسي والتعرف على أسس نشوئها وتطورها وعمرانها وانحدارها وانكفائها وتخريبها ابتداء من القرن الثامن ولغاية بداية القرن الواحد والعشرون وخاصة في عهودها الأخيرة التي أثرت على مشهدها ونسيجها الحضري التقليدي الذي استغرق تشكيله ما يزيد عن ألف عام.

(الناشر)



عن المؤلف

الأستاذ الدكتور علاء محمود التميمي من مواليد بغداد عام ١٩٥٢حصل على البكالوريوس والماجستير في الهندسة من جامعة بغداد ثم شهادة الدكتوراه من جامعة السوربون باريس عام ١٩٨٥

(Sorbonne University Pierre et Marie Curie).

له العديد من المؤلفات والبحوث و عمل في مختلف مجالات العمل الهندسي و تنفيذ المشاريع و التخطيط والتصميم والأشراف والتدريس الجامعي لمدة قاربت النصف قرن وشغل مناصب فنية وأداريه مهمة في مجال تخصصه في العراق وخارج العراق منها انتخابه أمينا لبغداد عام ٢٠٠٤ واستمر بعمله لفترة ١٨ شهرا وقد اصدر كتابا عام ٢٠١١ بعنوان (كنت أمينا على بغداد) يتضمن تجربة أدارته لمدينة بغداد في فترة صعبة من تاريخها بعد الاحتلال الأمريكي و هو منذ عام ٢٠٠٦ رئيس شركة كندية (Urban Reform Consultants) متخصصة في التخطيط الحضري والتصاميم الإنشائية والهندسية.

ISBN: 978-2-9578665-0-2

9 782957 866502

